الجمهورية الجزائـرية الديـمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة منتوري- قسنطينة

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
قسم علوم الإعلام و الاتصال

رقم التسجيل:
الرقم التسلسلي:

صورة المهاجرين المغاربيين في الصحافة الفرنسية المكتوبة

- دراسة تحليلية لمضمون جريدة LE FIGARO -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام و الاتصال
فرع: وسائل الإعلام و المجتمع

إنجـاز الطالب:
وليد زغبي

إشـراف الدكتور:
حـسين خـريـف

تاريخ المناقشة: .....

لجنة المناقشة:

أ.د/ صالح فيلالي	أستاذ التعليم العالي- جامعة منتوري. قسنطينة.	رئيسا
د/ حسين خريف	أستاذ محاضر- جامعة منتوري. قسنطينة.	مشرفا و مقررا
أ.د/ فضيل دليو	أستاذ التعليم العالي- جامعة منتوري. قسنطينة.	عضوا
د/ ادريس بولكعيبات	أستاذ محاضر- جامعة منتوري. قسنطينة.	عضوا

السنة الجامعية 2007-2008

شكر و عرفان

إن كان لي من شكر و تقدير، فللواحد القدير على إنجاز
هذا العمل المتواضع، ثم لمن بذل جهده و وقته في
مساعدتي من قريب أو من بعيد.

شكر و عرفان إلى أستاذنا الكريم

الدكتور: حسين خريف

على كرم التوجيه الذي خصني به طيلة فترة إنجاز هذا العمل.

و كذلك الشكر موصولا ...
إلى أعضاء لجنة المناقشة، أ/د: صالح فيلالي، أ/د: فضيل دليو
و الدكتور:إدريس بولكعيبات.

الفهرس..... أ.
فهرس الجداول..... ج.
المـقـدمـــة.....01.

الفصل الأول: الإشكالية و إطارها المنهجي

1.1. تحديد مشكلة الدراسة..... 05.
2.1. فرضيات الدراسة..... 07.
3.1. أسباب اختيار الموضوع وأهميته..... 07.
4.1. أهداف الدراسة..... 08.
5.1. منهج الدراسة..... 09.
6.1. تحديد المفاهيم..... 11.
1.6.1. الصحافة..... 11.
2.6.1. الهجرة..... 12.
3.6.1. الصورة الذهنية..... 13.
7.1. أدوات جمع البيانات..... 16.
1.7.1. الملاحظة..... 16.
2.7.1. العينة..... 18.
3.7.1. المقابلة..... 21.
8.1. أدوات تحليل المحتوى..... 25.
1.8.1. فئات الموضوع..... 26.
2.8.1. فئات الشكل..... 29.

الفصل الثاني: الهجرة المغاربية في الفرنسية

1.2. مكانة الهجرة المغاربية في البلدان الأوروبية..... 32.
2.2. نبذة تاريخية عن الهجرة المغاربية لفرنسا..... 35.
1.2.2. المرحلة الأولى: (1898-1918)..... 36.
طابع الهجرة المغاربية إلى فرنسا..... 37.
حركة الهجرة خلال الحرب العالمية الأولى..... 28.
2.2.2. المرحلة الثانية: الوجود المغاربي القائم : (1920 –1939)..... 39.
3.2.2. المرحلة الثالثة: حركة الهجرة خلال الحرب العالمية الثانية (1945/1939)..... 42.
4.2.2. المرحلة الرابعة: (1962/1946)..... 44.
سياسة الهجرة خلال حرب التحرير الجزائرية..... 45.
5.2.2. المرحلة الخامسة: الهجرة المغاربية، من استقلال الجزائر إلى يومنا هذا..... 46.
3.2. الجيل الأول للمهاجرين المغاربيين..... 47.
4.2. الجيل الثاني للمهاجرين المغاربيين..... 49.
5.2. واقع المهاجرين المغاربيين فى فرنسا..... 53.
6.2. واقع المهاجرين و إنتفاضة ضواحي باريس..... 56.

الفصل الثالث: الصحافة الفرنسية المكتوبة.

1.3. نشأة الصحافة وتطورها..... 62.
2.3. بدايات الصحافة في أوروبا..... 64.
3.3. الصحافة الفرنسية..... 70.

4.3. الصحافة العالمية و رقابة الدولة. ..... 72.
5.3. الصحافة الفرنسية المعاصرة تحت أيدي الدولة. ..... 76.
6.3. مصداقية الصحافة. ..... 79.
7.3. الصحافة الفرنسية وأزمة المصداقية. ..... 83.

الفصل الرابع : الهجرة المغاربية في الصحافة الفرنسية.

1.4. مكانة المهاجرين في المجتمع الفرنسي من خلال الإعلام. ..... 88.
2.4. الصحافة المكتوبة ونظرة الرأي العام. ..... 89.
1.2.4. الموضوع الأمني. ..... 90.
1.1.2.4. الشعور بعدم الأمن و الصحافة المكتوبة. ..... 93.
2.1.2.4. العنف المدني المدرسي. ..... 94.
2.2.4. موضوع الهوية. ..... 97.
1.2.2.4. الأقليات المنسية. ..... 98.
2.2.2.4. الهوية والنموذج الاجتماعي الفرنسي. ..... 100.
3.2.2.4. الهجرة و الهوية الوطنية في السياسة الفرنسية. ..... 101.
4.2.2.4. إقصاء الآخر لبناء الهوية الوطنية. ..... 103.
3.2.4. الموضوع الاقتصادي الاجتماعي. ..... 106.
4.2.4. الموضوع السياسي. ..... 111.
3.4. الكلمات والصور. ..... 113.
4.4. معالجة الأحداث. ..... 115.
5.4. المهاجرين المغاربيين : رواية إعلامية وحركة إعلانية. ..... 117.
6.4. الهجرة في الحوار الإعلامي. ..... 118.
7.4. نظرة تجريدية حول تحليل الرسائل المكتوبة. ..... 120.

الفصل الخامس: النتائج العامة للدراسة.

1.5. واقع االمهاجرين و أحداث باريس في جريدة (Le Figaro). ..... 123.
1.1.5. تحليل مؤشر مراكز الاهتمام. ..... 123.
2.1.5. تحليل مؤشر القيم. ..... 131.
3.1.5. تحليل مؤشر موضوعات العناوين. ..... 142.
2.5. الموضوعية في جريدة (Le Figaro). ..... 145.
1.2.5. تحليل مؤشر منشأ الحدث. ..... 145.
2.2.5. تحليل مؤشر الفاعلين. ..... 147.
3.2.5. تحليل مؤشر الاتجاه و اتجاه المضمون. ..... 157.
4.2.5. تحليل المقابلات. ..... 155.
3.5. خصائص جريدة (Le Figaro). ..... 162.
1.3.5. تحليل مؤشر المصادر. ..... 162.
2.3.5. تحليل مؤشر القوالب. ..... 165.
4.5. النتائج العامة للدراسة. ..... 173.
5.5. الخلاصة. ..... 179.
6.5. الملخص باللغة الفرنسية. ..... 183.
7.5. الملخص باللغة الإنجليزية ..... 184.
8.5. الملاحق. ..... 211.

الفصل الأول:

الإشكالية و إطارها المنهجي

مـــقـــدمـــــــة

قيل الكثير عن الظروف الإجتماعية التي تعيشها الفئات المقيمة في فرنسا من أصول غير فرنسية، فمنذ إحتجاج هذه الأخيرة مما تعانيه من تهميش، إقصاء وتمييز لم تبرح الصحافة الفرنسية المكتوبة عن تناول موضوع اندماج المهاجرين الاجتماعي، الثقافي و كذا الأخلاقي، سواء في ذكرها مباشرة أو في ذكر الأسباب و العوائق و أبعادها المختلفة.

في منتصف السبعينات بدأت ظاهرة الهجرة في فرنسا تلفت انتباه الرأي العام الفرنسي و كذا وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة المسموعة منها و المقروءة بسبب بعض الحوادث المتفرقة التي سجلت آنذاك، إلا أن هذه الظاهرة بدأت في الشيوع الفعلي في الثمانينات حيث كان لظاهرة تمركز الهجرة في أحياء كاملة في بعض المدن الكبيرة تأثيره على اندماج هذه الفئة في المجتمع الفرنسي بسبب احتفاظ هذه الأخيرة بتماثلها العقائدي، اللغوي، الثقافي، و كذا الديني[1]، وقد سبب ذلك إسالة الكثير من الحبر لوسائل الإعلام وطرح تساؤلات عديدة حول مصير هذه الفئة خصوصا أننا بصدد التكلم عن «الجيل الثالث» من المهاجرين و مستقبلها في المجتمع الفرنسي.

إثارة الموضوع في وسائل الإعلام قد وجه نظرة المجتمع الفرنسي و حكمه على المهاجرين المغاربيين، فهذه الأحياء أو بالأحرى التجمعات السكانية الكبيرة للمهاجرين أصبح ينظر إليها بإزدراء و اشمئزاز كبيرين وأصبحت معظم الآفات الاجتماعية من انحراف وجرائم جنائية تنسب إليها[2].

وقد بينت بعض التحاليل الصحفية أنه بعد الثمانينات تصاعد حجم الكتابة و التحرير حول موضوع الهجرة والمهاجرين في جل وسائل الإعلام الفرنسية، وتغيرت معها تسمية المهاجرين حسب الظرف السياسي، وأصبح المهاجر العامل يسمى تارة «المهاجر السري» و«الإسلامي المتطرف» تارة أخرى، كما أصبح أبناء

[1] NOIRIEL Gérard, 2002, *L'ATLAS de l'immigration en France*, Paris, Éd. Autrement
[2] JAZOULI Adil, 1992, *les années banlieues*, le Seuil, paris

المهاجرين من الأصول المغاربية يسمون من جهتهم بـــ« لي بار» (Les Beurs). و تزامن هذا التصعيد الإعلامي مع التغيير الخطابي في الساحة السياسية اتجاه المهاجرين، حيث أن الإعلام أعطى للعمال المهاجرين مكانة اجتماعية مرموقة من خلال دورهم الإيجابي على الاقتصاد الفرنسي حين كانت فرنسا بأمس الحاجة إليهم، ليطرح بعد ذلك تساؤلات حول هوية هؤلاء ومدى صعوبة إندماجهم في المجتمع الفرنسي كون وجودهم بات ملاحظ من خلال تزايد أعدادهم وكذا تمسكهم بكامل عاداتهم و تقاليدهم.

الملاحظ أن بعض الباحثين في علوم الإعلام والاتصال وكذا علم الاجتماع تطرقوا إلى مواضيع عديدة حول الجالية المغاربية المقيمة بفرنسا وظروف هجرتها وإقامتها، لكن القليل منهم من تطرق إلى دراسة دور وسائل الإعلام في إدماجها وسط المجتمع الفرنسي و تنمية مؤهلاتها الفكرية، الثقافية، السيكولوجية، السوسيولوجية والمهنية بما يتناسب بحضارة البلد المضيف من خلال الصورة التي تُنْعَت بها هذه الجالية في مختلف وسائل الإعلام المكتوبة، المرئية منها و المسموعة، وعلاقة الصورة لتي يرسمها الأخصائيين الإعلاميين للحد من التمييز العنصري، ولهذا فإن مشروع بحثنا يهدف أساسا لتحليل مضمون صورة الجالية المغاربية المقيمة بفرنسا في الصحافة الفرنسية المكتوبة، و حصر عوامل بناء وتشكيل هذه الصورة الإعلامية، ثم التركيز على عوامل تنمية إدماجها وسط المجتمع الفرنسي من خلالها (الصحافة المكتوبة).

نظرا لأهمية الموضوع بالنسبة لجاليتنا المغاربية المقيمة بفرنسا، نركز على تحليل جزء كبير من إشكالية الهجرة حتى يتسنى لنا الكشف عن المكانة الاجتماعية الحقيقية للمهاجرين المغاربيين في نظر وسائل الإعلام الفرنسية المكتوبة. وبعد استعراضنا للمتغيرين الصحافة الفرنسية المكتوبة واندماج المهاجرين المغاربة والذين يرتبطان ويلتقيان في أكثر من نقطة، سوف نتوقف عند دراسة تعرض الصحافة الفرنسية المكتوبة لاندماج الجالية المغاربية المقيمة في فرنسا بكل تفاصيلها في أحداث باريس وضواحيها كموضوع للساعة، ولندقق أكثر فإننا سوف لن نركز على المعالجة الصحفية للمهاجرين المغاربيين فحسب، بل إننا

سنتعرض إلى تحليل الأسس التي من خلالها ترسم صورة المهاجرين المغاربة في الصحف الفرنسية.

بعد تحديد التساؤلات التي نحاول الإجابة عنها، وبناءا على كل ما قيل اعتمدنا إلى تقسيم بحثنا هذا إلى خمسة فصول:

- الفصل الأول: الإشكالية و إطارها المنهجي.

يتناول وضع الإشكالية في إطارها المنهجي، في محاولة لوصف الموضوع من جميع جوانبه مما يرسم لنا منهج الدراسة بعد تحديد الإشكالية العامة للدراسة و كذا أهميتها و أهدافها، مرورا بالفرضيات التي يهدف بحثنا هذا إلى إثباتها أو نفيها كما عُنِي الفصل بوصف التصميم المنهجي، الذي سارت وفقه الدراسة بداية من المنهج و أداة جمع البيانات و العينة و أدوات التحليل و القياس و كذا التطرق إلى الإطار النظري الذي سيتم من خلاله قراءة البيانات و تفسيرها.

- الفصل الثاني: الهجرة المغاربية في الفرنسية.

يتناول جذور هجرة المغاربيين في فرنسا، بداية من الفئة الأولى للمهاجرين إلى أحداث باريس و الضواحي، مرورا بمسيرة عام 1982 الشهيرة (La marche des Beurs). و كذا أزمة اندماج هذه الفئة في المجتمع الفرنسي، و مكانتها في البلدان الأوروبية. و في هذا الفصل حددنا المجال الزمني لدراستنا و هو أحداث ضواحي باريس الأخيرة (نوفمبر2005) ونتطرق فيه بالتحليل إلى مظاهر اندماج المغاربة و الدور الذي تلعبه الصحافة المكتوبة الفرنسية فيه وكذا الصورة التي ترسمها هذه الأخيرة.

- الفصل الثالث : الصحافة الفرنسية المكتوبة.

يتناول الصحافة المكتوبة الفرنسية، نشأتها و ظهورها ووظائفها، و كذا أسطورة حرية الصحافة في فرنسا أين كل وسائل الإعلام تخضع لرقابة الدولة، لنتحدث عن التعددية الثقافية في فرنسا و الصحافة وأزمة المصداقية.

- الفصل الرابع: الهجرة المغاربية في الصحافة الفرنسية.

فيه جمعنا بين المتغيرين : الهجرة المغاربية و الصحافة الفرنسية، و تطرقنا فيه إلى توسط المهاجرين في المجتمع الفرنسي و كذا البناء الإعلامي لصورة

المهاجرين و مدى تأثير الصحافة المكتوبة على الرأي العام الذي يعتبر الإعلام هو أعينه التي يرى من خلالها، أي المعالجة الإعلامية الجيل الثاني و الثالث للهجرة.

- الفصل الخامس: الصورة و النص.. كيف و لماذا ؟

إضافة إلى تحليل النصوص و الصور المتعلقة بالمهاجرين المغاربيين في فرنسا يتطرق الفصل إلى استجوابات مباشرة مع عينة من الصحفيين و المهنيين في وسائل الإعلام الفرنسية المكتوبة، وكذا عينة من المهاجرين المغاربة بمحافظة - METZ MOSELLE، لنحلل فيه المعطيات المستخلصة من خلال الاستجوابات وكذا مجموعة كبيرة من الوثائق والمراجع الإعلامية المكتوبة آخذين جريدة LE FIGARO العالمية نموذجا في دراستنا هذه، لنتجاوز طور النقد البحت للصور والنصوص المنتجة بخصوص الجالية الجزائرية و المغاربية، لنتمكن وبصفة أحسن من فهم الأسباب والعوامل التي عليها تعمل وسائل الإعلام لإنتاج وبث هذه الصور والنصوص.

1.1. تحديد مشكلة الدراسة:

أحداث العنف، هو التعبير الذي يخفي بذكاء جوهر أي تمرد اجتماعي أو وطني أو سياسي، وبعبارة أخرى فإنه التعبير الذي يستبعد من كل حادثة اطرف الصراع، وقضيته. هكذا وصفت أحداث فرنسا التي شمل غضب الفقراء فيها كل أنحاء العاصمة وأكثر من ثلاث مئة بلدة أخرى لمدة فاقت ثلاثة أسابيع، وشاركت فيها أكثر من عشرين جالية مهاجرة بفرنسا. وقد بدأ الأمر بمقتل شابين يوم 27 أكتوبر في ضاحية «كليشي سوبوا» على يد الشرطة الفرنسية. وأجّجت تلك الحادثة الصغيرة غضب وثورة الآلاف في الضواحي البائسة التي حُرم سكانها من الخدمات و المرافق و فرص العمل والتأمينات الاجتماعية والتعليم، وانتشرت بينهم المخدرات والجرائم والبطالة، علاوة على شعورهم المتصل بالتمييز العنصري. الى حد أن صرّح آنذاك وزير التضامن الاجتماعي بأن على فرنسا أن تعترف بأنها: «أخفقت منذ عقود في التعامل مع الغضب المتزايد في الضواحي الفقيرة.» الغضب الذي لا يحس به سوى سكان أطراف المدينة، و الذي ضل و لفترة زمنية طويلة خفيا عن نظرة الرأي العام، بفعل وسائل الإعلام التي طالما تسترت عن الظروف الاجتماعية المزرية التي يعيشها المهاجرين القاطنين عموما ضواحي المدن و همشتها و بررتها بما يخدم أصحاب وسائل الإعلام و كذا الطبقة السياسية. الإهمال و اللامبالاة الذيْن زادا من الأوضاع حدة إلى درجة التفاقم و التعفن. إذ لم يصبح بمقدور لا أجهزة الدولة و لا أجهزة الإعلام احتواء الأزمة.

فمن منظور وسائل الإعلام الغربية عامة و الفرنسية خاصة، لا يستطيع أحد أن يدّعِي أن فرنسا بجلال قدرها تعاني من أزمة ديمقراطية، ومع ذلك فإن أحداث العنف بينت أن عزل الديمقراطية عن القضية الاجتماعية لا ينتهي إلا بذلك الفشل الذريع الذي أوشك أن يحول باريس من عاصمة للنور إلى عاصمة للنار .

فلا الأعداد الضخمة من الصحف، ولا قنوات التلفزيون، و لا محطات الراديو، ولا البرلمان، ولا جمعيات حقوق الإنسان، ولا الأحزاب المتعددة، ولا حرية التعبير، استطاعت أن تنفي أن الأزمة هي أزمة عدالة و إنصاف اجتماعي و اقتصادي، وأن الديمقراطية إذا لم تكن سبيلا ووسيلة إلي العدالة، تصبح مجرد

ديكور تزين وسائل الإعلام به الجماعات السياسية، وتزين به المجتمع ككل، لكي تخفي طرفي الصراع وقضيته.

لا يختلف اثنان في أن هذه الأحداث ليست وليدة ظروف، وعوامل حديثة أو عارضة، بل هي أزمة متجددة تمتد عبر سنوات طويلة بطول المراحل التي مرت بها الهجرة في فرنسا عامة و المغاربية على وجه الخصوص، لكنها طفت إلى السطح وظهرت جليا في بداية الثمانينات. ولعل من حاول دائما تهميشها هو الذي أخرجها من التجاهل و اللامبالاة.

مما سبق، يهدف بحثنا إلى تطويق موقف وسائل الإعلام الفرنسية المكتوبة وذلك في سياق السياسة المنتهجة في المعالجة الإعلامية للمهاجرين المغاربيين، و بعبارة أخرى، على أي أساس ترسم الصحافة صورة هؤلاء؟، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي من خلال دراسة عينة مُمَثِلة للصحافة الفرنسية على اختلاف توجهاتها، ومن خلال ملاحظتنا الشخصية، بسيطة كانت أو بالمعايشة، و كذا المقابلات التي خصّت رجال الصحافة، بمختلف أنواعها، على مستوى المناطق الرئيسية التي تتمركز بها الجالية الجزائرية. نظرتهم إليها، وكذا حصر دورهم ومساهمتهم في إدماج فئة المهاجرين.

إذا كان من السهل علينا ملاحظة مظاهر أزمة المهاجرين من خلال اضطراب استقرارهم، فإنه من الصعوبة بمكان، تحديد طبيعتها وعلاقتها بالصحافة الفرنسية المكتوبة.

أول ما يمكن أن نتساءل حوله هو:

- ما موقف الصحافة الفرنسية من الجالية المغاربية؟
- ما هي عوامل بناء الصورة والنص المتعلقة بالهجرة المغاربية؟
- ما مدى مساهمة الصحافة الفرنسية في توجيه الرأي العام الفرنسي نحو الجالية المغاربية؟

إلى جانب ذلك يمكن طرح تساؤلات فرعية منها:

- ما مدى تأثر الرأي العام الفرنسي بوسائل الإعلام؟
- ما مدى تقبله لفكرة إدماج الجالية الجزائرية؟

2.1. فرضيات الدراسة:

نطرح في بحثنا هذا عدة فرضيات أهمها:

- تقدم الصحافة الفرنسية صورة مشوهة للمهاجرين عبر المعالجة الإعلامية.
- تركز الصحافة الفرنسية في معالجتها الإعلامية على السلبيات الصادرة عن المهاجرين أكثر من الإيجابيات.

3.1. أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

إن الأحداث والتطورات التي حصلت في فرنسا مؤخرا خاصة أحداث باريس 2005 أسالت الكثير من الحبر، و الأزمة الحالية التي يعيشها المهاجرون المغاربيون، إحتلت صدارة الأبحاث حاليا، فاختيارنا إذن لهذا الموضوع ليس فقط من باب إنجاز مذكرة تخرج وإنما لأسباب ودوافع عديدة خاصة وأنه متمم لأبحاث سابقة حول نفس الموضوع، فما يعيشه المغاربييون في فرنسا و يتخبطون فيه من مشاكل و ظواهر كثيرة أفرزتها سنوات من التهميش، الإقصاء، و التمييز العنصري، جدير بالدراسة والتحليل ومن بين أهم الأسباب التي جعلتنا نهتم بهذا الموضوع دون غيره هو حداثته وأهميته التي تجلت في الفترة الأخيرة.

أما عن أهمية الدراسة فتتمثل فيما يلي:

- كونها قضية رأي عام شغلت الكثيرين، وأثرها بدأ واضحا في كل المجالات.
- تناولنا لهذا الموضوع، جاء متماشيا مع الطرح المتواصل الكثير من القضايا المصيرية الجالية المغاربية المقيمة في فرنسا.
- محاولة تقديم تفسيرات وتحليلات لهذا الموضوع من خلال تتبع مراحل اندماج المغاربة في منظور الصحافة المكتوبة، وكذا الدور الذي تلعبه هذه الأخيرة (سلبي أو إيجابي) في الحد من التمييز العنصري.
- دوافع ذاتية ذات صلة بالمعايشة الشخصية للتمييز العنصري.
- يعالج الموضوع قضية حساسة تتعلق بمصير فئة إجتماعية بأكملها، من خلال أحكام مجتمع البلد المضيف و المبنية على الإعلام.

4.1.أهداف الدراسة:

إن القيام بأية دراسة يكون هدفها الرئيسي هو محاولة الوصول إلى تشخيص أو علاج ظاهرة معينة مرضية كانت أو سليمة، وهدفنا الرئيسي هو الكشف عن الأسس و المبادىء التي عليها تصور الصحافة المهاجرين المغاربيين و الدور الذي تلعبه هذه الأخيرة في إدماج الجالية المغاربية من عدمه، ومعرفة الظواهر الأخرى التي تربط مغاربيي فرنسا بالمجتمع الفرنسي و كذا الصحافة الفرنسية المكتوبة، وإبراز التأثير المتبادل بين الصحافة والإدماج، فنحن نحاول تحديد طبيعة تأثير الصحافة المكتوبة في الصورة التي يرى فيها الفرنسيون المغاربيين ويمكن إيجاز أهداف هذه الدراسة فيما يلي:

- تلبية مطلب مكمل لنيل شهادة الماجستير و مؤشر تحصيل جامعي على مدة ستة سنوات.
- يعتبر اندماج المغاربة موضوع الساعة، وحديث العام والخاص في فرنسا، وقد أدى الانتشار الواسع لأحداث باريس إلى تحفيزنا لخوض في هذا الموضوع، ومحاولة الكشف عن أسبابها وأبعاده لتحديد طبيعتها.
- محاولة جديدة يمكن الاستفادة منها مستقبلا.
- هدف علمي يتمثل في تطبيق المنهج العلمي في حقل الدراسات الإعلامية والتحصيل. ..إلخ.
- الكشف عن أهمية الصحافة المكتوبة الفرنسية في مجال الإعلام و توجيه الرأي العام، ومدى اهتمامها بالتطورات التي يعيشها المغاربيين في فرنسا.

5.1. منهج الدراسة:

المنهج هو الطريقة التي يعتمدها الباحث للوصول إلى هدفه المنشود، وظيفته في كافة العلوم هي استكشاف المبادئ التي تنظم الظواهر على اختلاف أنواعها عامة، و الإنسانية بصفة خاصة. و تؤدي إلى حدوثها حتى يمكن على ضوئها تفسيرها و ضبط نتائجها و التحكم بها[3].

يشير مصطلح الأسلوب العلمي إلى ذلك الإطار الفكري الذي يعمل بداخله عقل الباحث، في حين أن كلمة (منهج البحث) تعني الخطوات التطبيقية لذلك الإطار الفكري، فمن الناحية اللغوية يتقارب كثيرا معنى كل من أسلوب ومنهج، و لكن نقصد بهذا التمييز التوضيح والتفسير، ففي أي دراسة علمية تتخذ العمليات العقلية في ذهن الباحث ترتيبا وتنظيما متكاملا يوجه خطواته التطبيقية، ولذلك نفضل أن يستقل كل مصطلح بجانب من الجانبين، بحيث تستعمل كلمة «أسلوب» لتشير إلى الجانب التطبيقي لخطوات البحث، أما بخصوص خطوات الأسلوب العلمي في التفكير، فهي تكاد وتكون هي نفسها خطوات أي منهج بحثي، مع وجود بعض التفاصيل التي تختلف باختلاف مناهج البحث، إلا أن الأسلوب الفكري هو الذي ينظم أي منهج بحثي.

فبعد وضع فروض الدراسة، وجب اختبارها. و كان أنسب منهج لدراستنا هذه هو استعمال المنهج الوصفي التحليلي مع أسلوب تحليل المحتوى، وذلك بهدف الوصف الموضوعي الكمي المنظم لمحتوى موضوع الدراسة (صورة المهاجرين المغاربيين في الصحافة المكتوبة الفرنسية) و يسعى إلى تحديد العوامل والظروف التي عليها تبنى المقالات الصحفية المكتوبة. و يقوم المنهج الوصفي التحليلي على وصف ظاهرة من الظواهر للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها.

البحث عن المعنى الذي يحمله النص، القصد التبليغي المضمر داخل الموضوع، الرسالة الكامنة في النص، والمراد تبليغها إلى طرف ما. تلك هي أبرز المعطيات التي يتوقف عندها موضوعنا (تحليل المضمون)، وآليات الاشتغال لا

[3] محاضرات في منهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 46

تتوقف عند نوع بذاته، أو تكرس تطلعاتها نحو غاية بعينها، بقدر ما تتوجه نحو التطبيق المباشر و العملي في مختلف وسائل الاتصال بحثاً عن تحليل المحتوى والوقوف على المعاني، من خلال طرق ووسائل استخدام الشفرات والرموز وصولاً إلى مضمون الرسالة، التي تتمظهر في أكثر من شكل وصورة وبنية. فيتيـــح لنا تحليل المضمون الوقوف على العديد من المعطيات الإدراكية، وفقاً للمرونة الكامنة فيه، كأداة منهجية خاضعة للاستدلال المنطقي ببعديه، من العام إلى الخاص حيث الاستنباط، أو من الخاص إلى العام حيث الاستقراء.

لا تتوقف عناية تحليل المضمون، بالكشف عن النص المكتوب، بل تتخطاها نحو اللغة الشفهية والصورة والمواقف والأصوات، الإشارات والإيماءات والحركات (من خلال الملاحظة، العينة و المقابلات). وعلى هذا يكون السعي نحو التحليل بلوغاً إلى المعنى، استناداً إلى إحصاء مفردات بعينها داخل النص، والعناية بتصنيف علوم البلاغة والعلوم المتفرعة عنه حيث علم المعاني الذي يعنى بتكوين الجملة وأنواعها، والأسلوب المستخدم إيجازاً، مساواة أم إطناب، وعلم البيان حيث التشبيه والمجاز والكناية، وعلم البديع حيث المحسنات اللفظية والمعنوية[4]. و يلعب الأسلوب الإحصائي دوراً بالغ الأهمية في تحديد المضامين المستهدفة، حيث يتم الوقوف على صياغات وكلمات يستخدمها كل طرف إزاء الآخر وصولاً إلى تحديد موقفه وميوله واتجاهاته.

ويشمل المنهج الوصفي التحليلي أكثر من طريقة و اتبعنا طريقة المسح اعتمادا على نظام العينات، و اخترنا بذلك العينة الدائرية المنتظمة، التي من خلالها درسنا الظاهرة بشكل عام، محيطين بكافة عواملها وأسبابها. و لجأنا لنضام العينات لكثرة الأعداد و المقالات التي تتناول موضوع دراستنا. و راعـــينا في طريقة المسح (المسح باستعمال نظام العيينات) أن تكون العينات التي ستـــُدرس، ممثلة للمجتمع (الصحف) لتكون النتائج أيضاً ممثلة للمجتمع وراعينا أيضاً أن تفسر الإحصائيات التي يُحصل عليها تفسيراً سليماً.

[4] هادي نعمان الهيتي، صحافة الأطفال في العراق، دار الرشيد، بغداد 1979، ص12

6.1. تحديد المفاهيم:

إن عملية تحديد المفاهيم شرط من شروط المعرفة العلمية الصحيحة، وأحد الطرق المنهجية في تصحيح البحوث، فهي تُجنبنا الوقوع في سوء التفاهم، و المتاهة في عالم الأفكار والنظريات، فالمفاهيم الاجتماعية تعاني من صعوبات، تتصدرها النسبية وعدم الثبات الكافي لقيام بناء معرفي ثابت، كما أنها قد تحمل معان عامية ودارجة كثيرا ما تختلط مع معانيها العلمية فتشوه صورتها ووضوحها كما تعاني أيضا من مشكلة التعدد في المنطلقات الإيديولوجية والفكرية المختلفة الأمر الذي يترتب عليه التنوع الإستخدامي للمفهوم الواحد، وبذلك تتداخل أمام الباحث كثرة الاستعمالات المفهوم الواحد فيتيه أيها يختار، ومن هنا يجدر بنا تحديد معاني المفاهيم الآتية:

1.6.1. الصحافة: تعددت تعريفات الصحافة واختلفت تبعا لاختلاف المنطلقات الفكرية لهذا المفهوم، وفي دراستنا هذه سنكتفي باستعراض أبرزها وأشملها معنى:

• المفهوم اللغوي للصحافة: لقد ورد لفظ «الصحف» في القرآن الكريم في صورة الأعلى في الآيتين 18-19 «إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى» والمصحف بكسر الميم وضمها وفتحها هو الجامع للصحف المكتوبة بين دفتين. وفي المعجم الوجيز تم تعريف الصحافة كما يلي: إنها مهنة من يجمع الأخبار والآراء وينشرها في صحيفة أو مجلة، والنسبة إليها صحافي والصحفي هو من يزاود حرفة الصحافة والصحيفة ما يكتب فيه من ورق ونحوه، ويطلق على المكتوب فيها والجمع صحف، والصحف هي مجموعة من الصفحات تصدر يوميا أو في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة وما يتصل بذلك. كما تم تعريفها طبقا للموسوعة العربية المسيرة: بأنها صناعة إصدار الصحف باستقاء الأنباء وكتابة المقالات وجمع الإعلانات والصور ونشرها في الصحف والمجلات وتولي إدارتها.

• المفهوم الإصطلاحي للصحافة: من أشهر ما قيل عن الصحافة هو قول نابليون بونا بارت «الصحافة ركن من أعظم الأركان التي تشيد عليها دعائم الحضارة

والعمران» ويقول الفيكونت فيليب دي طرازي في الجزء الأول من كتابه تاريخ الصحافة العربية «أن أول من إستعمل كلمة الصحافة بمعناه الحديث الاصطلاحي كان الشيخ نجيب الحداد منشئ جريدة العرب بالإسكندرية، ويعرف الصحافة بأنها صناعة الصحف والصحف جمع قرطاس مكتوب والصحافيين القوم الذين ينسبون إليها ويعملون فيها». ويعرفها الأستاذ عبد العزيز مطر في دراسة تحت عنوان الصحافة في المعجم الجديد إذ يقول «الشائع الآن إستخدام كلمة الصحافة للدلالة على معنيين معنى مقابل لكلمة JOURNALISME أي المهنة الصحفية ومعنى مقابل لكلمة PRESSE أي مجموعة ما ينشر في الصحف». وهناك من يعرفها بأنها « مطبوع دوري ينشر الأخبار السياسية والإقتصادية والثقافية والعلمية والتقنية والتاريخية ويشرحها ويعلق عليها» كما تعرف أيضا بأنها «العلمية الإجتماعية لنشر الأخبار والمعلومات الشارحة إلى جمهور القراء من خلال الصحف المطبوعة، لتحقيق أهداف معينة».

ويكاد يجزم الباحثون بصعوبة إيجاد تعريف جامع مانع للصحافة، يجمع بين محدداتها ومتطلباتها التي تميزها تمييزا دقيقا، ولهذا نجد كما رأينا أن المحاولات الخاصة بتعريف الصحافة ترتبط أساسا بإيجاد التعريف أو محاولة توظيفه، ومن هنا كان التعدد المداخل الخاصة في تعريف الصحافة التي تشارك في تحديد المفهوم.

• المفهوم الإجرائي : الصحافة مطبوع دوري يصدر في مواعيد منتظمة يحمل في طياته مادة خبرية تتعلق بكافة الميادين (اقتصادية، سياسية، اجتماعية ...الخ). تتناولها بالشرح والتعليق لإشباع فضول القارئ وجعله على بينة بالمستجدات في مختلف المجالات.

2.6.1. الهجرة: هجر، يهجر، هجرا. هجر الرجل: أي تباعد، الهجر هو ترك يلزمك تعهده. قال قيس إبن الملوح: «فيا حبذا إعراض ليلى و قولها، همهمت بهجر و هي بالهجر همت».

• الهجرة في اللغة: هي الخروج من الأرض إلى أخرى، أي انتقال الأفراد من

مكان إلى آخر سعيا إلى الرزق أو طلب العلم، أي أن يترك شخص أو جماعة من الناس مكان إقامتهم لينتقلوا للعيش في مكان آخر، وذلك مع نيّة البقاء في المكان الجديد لفترة طويلة، أطول من كونها زيارة أو سفر. و من ابرز التعريفات الواردة في الهجرة ما قدمه العالم الأمريكي (لايفي) الذي يرى أن تحركات البشر تصنف إلى ثلاثة أنواع و هي:

- التحرك من محل إقامة ثابت.
- الارتحال أو التنقل الدائم.
- نقل محل الإقامة أو تغييره بصفة دائمة.

و هذا التصنيف ينسجم مع مفهوم الحراك الاجتماعي بشكل يتضمن الهجرة بالمفهوم الواسع و هو يقوم على أساس متغير المكان و الزمان بالنسبة للتنقل و تغيير مكان الإقامة بصفة دائمة. إذا ما تفحصنا أسباب الهجرة نجد أنها تنطوي عموما على مفهوم المسافة، سواء داخل القارة الواحدة أو بين القارات. و تدعى حركة مجموعة من الأفراد داخل الحدود الإقليمية لدولة ما هجرة داخلية، أما تغيير المكان الموجه لمجموعة من الأفراد إلى خارج حدود دولة فيسمى بالهجرة الخارجية.

3.6.1. الصورة الذهنية: بدأ استخدام مصطلح الصورة الذهنية (Image) عندما أصبح لمهنة العلاقات العامة تأثير كبير على الحياة الأمريكية مع بداية النصف الثاني من القرن الماضي، و قد كان لظهور كتاب: «تطوير صورة المنشأة » (Developing The Corporate Image) للكاتب الأمريكي بريست LEE Briste في عام 1960، أثر كبير في نشر مفهوم صورة المنشأة بين رجال الأعمال، و ما لبث هذا المصطلح أن تزايد استخدامه في المجالات التجارية و السياسية و الإعلامية و المهنية. و قد تبلور هذا المصطلح في مجال العلاقات الدولية بشكل واضح في عام 1965، حينما ظهر كتاب «السلوك الدولي» (Behavoir International) الذي اشترك في تأليفه هربرت كيلمان Kelman مع جماعة من زملائه من علم النفس و الباحثين في مجال العلاقات الدولية.

• المفهوم اللغوي للصورة: وردت عدة تعريفات للصورة، فيرى جميل صليبا[5] في المعجم الفلسفي أنها: الشكل الهندسي، المؤلف من الأبعاد التي تتحد بها نهايات الجسم. و هي الصفة التي يكون عليها الشيء، كما في قوله تعالى: «إن الله خلق ادم على صورته». و عرفت الصورة على أنها النوع، إذ يقال، هذا الأمر على ثلاث صور أي على ثلاثة أنواع. و تطلق الصورة على ترتيب الأشكال و وضع بعضها مع بعض، و اختلاف تركيبها و تسمى بالصورة المخصوصة. أو تطلق على ما يرسمه المصور بالقلم أو آلات التصوير، أو ارتسام خيال الشيء في المرآة... الخ من التعريفات اللغوية. مما سبق يتضح لنا أن للصورة جانبان، جانب مادي كالصورة الفوتوغرافية مثلا. و جانب حسي و معنوي، كالصورة الذهنية و هو ما نركز عليه في دراستنا هذه.

• المفهوم الاصطلاحي للصورة الذهنية: الصورة (Image) مصطلح مشتق من كلمة لاتينية تعني «محاكاة» (Imitation)، و معظم الاستخدامات السيكولوجية القديمة و الحديثة لهذا المصطلح تدور حول نفس المعنى، أو مرادفة له في مجال الاستخدامات السيكولوجية، مثل النسخة، إعادة الصورة الأخرى.

يعرف قاموس «ويبستر» الصورة الذهنية بأنها: « التقدم العقلي لأي شيء، لا يمكن تقديمه للحواس بشكل مباشر، أو محاكاة لتجربة حسية ارتبطت بعواطف معينة، أو تحيل لما أدركته حواس الرؤية أو السمع أو اللمس أو الشم أو التذوق»

يرى «كينيث بلدنج» Kenneth Boulding في كتابه الرائد «الصورة»[6]، أن الصورة الذهنية تتكون من تفاعل معرفة الإنسان بعدة عوامل منها، المكان الذي يحيا فيه الفرد، موقعه من العالم الخارجي، العلاقات الشخصية، و روابط الأسرة، و الحيوان، و الجيران، و الأصدقاء المحيطون به، و الزمان و المعلومات التاريخية و الاجتماعية التي يحصل عليها.

[5] جميل صليبا، المعجم الفلسفي ج1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1994، ص 741-742

[6] Kenneth Boulding, 1956, *The Image*, University of Michigan Press, pp. 64-81

يرى كل من «روبينسون» و «بارلو» أن كلمة (Image) تشبه إلى حد كبير كلمة (Stereotype) «النمط الجامد» و أنها ترتبط مثلما «بالتحيز» (Préjudice) تلك الكلمة التي تعني في أصلها اللاتيني «الحكم المسبق» (Prejuding) أو التسرع في الحكم قبل توافر الأدلة، كما يعتبر «هاملتون» «أن الصورة النمطية المقولية هي نظام العقائد الراسخة في أذهان الأفراد»، في حين يعتقد «هاسلام» أن في العديد من الاصطلاحات الأساسية يمكن تعريف الأنماط الصورية المقولية كمجموعة من العقائد حول أخلاقيات مجموعة من الناس تحاول مجموعة أخرى نبذها من حياتها و وجودها بشكل واضح، و من هنا فإن «كوندور» يرى في الصور النمطية المقولية «نوعا من التمييز العنصري الذي تمارسه الأكثرية من ضد الأقلية، لأن تلك الصورة هي الهوية الاجتماعية لتلك الأقلية»، و لهذا يعتقد «تاجفيل» بأن الصورة النمطية المقولية تتحول إلى مشكلة اجتماعية عندما تتشارك مجموعة من الناس في الإيمان بها ضمن التكوين الاجتماعي لتلك المجموعة، و بذلك تتحول تلك المشاركة إلى نوع من العزل الاجتماعي للمجموعة الأخرى.

• المفهوم الإجرائي للصورة الذهنية: لقد تعددت مدلولات و تعريفات الصورة الذهنية، و نخلص التعريفات السابقة إلى التعريف الذي قدمه علي عجوة حول الصورة الذهنية. إذ يرى أنها: الناتج النهائي للانطباعات الذاتية التي تتكون عند الأفراد، أو الجماعات إزاء شخص معين أو نظام معين، أو شعب أو عرق أو جنس بعينه، أو منشأة أو مؤسسة أو منظمة محلية أو دولية أو مهنة معينة، أو أي شيء آخر، يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان، و تتكون هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة، و ترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد و اتجاهاتهم بغض النظر عن صحة المعلومات التي تتضمنها خلاصة هذه التجارب، و هي تمثل بالنسبة لأصحابها واقعا صادقا ينظرون من خلاله إلى ما حولهم، و يفهمونه أو يقدرونه على أساسها.

7.1.أدوات جمع البيانات:

أداة البحث هي الوسيلة التي يجمع بها الباحث بياناته، وليس هناك تصنيف موحد لهذه الأدوات، حيث تتحكم طبيعة فرضية البحث في اختيار الأدوات التي سوف يستعملها الباحث، لهذا كان عليه أن يلم بطرق عديدة وأساليب مختلفة وأدوات متباينة، كي يستطيع أن يحل مشكلة البحث والتحقق من فروضه.

و قد استفدنا و وظفنا أكثر من أداة واحدة في بحثــنا، و أول ما وجب علينا هو الملاحظة، اختيار عينة الدراسة و دراستها، ومن ثم رأينا ضرورة اللجوء إلى و المقابلة و تحليل المضمون للتحقق من فرضياتــنا.

1.7.1. الملاحظة:

الملاحظة تعد من أقدم طرق جمع البيانات والمعلومات الخاصة بظاهرة ما، كما أنها الخطوة الأولى في البحث العلمي وأهم خطواته، و تعني الملاحظة بمعناها البسيط: الانتباه العفوي إلى حادثة أو ظاهرة أو أمر ما، أما الملاحظة العلمية فهي انتباه مقصود ومنظم ومضبوط للظاهرات، الحوادث أو الأمور، بغية اكتشاف أسبابها وقوانينها. فكل ملاحظة منهجية تؤدي إلى الكشف عن دقائق الظاهرات المدروسة، وعن العلاقات بين عناصرها وبينها وبين الظواهر الأخرى.

و وردت عدة تعريفات للملاحظة نذكر منها أنها: عملية مراقبة أو مشاهدة لسلوك الظاهرات والمشكلات والأحداث، ومكوناتها المادية والبيئية، ومتابعة سيرها واتجاهاتها وعلاقاتها بأسلوب علمي منظم ومخطط وهادف، بقصد التفسير وتحديد العلاقة بين المتغيرات، والتوقع بسلوك الظاهرة أو توجيهها لخدمة أغراض الإنسان وتلبية احتياجاته. و عرّفها البعض: بأنها وسيلة يستخدمها الإنسان العادي في اكتسابه لخبراته ومعلوماته، على أن يتبع الباحث في ذلك منهجًا معينًا، يجعل الباحث من ملاحظاته أساسًا لمعرفة أو فهم دقيق لظاهرة معينة.

تتدرج الملاحظة من الملاحظة العفوية إلى الملاحظة المضبوطة الدقيقة الموجهة العلمية، وتتطلب هذه الأخيرة، تخطيطًا واعيًا واختبارًا لجانب أو جوانب معينة في موقف معين و وقت محدد وظروف دقيقة ومضبوطة، وفي معظم الأحيان

تتطلب استخدامًا لوسائل وأدوات، وهذا ما دعا العلماء إلى تسميتها بالملاحظة المسلحة، وتميزها عن الملاحظة العزلاء التي تتم بوساطة الحواس.

ليست الملاحظة إلا خدمة للإدراك، و ما يميز الملاحظة الدقيقة هو الانتباه، عدم التحيز، الإحساس و الذي نقصد به الحواس السليمة. و كذا الإدراك، وهو تفسير الإحساس في ضوء أمور من بينها الخبرة السابقة والمقولات العقلية والمنطقية. و من معوقات الملاحظة الدقيقة: احتمال حدوث أخطاء في الإدراك أكبر بكثير منه في الإحساس، فقد تعمل اهتمامات الباحث الشخصية على رؤية ما يريد رؤيته، ويقف هذا عــقبة في سبيل الملاحظة الموضوعية، كما يتضح أن الإدراك عرضة للتحريف والتشويه، لذلك كان لا بد علينا من الحذر، وهذا هو السبب في أن يرى شخصان حادثًا واحدًا فيفسرانه تفسيرًا متباينًا. لهذا، وجب علينا تجنب كل الأسباب التي تمنع دقة ملاحظاتنا، و لجأنا إلى كل الوسائل التي تعين على الانتباه ودقة الإحساس وضبط الإدراك وسلامته.

تقسم الملاحظة إلى نوعين، ملاحظة بسيطة بدون مشاركة: حيث يقوم الملاحظ بدور المتفرج و هو ما كنا عليه قبل الهجرة إلى فرنسا، إذ كنا نلاحظ كل ما يتعلق بالجالية المغاربية من خلال الإعلام الفرنسي. و الملاحظة بالمشاركة، و التي اعتمدنا عليها بقوة في بحثنا هذا، حيث عشنا حدث دراستنا هذه نفسه، وكنا عضوًا مندمجا إلى أقصى الأبعاد في كلا الجماعتين التي لاحظناها، جماعة المهاجرين من جهة، إذ كنا نقطن و لمدة فاقت العام و النصف في حي في أطراف مدينة ماتز، أين الأغلبية الساحقة للسكان من أصول مغاربية، و من خلال معاشرتنا لهذه الفئة من الجيل الثاني و الثالث للمهاجرين المغاربيين و مشاركتهم الحياة الاجتماعية كان لنا ملاحظات عميقة اتجاه ما يعانوه و ما يتسببون فيه. و جماعة رجال الإعلام من جهة أخرى، إذ أننا باحثين في مخبر الدراسات و الأبحاث حول الإعلام[7]، و كانت لنا الفرصة في معايشة فئة كبيرة من رجال الإعلام الفرنسيين، سواء كانوا أساتذة لنا، أو من خلال الملتقيات الدولية، إضافة إلى مشاركتنا في

[7] Centre des Recherches sur les Médiations – Université de Metz

إحدى اكبر أبحاث المخبر[8] (تعتبر ذات طابع عالمي) مستعملين فيها أحدث التقنيات التكنولوجية و التي تدرس المعالجة الإعلامية المهاجرين و دور الإعلام. و أخيرا من مزايا الملاحظة بالمشاركة، أنها أعطتنا معلومات غزيرة وإلمامًا بالظاهرة ومصداقية أكبر في المعلومات.

أنواع الملاحظة من حيث إجراءاتها:

- الملاحظة العفوية البسيطة: أي غير المقصودة أو المضبوطة، وهي بداية للملاحظة العلمية، تنجم عنه فرضية تحتاج إلى بحث وتدقيق، وتستخدم في الدراسات الاستكشافية: كملاحظة سلوك شخص بشكل مباشر دون تخطيط مسبق.
- الملاحظة المقصودة والمضبوطة والمنظمة: أي غير المباشرة، وهي الملاحظة العلمية بالمعنى الصحيح، توجهها فرضية معينة أو نظرية محددة، وتتم في ظروف مخطط لها، وتتم حينما يحدد فيها الباحث المشاهدات التي يريد أن يجمع عنها بيانات.
- الملاحظة الفردية والملاحظة الجماعية: ولكل منهما موجبات واستعمال تفرضها طبيعة البحث.

2.7.1. العينة:

العينة هي أداة من أدوات البحث العلمي، و هي فئة تمثل مجتمع أو جمهور البحث، أي جميع مفردات الظاهرة التي يدرسها الباحث، أو جميع الأفراد أو الأشخاص أو الأشياء الذين يكونون موضوع مشكلة البحث. فهي فئة تمثل مجتمع البحث، و يقصد من المجتمع في بحث العينات كامل أفراد أو مشاهدات أو أحداث أو أشياء موضوع البحث، ويقصد بالعنصر: أحد مفردات أو مشاهدات أو أحداث المجتمع موضوع البحث. فالعينة هي مجموعة جزئية من المجتمع موضوع البحث، والمفردة هي إحدى المفردات أو المشاهدات التي تم اختيارها ضمن العينة.

[8] *Les traductions médiatiques de l'immigration : (re)production, (re)présentations et réception des images - textes*. Programme d'études pour le FASILD (Fonds d'Action et de Soutien pour l'Intégration et la Lutte contre les Discriminations) 2003/2008 sur les représentations de l'immigration et rôle des médias.

ولقد تطورت نظريات العينات في بداية القرن العشرين، ففي عام 1908 صدرت أعمال «استيودنت» التي لعبت دورًا كبيرًا في تطوير نظرية العينات، خاصة ما أصبح يسمى بالعينات الصغيرة، وخلال الحرب العالمية الثانية، وبهدف ضبط اقتصاد الدول المتحاربة، و الإحاطة باتجاهات تطورها، تطورت نظرية العينات تطورًا سريعًا نظريًّا وعمليًّا، واستمر ذلك حتى الآن، حيث أصبحت هذه النظرية تستخدم على نطاق واسع، لدراسة مختلف الجوانب.

هذا ولجأنا إلى طريقة العينات لعدة أسباب أهمها، أنها أقل كلفة و عناء من طريقة الحصر الشامل، و كذا عدم إمكانية إجراء حصر كامل لعناصر مجتمع الدراسة الأصلي في بحثنا، فالعينة المثالية جزء من الكل، تمثله تمثيلًا صحيحًا وتحت شروط مضبوطة. إضافة إلى عدم توفر، لا الوقت ولا الإمكانيات للقيام بدراسة شاملة.

مزايا العينة وعيوبها: تتميز دراسة العينة بأنها:

- تمثل الموضوع الأصلي: أي أفراد مجتمع البحث أو جميع مفردات الظاهرة.
- إن دراسة جميع مفردات الظاهرة أمر يتطلب وقتًا وجهدًا وتكاليف مادية قد لا تمكن الباحث من إجراء بحثه، والعينة تغنيه عن ذلك.
- تحقق العينة أهداف الباحث، إذا تمت وفق شروط مضبوطة.
- تضعف إمكانية ضبط الرقابة والدقة، مع زيادة حجم البيانات والجهد المطلوب لجمعها، واستخدام العينة يحد من ذلك.
- إذا كان الموضوع المدروس متجانسًا، فإنه يمكن تعميم النتائج على جميع أفراد هذا الموضوع.

ما عيوب العينة فهي:

- عدم إمكانية العينة حصر كامل لعناصر موضوع الدراسة الأصلي، إذا كان متباينًا.
- يتطلب اختيار العينة في الموضوع الأصلي المتباين زيادة في حجم العينة، لتشمل أفراد جميع الفئات.

- بعض التصميمات التجريبية تتطلب وجود مجموعة تجريبية، ويعنى هذا، أن نختار حجمًا كبيرًا للعينة بحيث تمثل أفراد الموضوع الأصلي.
- النتائج الدقيقة تتطلب عينة كبيرة الحجم، بهدف تعميم النتائج على الموضوع الأصلي.
- قد لا يكون أسلوب البحث المستخدم مناسبًا للاختيار.
- قد لا تتوافر الدقة اللازمة في الاختيار، وفي هذه الحالة لا تمثل العينة الموضوع الأصلي كما

بعد بناء استمارة تحليل المحتوى لـــجانا إلى التعامل مع عينة الدراسة محل التطبيق لجمع البيانات اللازمة، فكان «المجتمع المستهدف» أمامنا هو الصحافة الفرنسية اليومية، قمنا بإختيار عينة المصدر التي تمثل «المجتمع المتاح» و هي جريدة «LE FIGARO» و المكتوبة باللغة الفرنسية، وشملت دراستنا إصدارات سنة كاملة من الأعداد أي مجموع 313 عدد. ثُم وبطريقة المجتمع الأسبوع الصناعي و العينة الدورية، تحصّلنا على العينة اللازمة التي نستخلص منها مادة التحليل الخاصة بالمواضيع التي تناولت المواضيع المتعلقة عموما الهجرة المغاربية المقيمة بفرنسا و كذا المتعلقة بأحداث باريس و الضواحي. وكانت أمامنا ضوابط زمنية لإختيار العينة بطريقة عشوائية مع مراعاة القصدية في إختيار العدد الأول الذي تُبْنى عليه الاختيارات الأخرى، لكن بما أن الأحداث بدأت بتاريخ (05/11/02) قد حُصِر الحيز الزمني ليتكون أمامنا إثنا عشر اختيارا للعينة بداية من الشهر الذي بلغت فيه الأحداث أعلى مستويات الإثارة من تخريب و حرق و تكسير، و هو شهر نوفمبر الذي اعتبرناه مَرْكز عيينتنا من حيث المجال الزمني. لعدم توافق طريقة السحب العشوائي للاختيارات المكتوبة على قصاصات ورقية (متجانسة في الشكل و اللون)، إذ تحصلنا في كل مرة على إختيار سرعان ما استبعدناه نظرا لعدم حصولنا على مادة تحليلية في مُعظم أعداده، إذ أن كل الأعداد كانت تقريبا خالية من مواضيع الأحداث أو غير معبرة عنها. لنتحصل على توزيع

أعداد العينة المختارة وفقا للأسبوع الصناعي الفرنسي كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم 01: توزيع أعداد العينة المختارة وفقا للأسبوع الصناعي الفرنسي

الأشهر	الأسابيع	الأيـــــــام					
		الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
جوان	الثاني		05/06/14				
جويلية	الثالث			05/07/20			
أوت	الرابع				05/08/25		
سبتمبر	الأول					05/09/09	
أكتوبر	الثاني						05/10/15
نوفمبر	الثالث	05/11/21					
ديسمبر	الرابع		27/12/06				
جافى	الأول			06/01/04			
فيفرى	الثاني				06/02/16		
مارس	الثالث					06/03/24	
افر يل	الرابع						06/04/08
ماى	الأول	06/05/01					

3.7.1.المقابلة:

تعد المقابلة استبياناً شفويًّا، فهي محادثة موجهة بين الباحث والشخص أو أشخاص آخرين، بهدف الوصول إلى حقيقة أو موقف معين، يسعى الباحث بالتعرف عليه من أجل تحقيق أهداف الدراسة.

وإذا كانت المقابلة الشخصية واحدة من أكثر الوسائل الفعالة في الحصول على البيانات والمعلومات الضرورية، فقد تبدو هذه الوسيلة سهلة بالنسبة للشخص الذي لا خبرة له بهذا الأسلوب، في حين أن أسلوب المقابلة ليس مجرد الالتقاء بعدد من الناس وسؤالهم لبعض الأسئلة العرضية. إنما تقوم على أسس، ولها أنواع ومزايا وعيوب. فالمقابلة والاستبيان صنفان، و لجانا للمقابلة كون بعض

الناس، إن لم نقل الأغلبية، يفضلون تقديم المعلومات الشفوية على تقديم المعلومات كتابيًّا، و كذا لأغراض عدة منها البحث، التوجيه، العلاج[9].

و لإجراء مقابلاتنا راعينا أسس المقابلة العلمية و طرقها :

- اعددنا للمقابلة مخططًا مفصلًا يعين فيه الهدف، والتركيز على النقاط التي يجب الكشف عنها، والسؤال عن أسبابها ومجرياتها، وحاولنا أن نكون موضوعيين في جميع ذلك.
- حددنا زمان ومكان المقابلة: اي حددنا وقت إجراء المقابلة، وإعطاء المبحوث فكرة عن البحث قبل المقابلة و ذلك من خلال رسائل الكترونية، وفضلنا أن تجري المقابلة في مكان بعيد عن مكان عملهم (مقاهي و مطاعم) بهدف الهدوء.
- كونا علاقة طيبة مع الشخاص المقابلين: بحيث كنا لــُطفاء معهم، صريحين متزنيين دون أي إسفاف أو تعالٍ سعيا منا على حصول ثقة وتعاونهم. من خلال أن تتم المقابلة في جو مريح للمقابل، ومهدنا لهم بحديث ودي قصير.
- حاولنا الإحسان في طرح الأسئلة الواضحة البسيطة، كما استماعنا إلى محدثينا باسغاء، و سمحنا للمقابل بالكلام بحرية ولكن بعدم تمويه و إطناب، و سجلنا انفعالاته وردود أفعاله كلما أمكن. و ذلك في باستخدام وسيلة من وسائل التسجيل الآلي (Dictaphone).
- قدر الامكان، حاولنا أن نكون موجهًين ومديرين لمجريات المقابلة. و كذا كنا في مظهره مناسبًا مع المستجوبين، لهذا وجب علينا تكوين فكرة لدينا عن الأفراد الذين أجرينا المقابلات معهم.

و المقابلة أنواع من حيث طرق إجرائها :

- المقابلة الشخصية: وتتم المقابلة فيها بين الباحث والشخص المبحوث، وهي الطريقة الأغلب شيوعًا و التي اتبعناها.
- المقابلة الهاتفية: وتتم فيها المقابلة بوساطة الاتصال الهاتفي.
- المقابلة بوساطة الحاسوب: ويستخدم فيها جهاز الحاسوب.

[9] سمير محمد حسين، بحوث الإعلام، ط3، [القاهرة: عالم الكتب، 1999] ص 233-234

• المقابلة بوساطة استخدام التلفاز، الأقمار الصناعية، وأجهزة الاستقبال والإرسال.

توقف نجاح المقابلة على إمكانيات الباحث والمبحوث، ومدى توفر الوسيلة المستخدمة لدى الطرفين، ومدى توفر الوقت لدى الباحث وإمكانياته المادية. ولكل نوع من الأنواع المذكورة أعلاه مزاياه وعيوبه، فالمقابلة الشخصية تتميز بارتفاع نسبة الردود وغزارة المعلومات التي يحصل عليها الباحث، والتعرف على ردود وانفعالات المبحوث، ولكن من عيوبها احتمالية التمايز من قبل المبحوث للظهور بمظهر لائق أمام الباحث (و هذا ما جعلنا نقصي مقابلتين)، وارتفاع تكاليفها المادية وحاجاتها إلى وقت ، خاصة في حال تباعد أفراد الدراسة، فكلفتنا المقابلات التي أجريناها مصاريف باهظة تمثلت في مصاريف التنقل إلى العاصمة الفرنسية باريس و كذا مصاريف الإقامة، و مصاريف دعوة الاشخاص المقابلين الى مادوبتي غداء في مطاعم فاخرة .

انواع المقابلات:

• قد تكون المقابلة فردية وقد تكون جماعية: وإن كان معظم المقابلات تتم في موقف خاص مع فرد واحد، على أن ثمة مقابلات جماعية اثبتت فائدتها.

• قد تكون المقابلة مقيدة (مغلقة) وقد تكون حرة (مفتوحة): ففي الأولى توجه أسئلة بطريقة مقننة وترتيب معين لكل مسئول، وتقتصر الإجابة على اختيار من استجابات محددة سلفاً .وواضح أن هذا النوع من المقابلة (المغلقة) علمي و دقيق، ولكنه جامد لا يفصح عن نفس المسئول واتجاهاته وميوله بوضوح، أما المقابلة الحرة(المفتوحة) فمرنة لا قيود عليها، ويمكن تعديل الأسئلة وتبديلها وزيادتها أو نقصانها بحسب الظروف و أوضاع المسؤولين، وتشجيعهم على التعبير عن ذواتهم بحرية. وبطبيعة الحال فإن لكل نوع فائدته ومواضع استعماله، وقد يلجأ الباحث إلى المزج بين النوعين (شبه المفتوحة)، وغالبًا ما تستعمل المقابلة الحرة في حالة عدم وجود بيانات أو معلومات واضحة عن طبيعة المشكلة لدى الباحث، وبالتالي فإن

عملية المقابلة تكون استطلاعية، ويمتاز هذا النوع من المقابلات بغزارة المعلومات التي يوفقها، ولكن يؤخذ عليها صعوبة تصنيف إجابات المفحوصين.

• المقابلات المبرمجة: وفيها تكون الأسئلة محددة مسبقًا من قبل الباحث، وكذلك تسلسل الأسئلة، وغالبًا ما يتقيد الباحث بهذه الأسئلة، ولا يمنع ذلك من طرح أسئلة غير محددة مسبقًا، وقد يستدعي ذلك إشارة إجابة المبحوث لبعض التساؤلات المهمة.

و كما أن للمقابلة مزايا فلها عيوبها و معوقات، و العراقيل التي واجهناها هي أننا بذلنا فيها وقت وجهد كبيرين إضافة إلى الإمكانيات المادية المكلفة كالمصاريف السفر إلى باريس و الإقامة فيها، و كان من اكبر معوقات المقابلات، صعوبة الوصول إلى بعض الأشخاص ذوي المراكز العليا، إذ طال انتظارنا لأجل مقابلتهم. و في هذا الصدد لا بد أن نشير إلى أننا تمكنا من إجراء المقابلات بعدما قدمنا أنفسنا على أننا باحثين إعلاميين بجامعة ماتز الفرنسية، مستعملين كل ما يثبت ذلك من تقديم مواقع الانترنات الخاصة بالمخبر الذي نحضر فيه شهادة الدكتوراه، بطاقة الطالب و بطاقة التعريف الفرنسيتين، و استعمالنا طلبات خطية على الأوراق التي تحمل الشعار الرسمي (Logos) لمخبر Centre des Recherches sur les Médiations – Université de Metz، بعدما باءت كل محاولاتنا لتقديم البحث الذي نحن بصدد القيام به بجامعة قسنطينة بالفشل. و اخر العيوب هو عدم مصداقية بعض المبحوثين أحيانًا بهدف الظهور بشكل لائق أمامنا.

المقابلات أكثر شمولاً وأوسع نطاقاً وأكثر استنفاراً للمعلومات من الاستقصاءات، إذ أتاحت لنا فرصة أكبر للتدقيق والتمحيص والتأكد من صحة المعلومات، فضلاً عن إمكانية إعادة السؤال في أكثر من صيغة كي يتسنى للصحافي فهمه والإجابة عنه بشكل قاطع و واف. و تعتبر المقابلات المفتوحة أفضل فرصة من خلالها حاولنا الإجابة عن الإشكالية. و وضعنا «دليل للمقابلات» يتضمن أسئلة تم إعدادها وتصميمها خصيصاً للإجابة عن تساؤلاتنا.

8.1. أدوات تحليل المحتوى:

إعتمدنا في هذه الدراسة على الوحدات التحليلية البسيطة للتعبير عن القيم ومقابلتها ببعضها، وكان اختيارنا على النسب المئوية لعدم حاجة الدراسة إلى مقاييس الأخرى بالنظر إلى بنية الدراسة وأهدافها والبيانات المراد الحصول عليها. كما إعتمدنا في الجدول على الأعمدة الثنائية التي تحتوي التكرار والذي رمزنا إليه في الجدول بحرف (ك) والمساحة التي رمزنا لها بحرف (م) على قراءة المساحة بشكل أساسي. هذه المساحة التي اخترنا لها وحدتين، الأولى تخص النصوص وهي السطر والثانية تتعلق بالعناوين وتعتمد على النسبة المئوية.

إنطلاقا من الدراسة الإستطلاعية التي شملت كل الأعداد الوارد فيها موضوع المغاربيين من الصحيفة محل التطبيق، و التي بلغ عددها 62 من مجموع 313 عدد، ابتدءا من شهر ماي 2005 إلى شهر أفريل 2006، أي ما يقابل 439 معالجة صحافية (موضوع) من خلالها تشكل لدينا وبوضوح العناصر الأساسية التي لها علاقة ببناء إستمارة تحليل المحتوى والتي نعرضها بالشكل التالي:

وحدات التحليل:

وهي التي تخص العدّ والقياس بشكل مباشر، وقد إعتمدنا على وحدة الفكرة وهي الشائعة في بحوثات تحليل المحتوى، وتم اختيار المعامل المرتبط بالفكرة لتفادي الصعوبة المتمثلة في التحديدات الكلاسيكية للفكرة، والتي عادة ما تكون جملة تامة أو عدة جمل تشكل فقرة كاملة، مما يتحقق فيما لاحظناه في التعامل مع الأسلوب المعتمد في جريدة «Le Figaro»، الذي لا يكاد يخضع لهذه المعايير وبالتالي، تم اللجوء إضافة لهذه العلامات إلى اتخاذ «الحدث» في حد ذاته محددا للفكرة خاصة، مع وجود ما يبرر ذلك من الناحية المنهجية، وما يتطلبه موضوع الدراسة المتعلق أساسا بأحداث باريس و الضواحي، والمشكلة البحثية المتواضعة فيها.

صنفنا مما سبق في ضوء هذه الوحدة التحليلية، فتحصلنا على 12 محاور أو موضوعات أساسية يدور حولها موضوع «المغاربيين في فرنسا عموما و احداث

باريس و الضواحي على وجه الخصوص» كما تم تحديد الأنواع الأخرى من فئات الموضوع، وفئات الشكل كما يلي:

1.8.1. فئات الموضوع: والتي تستهدف الإجابة عن السؤال: ماذا قيل ؟ وتتشكل من الفئات التالية:

1.1.8.1. فئة الموضوع: لكشف مركز الاهتمام في المحتوى وتدور حول الأفكار المحددة، وعددها سبع مواضيع:

فئة موضوع الانحراف: ويتعلق الأمر بكل أشكال الانحراف، و تتضمن التفريعات الممكنة التي جادت بها قراءة المواضيع، وأهمها: السرقة و السطو، تعاطي المخدرات، الشتم، الضرب و التحرش، التطرف و التطرف الإسلامي، العنف و التخريب من كسر و حرق الى غير ذلك.

فئة موضوع المطالب: كالتكفل و العدل...وتفرعت هي أيضا إلى:

- مطالب اجتماعية: مثل التكفل بالأحياء من حيث الصيانة و المرافق العمومية و كذا المطالبة بالعدل و المساوات بين المغاربيين و الفرنسيين في الحصول على مناصب الشغل.
- مطالب أمنية: كانسحاب رجال الأمن ومعاقبة المتورطين منهم في القتل و التمييز العنصري و كذا بسحب حضر التجوال.
- مطالب سياسية: كمطالبة وزير الداخلية بالاعتذار الرسمي حين وصف المشاغبين بالحثالات معمما وصفه إلى كل المهاجرين.
- مطالب ثقافية: تتعلق بالدين الإسلامي و حرية تطبيقه، باللغة، التراث، العادات و التقاليد والتاريخ.

فئة موضوع المسيرات: ويتكون من أربعة تفرعات تتناول المسيرات السلمية، العفوية منها والمنظمة وكذا المسيرات العنفية، العفوية منها والمنظمة.

فئة موضوع الحوارات: وتتعلق بالحوار أو الدعوة إليها وتتفرع إلى:

- الحوارات البينية التي تتم بين المهاجرين بعضهم البعض و ذلك من خلال الجمعيات الثقافية الدينية.. .

- حوارات مع السلطات، المحلية، الإقليمية و تلك التي تتم على أعلى المستويات.
- حوارات مع أطراف أخرى: هيئات، جمعيات، شخصيات...إلخ

فئة موضوع التصريحات: تختص بالتصريحات، سواء كانت معبرا عنها في حوارات، أو ندوات صحفية، أو تجمع أو غير ذلك، مما ينقل على فم صاحبه، وتتفرع إلى:

- تصريحات تفسيرية: تفسير الأحداث
- تصريحات تبريرية: تبرر وجهة الأحداث
- تعليقات: تسجل انطباعات وأراء صاحبه حول الأحداث
- نداءات واقتراحات
- تحذيرات وتشكيكات: حول الإجراءات أو المعاملات أو اقتراحات معينة وبما أن هذه التصريحات متعلقة أساسا بالأحداث، فإنها أيضا تتفرع بحسب الموضوعات المطروحة في هذه الاستمارة

فئة موضوع المواجهات: وتتشعب إلى تفرعات عدة هي: مصادمات و أحداث دموية بين رجال الأمن و المهاجرين، رشق بالحجارة، حرق الممتلكات الخاصة، الكسر والتخريب، قطع الطرق والابتزاز، مصادمات مع المواطنين الفرنسيين، عصيان مدني، مواجهات عرقية بين الجاليات المهاجرة فيما بينها،

فئة موضوع الإجراءات: التي يتم اتخاذها والتي تكون لها اهداف معينة، وقسمت هذه الاجراءات حسب هذه الاهداف إلى :

- إجراءات قمعية: مثل منع كل تجمع بشري يفوق ثلاث أشخاص، غلق الطرق، الاعتقالات العشوائية الواسعة، حضر التجوال.. إلخ.
- إجراءات التهدئة: الرجوع عن العنف و أعمال الشغب العفو وإطلاق صراح المعتقلين والإستجابة للمطالب الفئات المظلومة.. إلخ.
- إجراءات قانونية: المحاكمة والتحقيقات والمتابعات والعقوبات.
- إجراءات التصعيد: المساومة، الضغوطات، الإحتجاجات والإتهامات.

2.1.8.1. فئات القيم: من خلال جمع البيانات، تحصّلنا على مجموعة القيم التالية:

- قيم الأمن: تتعلق بإشاعة السلم والطمأنينة والأمان.
- قيم اللاأمن: و هي معاكسة لكل قيم الأمن، أي زرع الرعب و عدم الاستقرار في قلوب الناس.
- القيم الرافضة (الرفض): عدم التجاوب مع الأطراف الأخرى ونشاطاتهم، بأي شكل من اشكال الرفض.
- قيم العنف: لفظية كانت أو مادية (الحرق، التخريب، التكسير، والشتم...)
- قيم العنصرية: التغني بالعرق والانفصال، والتميز عن الآخرين.
- قيم المساواة و العدالة: الدعوة إلى الإنصاف، المساواة والعدل بين كل المواطنين على اختلاف دياناتهم و ثقافاتهم و عرقهم.
- القيم التضامنية: وتدعوا إلى الاستجابة بشكل ايجابي تجاه الموضوع، أو الأشخاص.
- القيم الإقصاء: وتعبر عن إقصاء جماعة المغاربيين من النسيج الاجتماعي الفرنسي.
- قيم الوحدة: و هي التي تمثل بالأساس الدعوة إلى تمسك بالوحدة الوطنية والاجتماعية، و التكامل بين كل فئات المجتمع الفرنسي على اختلاف عروقهم و دياناتهم و ثقافاتهم.
- قيم الهوية و المواطنة: الحق في حرية التعبير، حرية التنقل و كل ما يتمتع به أي مواطن من حقوق.
- الأحياء في تصعيد أحداث العنف بزيادة التصعيد الإعلامي للأحداث و غيرها من القيم.

3.1.8.1. فئة الفاعل: وتم تقسيمها الى الفئات التالية:

- السلطات: و كل من يمثلها من أصحاب قرار من سياسيين، رؤساء أحزاب و جمعيات و حركات، أعوان الأمن.

- الشباب سليل الهجرة: وهو الشباب نفسه و ما يمثله من جمعيات مدافعة عن حقوقه، إضافة إلى كل من نشّط الأحداث من نساء، رجال، شيوخ... إلخ.
- مهاجرين ذو أصول افريقية.
- الحركات، الأحزاب، الشخصيات، المنظمات غير الحكومية، وكذا الهيئات الوطنية، الأوربية و العالمية، ثم المواطنون وأخيرا هناك فاعلون غير مُحدّدُون.

4.1.8.1. فئة المصدر: وتتكون من جميع المصادر التي نُقِلت المعلومة مِنها أو عبرها.

5.1.8.1. فئة الاتجاه: وقد تم تقسيم الاتجاه إلى ثلاث درجات: إيجابي، مُحايد و سِلبي.

6.1.8.1. فئة منشأ الحدث: وهو المكان الذي جرت فيه الأحداث المذكورة و عيّناها كما يلي: باريس و ضواحيها، التراب الفرنسي، و غير ذلك.

7.1.8.1. فئة وظيفة المضمون: وقد تناولت أهم الوظائف التي يؤديها المضمون، وتفرعت إلى عشر وظائف هي: الوظيفة الإخبارية، الوظيفة المُشوهة، الوظيفة التفسيرية، الوظيفة المُضخِمة، الوظيفة الإقناعية، الوظيفة التبريرية، الوظيفة الانطباعية، الوظيفة الداعية (المغرضة)، الوظيفة المُحَرِّضة.

2.8.1. فئات الشكل: و التي تستهدف الإجابة عن السؤال: كيف قيل ؟ وتتشكل من الفئات التالية:

1.2.8.1. فئة القالب: وسنعتمد على القوالب المستخدمة في الصحافة عموما مثل: الخبر، التقرير الخبري، التعليق والحوار، وغيرها من القوالب. أما بالنسبة للعناوين فقد تعاطينا معها على ثلاث مستويات بمعزل عن المضمون ككل.

المستوى الأول: ويُعنى بالموقع والمساحة، المستوى الثاني: ويُعنى بالموضوعات الدائرة في العناويين، والمستوى الأخير: يهتم بالعناصر المشكلة للعناوين.

2.2.8.1. فئة موضوعات العناوين: و هي التي يتم من خلالها تحديد ما تحمله العناوين كأخبار تريد إبرازها.

3.2.8.1. فئة التصنيف التحريري: وتتواجد فيها التصنيفات المُعَرفة للعنوان مثل العنوان التقريري، المقتبس، الملخص أو الإنشائي والذي يحتوي جُملة من التصنيفات مثل الإستفهامي، التعجبي، الإستفهامي الاستنكاري والاستنكاري.

الفصل الثاني:

الهجرة المغاربية في فرنسا

الفصل الثاني: الهجرة المغاربية في الفرنسية

1.2. مكانة الهجرة المغاربية في البلدان الأوروبية.
2.2. نبذة تاريخية عن الهجرة المغاربية لفرنسا.

1.2.2. المرحلة الأولى: (1898-1918).

طابع الهجرة المغاربية إلى فرنسا.
حركة الهجرة خلال الحرب العالمية الأولى.

2.2.2. المرحلة الثانية: الوجود المغاربي القائم : (1920 –1939).

3.2.2. المرحلة الثالثة: حركة الهجرة خلال الحرب العالمية الثانية (1945/1939).

4.2.2. المرحلة الرابعة: (1962/1946).

سياسة الهجرة خلال حرب التحرير الجزائرية.

5.2.2. المرحلة الخامسة: الهجرة الجزائرية ؟ من الاستقلال إلى يومنا هذا.

3.2. الجيل الأول للمهاجرين المغاربيين.

4.2. الجيل الثاني للمهاجرين المغاربيين.

5.2. واقع المهاجرين المغاربيين إلى فرنسا.

6.2. واقع المهاجرين و إنتفاضة ضواحي باريس.

1.2. مكانة الهجرة المغاربية في البلدان الأوروبية:

ترجع ظاهرة الهجرة العربية عموما و المغاربية على وجه الخصوص نحو البلدان الأوروبية، إلى عدة أسباب اقتصادية وسياسية واجتماعية. فالظروف الاقتصادية مثل ندرة الموارد المادية، وما يتعرض إليه الإنسان من بطالة وفقر، وفقدان القدرة على إشباع حاجاته الحيوية، تدفعه في كثير من الأحيان إلى مغادرة بيئته الطبيعية إلى بيئة غريبة عنه، كما أن الظروف السياسية والاجتماعية المتغيرة وما يلاقيه الإنسان من غياب الحرية الحقيقية، قد يكون أحيانا بفعل قوة خارجية كما يحدث أثناء فترات الاستعمار، ترغم الإنسان على هجر موطنه الأصلي بحثا عن مكان آخر يمكّنه من وجود حدّ أدنى من الأمان والطمأنينة والعيش الكريم.

تتعدد الأسباب وتتنوع بتعدد المهاجرين، ولكنها تتجمع كلها لتدل على وجود بيئتين: الأولى طاردة والثانية جاذبة. ويكون اتجاه حركة السكان من البيئة الطاردة الى البيئة الجاذبة. ويدل التحليل النفسي الإجتماعي لهذه الحركة على وجود بعض العوامل في البيئة الطاردة التي تحدث في نفس المهاجر شعورا داخليا ينفره من بيئته الأصلية، ويدفعه للبحث عن بيئة جديدة يتوقع أن تكون ظروف الحياة فيها أفضل من الظروف التي يعيش في ظلها في موطنه الأصلي. ويعتمد ذلك على تقييم المهاجر أثناء الساعة التي يقوم فيها باتخاذ القرار الانتقالي، لكن عملية الهجرة لا تكتمل إلا باستعداد البيئة الأخرى لاستقبال المهاجر. أي ضمن سياسة اقتصادية محددة واضحة الأهداف ومرسومة الوسائل ترتكز عليها البلدان المتقدمة الأوروبية صاحبة البيئة الجاذبة لتوطين مهاجري البيئة الطاردة النامية العربية المغاربية[10]. بعبارة أخرى، سواء اعتبرنا الهجرة موضوعا رئيسيا أو ثانويا في العلاقات الاقتصادية والسياسية بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية، فإنها تبقى في نظرنا دوما، ظاهرة عالمية ضرورية فالبلدان المتقدمة الأوروبية هي التي إجتذبت في الماضي البعيد والقريب، عمال البلدان المغاربية لعدة غايات سياسية نذكر منها الحروب الإقليمية والعالمية، والاقتصادية المتمثلة أساسا في احتياج الإقتصادات

[10] RICOEUR Paul, 1983, *l'événement en perspective*, seuil, Paris, p35

الأوروبية لليد العاملة قصد بناء مقوماتها التي أتت عليها الحروب وتطلبتها فيما بعد ضرورات النمو.[11]

انطلاقا من الإشكاليات القائمة الآن حول الحجج التي تبرر الهجرة أو التي ترفضها، فإن المسألة الأساسية تتعلق بأحقية تواجد المهاجرين العرب المغاربيين بشكل عام في بلدان السوق الأوروبية الموحدة. فهذه الهجرة تستحضر سلسلة من الارتباطات ومجموعة من المواضيع المحتوية على حالات ضمنية منها: الهجرة واختلال التوازن الاجتماعي الأوربي، الهجرة والمجتمع، الهجرة والفشل المدرسي، الهجرة ومظاهر العنصرية، الهجرة والبطالة، الهجرة والركود. فالانتعاشة الاقتصادية الأوروبية التي تتطلب دراسات ضافية وعميقة لا يمكننا تحليلها في هذا الفصل الذي يهدف في المقام الأول وقبل كل شيء إلى دراسة السمات الأساسية لأوضاع المهاجرين العرب في البلدان الأوروبية عامة و فرنسا كنموذج، والتي تعتبر منذ بداية الثمانينات والى اليوم القضية الراهنة الأولى بالنسبة للبلدان العربية المغاربية والأوروبية المتوسطية وغيرها[12].

إن الهجرة المغاربية، كإنعكاس مباشر للعلاقة الاستعمارية، تحتل مكانة هامة في العلاقات السياسية والاقتصادية الدولية الحالية نتيجة لبروز الوازع القومي في جل بلدان العالم وحتى في بلدان أوروبا الشرقية بعد سقوط حائط برلين واندثار المنظومة الاشتراكية، وأيضا نتيجة لظهور عدة صعوبات اقتصادية واجتماعية في بعض البلدان المغاربية والعربية، الصعوبات التي أدّت إلى تكاثر الهجرة نحو البلدان الأوروبية عموما و فرنسا خاصة. فلقد كانت بلدان المغرب العربي الثلاثة (الجزائر، تونس والمغرب) مستعمرات فرنسية منذ نهاية القرن التاسع عشر والى منتصف القرن العشرين. مما حدا بفرنسا إلى استقبال حوالي(80%) من قوى العمل المغاربية المتنوعة والمتواجدة الآن بها[13]. وقد هاجر هؤلاء لتحسين دخلهم المادي وتنمية معارفهم الشيء الذي مكّنهم من العمل و الإستقرار في المجتمع

[11] SAYAD Abdelmalek, 1986, *Les effets culturels de l'émigration, un enjeu de luttes sociales*. La découverte, Paris, p 91-92.
[12] SAYAD Abdelmalek, 1991, *L'immigration ou les paradoxes de l'altérité*, Préface de Pierre Bourdieu, De Boeck, Bruxelles, p112.
[13] SAYAD Abdelmalek, 1980, *le logement provisoire pour des travailleurs provisoires*, recherches sociales, n° 73, janvier mars 1980.

الفرنسي، الذي كان دوما في حاجة لهم لشد أزر نموه الاقتصادي. إلا أنه سرعان ما أهمل هذا الجانب من طرف بعض السياسيين والدارسيـــن الفرنسيين. ليصبح مشكل الهجرة مطروحا أمام الباحثين والسياسيين.

بعبارة أدق، بقدر ما تفرض مسألة الهجرة العربية المغاربية نفسها اليوم، فإنها تثير نوعين متناقضين من التحليل الخاص بمكانتها في الاقتصاديات الأوربية عامة و الفرنسية خاصة.

- يَعتبر التحليل الأول أن الهجرة المغاربية تشكل جزءا لا يتجزأ من القضية السكانية في أوربا و فرنسا، وأن مواصفاتها الاقتصادية والإجتماعية والديموغرافية ناتجة عن ظواهر الهجرة في السابق، والتي مازالت متواصلة إلى اليوم و بشكل أقل. فالأمر يتعلق إذن بظاهرة مشتقة من الهجرة الماضية أكثر مما يهم مسارا مستمرا[14].
- أما التحليل الثاني فيعتبر أن شكل الهجرة في فرنسا يختلف في عدة نقاط خصوصا مع بداية فترة الستينات، على الأشكال القديمة للهجرة. فالاقتصاد، الذي يبدأ مرحلة من التطور من خلال تغييرات في الهياكل الإنتاجية، يتطلب قوى عمالية جديدة و متجددة، يقتصر دورها على أنشطة لا تفترض درجة عالية من المهارة ولا مستوى عاليا من التكوين المسبق في الأمد القصير[15].

بناء على هذا، فإن هدف الهجرة وطبيعتها قد تغيرا بالمقارنة مع الفترات السابقة من تاريخها، حيث كان المهاجرون يحلـــّون في هذه البلدان لتعويض العمال الأصليين أو تعزيز صفوفهم نتيجة العجز الديموغرافي الجهوي والوطني الحاصل باستمرار. فالعنصر المغاربي المهاجر لأوربا مطلوب لمواصفاته الخاصة بعدم مهارته مقارنة بالعمال الأوروبيين. فوضعت الهجرة المغاربية في الصف الأخير من سُلـــّم الشغل، بحيث لا تستطيع منافسة العمال المحليين الذين يحصلون بذلك عن موقع مميز على مستوى العمل. وهكذا نرى أن المهاجرين المغاربيين يعيشون

[14] SAYAD Abdemalek, 1999, *Immigration et "pensée d'Etat"* . Actes de la recherche en sciences sociales, n°129-septembre1999, Paris, p119.

[15] المصدر نفسه، ص 121.

في دمج انتقائي في دائرة الإنتاج. و من هنا نفهم لماذا يحتل المغرب العربي مكانة متزايدة الأهمية شيئا فشيئا من المناطق الأخرى الموفرة لليد العاملة المهاجرة.

إن الشكل المعاصر للهجرة يختلف عن الحركات السكانية التي مازال بعضها متواصلا، ولكنها كانت أكثر حيوية خاصة قبل الاستعمار الـــفرنسي لبلدان المغرب العربي. أما حركات الهجرة المعاصرة التي ظلت بطيئة نسبيا إلى حدود 1920، فما فـــتـــئت تشتد منذ الحرب العالمية الثانية وقد أصبحت الآن عامة بالرغم من صعوبة الإحصائيات حول تحديد معنى المهاجر وضبط أهدافه. و هذه النظرة الإجمالية لمسألة الهجرة، بغض النظر عن تعدد طرق التحليل، يمكنها إلقاء الضوء أمامنا للوقوف على سكون و تجاهل البلدان العربية عموما و المغاربية خاصة المصدرة لليد العاملة، قصد تنظيم الهجرة وربطها بالسياسات الاقتصادية الإنمائية فيها، علما أن هذه الهجرة تشكل موردا اجتماعيا، اقتصاديا و فكريا هاما لها، نظرا لأهميتها وعدد أفرادها المتنامي باستمرار[16].

2.2. نبذة تاريخية عن الهجرة المغاربية لفرنسا:

لقد كانت الهجرة المغاربية لفرنسا نتيجة مباشرة للاستعمار، رغم أنها حافظت على بعض النوعية والمثالية، واليوم أيضا، و بعد أكثر من 45 سنة من استقلال آخر مستعمرات فرنسا بشمال إفريقيا و هي الجزائر، حُـــمِّلت العلاقة بين المغرب العربي وفرنسا بثقل الماضي المؤلم بينهما، وكانت بمثابة رهان هام جدا لكلتا الكتلتين، و لِكِلا الشعبين على جانبي البحر المتوسط، للسعي إلى نسيان الماضي. و عندما نتكلم عن الذين لم يعرفوا الهجرة أبدا، و المقصود بهم، الجيل الثاني و الثالث للمهاجرين، يظهر لنا تناقص كبير، كوننا نطرح قضية تاريخية لظاهرة تعرف بالهجرة و لفئة لم تهاجر أبدا. لهذا فإن التذكير التاريخي يُطرح في سياق ممن يجب تذكيرهم أنه حتى استقلال آخر مستعمرات فرنسا، لم يستطع التدفق المغاربي أن يُعبِّر بالمعنى الصحيح للهجرة، فالمغاربيون منتمون إلى فرنسا، كون الجزائر، المغرب و تونس، كانت فرنسية، وسيكون من الخطأ إن تكلمنا عنهم و

[16] SAYAD Abdelmalek, 1999, *la double absence*, paris, l'Harmatta. p 79.

كأنهم أجانب كالإيطاليين والبولونيين. لهذا نلاحظ أن لهم امتيازات متقاربة في عدة مراحل لبيان أن الهجرة ليست سوى بناء حر ومستقل[17].

1.2.2. المـــرحلة الأولى (1898-1918):

ترجع جذور الهجرة المغاربية إلى أواخر القرن الثامن عشر، إذ منذ 1905 إشتغل المئات من العمال الجزائريين بمنطقة مرسيليا كعمال في المناجم والمصانع الشمالية و منطقة (Pas de Calais)، و في 1906 إستُعملت اليد العاملة القبائلية لاستبدال العمال الإيطاليين المضربين في معامل التكرير ومتاجر الزيت في مرسيليا. و قد إستـــُعملوا أيضا كعمال في الأرصفة وسائقين في البواخر والسفن للحد من ظاهرة الإضراب المسجلة على السواحل البحرية، وقد أقاموا هناك، وأتبعهم المئات من القبائل الذين أصبحوا عمالا في معاصر الزيت ومعامل الصابون والمطاحن وغيرها. و ابتداء من مرسيليا صعد المئات من القبائل نحو المناجم والمصانع إلى باريس، والشمال و Clermont–Ferrand، ولأنه يوجد تدفق منتظم وزيادة في عدد العمال الجزائريين في فرنسا، أخذ رئيس مكتب الجزائر في باريس، السيد: M. Gérard بأخذ مقاييس لضبط هذا التدفق. وقد كشف التحقيق الذي وصل إلى جميع الأقاليم الفرنسية عن الوجود الحقيقي لحركة المهاجرين. بحضور من 4000 إلى 5000 جزائري سنة 1912[18]. وإذا كانت مرسيليا بمثابة رصيف لإرساء المغاربيين الذين كانت أغلبيتهم الساحقة متمثلة في شعوب القبائل الجزائرية و بنسبة (98٪)، حيث كانوا يعملون كعمال يدويين في مصانع السكر، الزيت، الصابون وفي المطاحن، فإن تحركاتهم لم تكن نحو المدن الساحلية بل كانت نحو المدن والمناطق الصناعية. وفي الشمال، فقد أسفرت تحريات أجريت عن وجود 1500 قبائلي في المناجم منهم 900 في Courrières استأجروا للنزاعات، الاشتباكات، النقل والردم، ويستفيدون بمرتبات عادية مطابقة للقوانين الاجتماعية ونظام التعاون الاشتراكي، والمساعدات الطبية بالنسبة للقاصرين. وقد أثاروا إهتمام

[17] SCHOR Ralph, 1996, *Histoire de l'immigration en France, de la fin du XIXème siècle. à nos jours*, Paris, A. Colin, p54.

[18] SAYAD Abdelmalek, 1980, *le logement provisoire pour des travailleurs provisoires*, recherches sociales, n° 73, janvier- mars 1980, p 65

أرباب العمل المهيمنين الذين سهروا على سكنهم وعلى احترام تقاليدهم الدينية وغيرها. و في منطقة باريس، فقد اشتغلوا في المباني والأشغال العمومية، المصانع الكيمائية، ومعامل تكرير السكر، وفي السكك الحديدية، تحت الأرض وفوقها... وبصفة عامة فإن التحقيقات أثبتت أن: « اليد العاملة الجزائرية استقبلت جيدا في فرنسا، أين استبدلت باليد العاملة الأجنبية دون منافس، وقد كان إعجاب أرباب العمل بهم جد مرضي بما أنهم كانوا يعيشون في وضع جيد مع أصدقائهم الفرنسيين[19]».

وفي 1913 نص قرار الحكومة العامة على إلغاء السماح بالسفر لتدعيم التيار الهجري، في حين أن التحقيقات أدت إلى معرفة كفاءة الجزائريين في العمل في المصانع و ورشات البناء، ثم توسعت حركة الهجرة لتتوسع في سنة 1914 حوالي 13000 جزائري في فرنسا و 1400 مغربي دون ذكر للعنصر التونسي.

1.1.2.2. طـــابع الهجرة المغاربية إلـــى فرنسا:

في مطلع الحرب العالمية الأولى، حُصِرت الهجرة المغاربية ضمن الهجرات الأجنبية لكن بشكل خاص، ففي ارشيفات دفاتر مصانع الفحم بإقليم Lorraine كان الإيطاليون و البولونيون مثلاً أجانب «إيطالي: أجنبي»، بينما كانت مكانة المغاربي خاصة، حيث أن العامل المغاربي الآتي من «شمال إفريقيا» أو بالأحرى من المستعمرات الفرنسية، كانت له مكانة وسيط منتشر، لا فرنسي ولا جزائري. في حين، أن طريقة العمل الاجتماعي ليست مختلفة بين المغاربيين و الإيطاليين أو البولونيين. و في بداية القرن الماضي، كانت خصوصيات الهجرة المغاربية واضحة بين مختلف الهجرات، ودراستها لم تكن محدودة في تحاليل التدفقات، و الأماكن الأصلية التي منها هاجرت اكبر أعداد المهاجرين، و كذا مناطق الإستقبال أو أحيانا بعض المدن المغاربية كالعاصمة الجزائرية مثلا[20]، وهذه

[19] BELBAHRI Abdelkader, 1985, *Éléments pour une analyse des situations post-coloniales : le cas de des maghrébins en France,* in : *Peuples Méditerranéens*, n°31-32, avril- septembre 1985, p 86

[20] BANCEL Nicolas, BLANCHARD Pascal, 1998, *De l'indigène à l'immigré,* Découvertes Gallimard: Histoire, p 41.

الميزات خاصة فقط بالهجرة المغاربية في إطار اجتماعي ثقافي أصلي مغاربي. و لهذا طـــُرح التقارب متعدد المجالات و الاختصاصات لهذه الهجرة، بنظرة شاملة وديناميكية، و كان هذا التقارب ذا طابع نلخصه في ثلاث خصائص:

- تسهيل عملية دمج المغاربة في العمل والمجتمع، باعتبارهم الأقل اندماجا مقارنة بالهجرات الإسبانية و الإيطالية، لإلتزامهم بتقاليدهم المحلية المختلفة عن باقي التقاليد.
- التحكم في روابط المهاجرين المغاربة بالبلد الأصل، وإعادة تجميع المهاجرين من خلال المناطق الأصلية التي جاؤوا منها، لتمكينهم من إقامة شبكة تضامن للحفاظ على التقاليد الدينية والثقافية و اللغوية.
- كانت الهجرة المغاربية كـــضد لثقافية المجتمع الفرنسي الأصلية و مرجعياته في غالب الأحيان، مبادئه وقوانينه، وتعريفاته لكل ما هو ممنوع و ما هو مباح كاللباس، مخالطة النساء الفرنسيات، إستهلاك المشروبات الكحولية، ممارسة الدين، شبكات المعلومات والتضامن، و كذا آرائه الشعبية.

هذا الطابع شكـــّل عاملا هاما للإدماج الاجتماعي والثقافي للمغاربيين في فرنسا، في الوقت الذي كادت أن تنعدم فيه تماثلات المغاربيين بانحلالها في قالب العامل الفرنسي، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى. و عدى فئة القبائل (التي كانت معتبرة بالنسبة لمجموع الهجرة المغاربية) كانت للمغاربيين خصائص إجتماعية وثقافية، تبلورت في الإسلام كدين، التقاليد، اللغة... و كانت هذه الخصائص كإطار تركيبي لهذه الفئة الاجتماعية، لها أهمية كبيرة جدا، في وقت أين وصل المغاربة إلى فرنسا تحت اسم الهجرة الجزائرية، لنقول أنها حركة وطنية[21].

2.1.2.2. حركة الهجرة خلال الحرب العالمية الأولى:

خلال المرحلة الأولى من النزاع، عدة فيالق مغاربية ذو تأطير أوربي عالي تطوعوا في الحرب بعد ملحمة 1915، فأرسلت الحكومة الفرنسية في طلب العمال و خاصة الجنود. إذ سمح قرار 14 سبتمبر 1916 بعودة «شمال إفريقيا» إلى

[21] MOREAU Karine, 1997, *Algériens en/de France*, CERIEM, Université Rennes 2, p 74.

فرنسا: «أكثر من 150000 عامل (منهم 78556 جزائري) و250.000 جندي (منهم 215000 جزائريا)». وقد إستـــــُعْمِلت اليد العاملة الجزائرية في القطاعات الحيوية لسلك الإنتاج والدفاع الوطني، كمؤسسات العتاد الحربي والمُؤن، المصالح الإدارية و الطيرانية، النقل، المناجم و ورشات البناء الموجودة في المناطق المُسلحة، وبهذا التقدم الكتلي للقرويين الجزائريين في الفروع الجد متطورة في الصناعة، عمل الجزائريين مركب عضوي لإجارة الفرنسيين، في الوقت نفسه الذي شجعت فيه التقدم لسلك الإنتاج. وعرفت المشاركة عمالا مستعمرين بقوة الاستعمار للمشاركة في الحرب، والدور الهام الذي لعبه الفيلق «شمال إفريقيا» بغض النظر عن هجومات 1917 و 1918، خير دليل على ذلك، و كانت مكانة الجنود و المهاجرين المغاربيين في السلم الاجتماعي والسياسي الفرنسي، جد مرموقة، و كان التعاطف الذي تمتع به عمال وجنود شمال إفريقيا في فرنسا في تلك العهدة يشرح ذلك. وهي الفترة التي إشتـــُهـــــرت فيها أعياد المسلمين، وعدة أيام و مناسبات أخرى، إذ نفذت فيها العديد من الزيجات الجماعية والمختلطة مع وجود المساواة بين الأُجراء في الحصول على السكـــنات، والمساهمة في الحياة الإجتماعية، وكانت لهذه الحالة المتناقضة مع شروط و واقع الحياة المزرية التي عاشها الجزائريون في بلدهم، دورا جد هام في نضج سياسة الجزائريين خاصة و المغاربة عامة في فرنسا[22].

2.2.2. المرحلة الثانية: الوجود المغاربي القائم (1920 –1939):

مع نهاية العدوان، أحصت الحكومة الفرنسية 280000 مهاجر مغاربي بين جندي وعمال مستعمرين، وفي 1919 لم يبق إلا بعض الآلاف من المغاربيين الموجودين في المناطق الصناعية، خاصة في مناطق باريس، لكن بعد 1920 عادت الحركة الهجرية بالنهوض و تطورت حتى أزمة 1930، وتضاعفت الأسباب السياسة والاجتماعية التي شرحت الهجرة ما قبل الحرب إلى أزمة النظام الاستعماري في الجزائر و المغرب و تونس، و كذا الاحتياجات الفرنسية لليد العاملة المغاربية. كان النصر، لكن مع خسارة الحرب قامت فرنسا بإستدعاء جديد للأجانب وفي 1919 إلى

[22] Bancel Nicolas, Pascal Blanchard, 1998, *De l'indigène à l'immigré*, Découvertes Gallimard : Histoire, p 101.

1931 تكتلت الهجرة في فرنسا وأصبحت تعد البلد الأول للهجرة أمام الولايات المتحدة، ولعب الأجانب دورا كبيرا في إعـــادة بناء الهيكل الإنتاجي خلال الحرب، و كانت التغييرات على مستوى قطاع الصناعة متداخلة (وتيرة العمل)، و حملت على التغيرات في التكوين العضوي رأس المال، إعادة تشكيل جهاز الإنتاج، الفروع الصناعية وسوق العمل بالبلد، لهذا التلاحم العام عاد الجزائريون إلى فرنسا[23].

مرت الهجرة الجزائرية في الأعوام ما بين 1920 و 1939 بظرفين: يبدأ الأول من عام 1920 إلى 1930 أين كان النمو الديمقراطي كبير، وامتد الثاني إلى عام 1939 أين تضاءلت الزيادة والهجرة معا، و معيار قياس كل ظرف كان يعتمد على الدراسة المحمولة على التدفقات، التشريح القانوني، مكانة الجزائريين في المجتمع والإنتاج، وإقامة الجزائريين في باريس التي كانت جد متمركزة. كان تدفق اليد العاملة في مصلحة أرباب العمل، و ذلك من خلال تحقيقهم لنسبة عالية من الأرباح دون استثمار رأس مال كبير، كذلك إمكانية طرد عمالهم دون صعوبة. أدى انتصار فرنسا في الأزمة الاقتصادية عام 1929، إلى الحفاظ على أرستقراطية عمل الفرنسيين، وساعد أيضا على إبطاء الهجرة الجماعية الريفية إلى المدن فحافظت فرنسا على فلاحيها في الحقول والمزارع، لكن التشغيل الكثيف لليد العاملة الأجنبية يشرح الحفاظ على جهاز الإنتاج القديم، و بناء قطاع الصناعة المهيمن من طرف الشركات الصغيرة والمتوسطة. و خلال الحربين الثانيتين، تغيرت الهجرة من طرف أصحابها الأصليين، و أخذت طابع من ديناميكيتها الخاصة كطابعها الحالي، قبل انتعاش المعطيات المزودة من الحرب و الاشتباكات الاجتماعية والسياسية الموجودة بين المغرب وفرنسا. وفي ظل هذا القالب، بقيت التشكيلة القبائلية دائما مهيمنة بالمقارنة مع مجموع المهاجرين المغاربة، لكن مع ظهور قطب جديد مع « التلمسانيين» [24].

[23] TRIPIER Maryse, REA Andrea, 2003, *Sociologie de l'immigration*, La Découverte, Paris, p 62-67.
[24] DE RUDDER Véronique, 1994, *et si l'on parlait des Français ? Perception des immigrés en France, attitudes, options et comportements*, revue internationale d'action communautaire, p 119.

كان تأثير نجم الشمال الإفريقي (الممثل لمجتمع المسلمين الجزائريين التونسيين والمغاربة، و قطاع الاتحاد الاستعماري المتوسطي، المؤسس في جوان 1926 المطالب بتحرير الشعوب المغاربية المستعمرة) كبيرا جدا عند العمال المغاربيين أو بالأحرى الجزائريين، ولما بلغ مصالي الحاج الـــ 28 سنة من عمره أصبح سكرتيره العام، و مسؤول عن العمل في الجزائر و كذا ممثل العمال المغاربة في فرنسا «CGTU»، و بعدما فرض نجم الشمال الإفريقي وجوده، استعان بقرارات الكونغرس ضد الإمبريالية (اتفاقيات بروكسل، فيفري 1927)، ليغير من طبيعته متعديا إطار نشاطه (العمل و حقوق العمال) ليطالب بمطلب سياسي بحت، هو السيادة الكاملة للشعب الجزائري و الشعوب الشمال إفريقية.

أدّت حركات مناضلي النجم النشيطة إلى تحسين أوضاع المغاربة في فرنسا، إذ كانت بمثابة عنصر مهدد لسياسة الحكومة الفرنسية، و استطاعت تحقيق عدة مطالب كبناء المستشفى الفرنسي الإسلامي في Bobigny، و كذا العديد من أماكن العبادة الإسلامية (المساجد)، التي ساعدت على توحيد الجالية المغاربية، خاصة العمال. و مقابل ذلك كان النجم معرض لتهديدات الإدارة الشيوعية و عدوانيتها للعرب. إذ استغلت الحكومة الفرنسية للوضع فعزلت النجم، لتصدر نبأ حله سنة 1929. لكن ناشطيه استمروا في تطبيق برنامجه المركز على كلمة نظام التشكيل، وفي عام 1934، ساهموا في الكفاح ضد الفاشية إلى جانب العمال، ثم انخرطوا في الجبهة الشعبية. و عارضوا دوما مشروع «Blum» الذي اعتبر أن الجزائر فرنسية.

3.2.2. المرحلة الثالثة: حركة الهجرة خلال الحرب العالمية الثانية (1945/1939):

قدر عدد السكان الفرنسيين في بداية 1939 بحوالي 41.126.000 ساكن (اغلبهم متمركزون في العاصمة باريس) ، و قدر بحوالي أكثر من 39.700.000 في بداية 1946، و قد بلغ عددهم 36.900.00 سنة 1970. و إذا أخذنا بعين الاعتبار

خسائر الحرب، فقد هُددت فرنسا بالافتقار للسكان عامة و اليد العاملة خاصة و بنسبة هائلة[25] ، ولتغطية هذا النقص كان يلزم فرنسا نسبة عالية من المواليد أو انتعاشة اقتصادية موفقة أو الاثنين معا. لذا كانت فرنسا بحاجة ماسة إلى المهاجرين، المهاجرين الذين قدرتهم السلطات الفرنسية حسب الحاجة في ما يلي :

- تعيين قابلية السكان الأصليون للفئات المهاجرة التي تتماشى مع الأحسن اندماجا حسب الكم و الكيف، وكذا من حيث الاعتبارات السياسية والإقتصادية، الشيء الذي يجعل فرنسا تنمو في ظروف حسنة وعادية وبعدد اكبر من السكان الاصليون.
- أن لا يؤخذ بعين الاعتبار العمر والجنس، وكان من المستحسن إيجاد ذوي العمر ما بين 26 إلى 35 سنة مع شريحة كبيرة من النساء و الأطفال الأقل من 15 سنة، وكانت هجرة البالغين ذات أهمية في تلك السنوات كونهم العامل الوحيد لظهور عائلات.

وبعد هزيمة فرنسا في جوان 1940، إلتف الشعب بالقيادة، وانضمت إليها الإدارة العليا، و مسؤولي الكنائس، الجنود، الشريحة العريضة من البرجوازية، الفلاحية و كذا الطبقة المتوسطة. ومن الفئات المهاجرة (الإيطاليون المضادون للفاشية، الإسبان، اليهود والغجر) وكانت التشكيلة الأولى الموحدة للمهاجرين التي ظهرت إلى الوجود هي (Réseau Manonchion)[26].

وفي الضفة الأخرى للبحر المتوسط، رفض مصالي الحاج و قادة الحزب السياسي الجزائري «P.P.A» الالتحاق بفيشي Vichy ومنعا الـــ «P.P.A» من الانضمام إلى الفاشية، وهذا الرفض خلق شروط إضافية سهلت نزول الإنجليز والأمريكيون إلى شمال إفريقيا في 1942. وبعد 1943، عندما أقام الجنرال ديغول في الجزائر على راس الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا، زُود الإقليم بالجنود المغاربيين، وقسم من المعدات وكذلك جُمِعت الأموال اللازمة لإعادة الكفاح، الـــشيء الذي سمح للحكومة المؤقتة للجزائر «GPRF» بتوحيد القدرات وتشغيل الأنظمة المؤقتة وإعطاء شكل جديد للسلطة الجزائرية، و كان الجيش الإفريقي

[25] EINAUDI Jean Luc, 1991, *La bataille de Paris*, Seuil, Paris. P 12.
[26] NOIRIEL Gérard, 2002, *La république et ses immigrés, petite histoire de l'intégration à la française*, Monde diplomatique, Février.

المكون في شمال إفريقيا و المُــؤطر من طرف الفرنسيين، قد تطوع في حرب تونس، إيطاليا وبعدها فرنسا، لكن الجنرال ديغول رفض الجزائريين المنظمين في إطار أصدقاء المظاهرات والحرية «AML» بإجراء انتخابات في الجمعية الملكية للعاهل وأصحاب السيادة. و في ماي 1945 منعت المظاهرات المحتفلة بنهاية الحرب العالمية الثانية وتحمل الشعب الجزائري وحده العقاب والردع القاسيين في مجازر 8 ماي 1945 بسطيف، قالمة، خراطة و باقي جهات الوطن، فكان الانتقام والإعدام و سقوط عشرات الآلاف من الضحايا الأبرياء، وبعد كل هذه الأحداث عاش الشعب الجزائري حالة من المعاناة و مشاعر الحزن والحداد، وانهيار الوسائل المادية والمعنوية والضعف الذي خلق لديهم مشاعر الرعب والخوف الشديد. وخروج السجناء، حير كل الشعوب التي عانت من التوقيف وفي نفس الوقت كبرت مشاعر الحقد والبغض والرغبة في الانتقام لديهم، وكانت مجازر 8 ماي 1945 بمثابة مراجع ومستندات لهم، و اندفعت فئة كبيرة إلى وكالات البطالة وتركوا البلد وذهبوا إلى تنمية الهجرة في العاصمة الفرنسية قصد البحث عن الرزق. أعطت أحداث ماي 1945 نشأة جديدة للعديد من الأحزاب، الشيء الذي وسع الفكر الوطني والمشاعر الموحدة المتعلقة بنفس الجوهر، رُمِز إليه بالعلم الذي رفع و لأول مرة في كافة المدن بالجزائر[27].

[27] STORA Benjamin, 1991, *La Gangrène et l'oubli, la mémoire de la guerre d'Algérie*, La Découverte, Paris, pp 23-41.

4.2.2. المـــرحلة الرابعة (1962/1946):

هروبا من الفقر خاصة، وجد العمال المغاربيين منذ 1945 الطريق إلى فرنسا قصد طلب الرزق، فنُـــصِّبوا في القطاعات ذات الأولوية، كالمناجم، المصانع الميكانيكية والكيمائية، الطرقات، مناجم الحديد، النقل والسدود وغيرها، و ساهمت الهجرة في إنعاش الجهاز الميكانيكي، والحفاظ على التوازن بين القرى والمدن المتوسطة والعاصمة. فربح الاقتصاد الفرنسي يد عاملة شابة وقوية، أدخلت مباشرة في مشاريع الإنتاج، وبثمن ضئيل جدا (نقص التكوين المهني، الحقوق الاجتماعية، والسكن)، و متغير على حساب احتياجات الاقتصاد.

لكن منذ 1947 أصبح المغاربيون «فرنسيون مسلمون» يتمتعون بغالبية الحقوق الاجتماعية والسياسية، وقد انظم الجزائريون، التونسيين و المغاربة إلى حركة الحريات الديمقراطية «MTLD» التي تعتبر الجزائر فرنسية، وفي 1953 تدهورت الحركة بسبب أزمة دامت لمدة سنة انتهت بإقامة مصالي الحاج المحروسة في NIORT و بعد فشل مؤتمر HORNU في جويلية 1954، توجهت الحركة الجزائرية نحو الكفاح المسلح العام في نوفمبر 1954، لكن في الفاتح نوفمبر تخطي بوضياف ولجنة الثورة للوحدة والعمل «CRU» و نجحت في لم جل المكافحين والمجاهدين تحت راية جبهة التحرير الوطني «FLN» الذي أعطى الورقة الرابحة التي تسمح بإزاحة مصالي الحاج نهائيا من الساحة السياسية، كونه رفض الانضمام إلى جبهة التحرير الوطني، وأحل الحركة الوطنية الجزائرية في ديسمبر 1954، ولأسباب سياسية وإستراتيجية قررت جبهة التحرير الوطني تفكيك «MNA» نهائيا وبالقوة في 1957. لتتولى قيادة حرب التحرير وحدها إلى النيل من المستعمر الفرنسي الغاشم. ليصبح كامل المغرب العربي مستقلا عن فرنسا. بعدما حصلت عليه كل من تونس و المغرب و الجزائر أخيرا[28].

[28] STORA Benjamin, 1999, *Le transfert d'une mémoire de l'Algérie française au racisme anti-arabe*, La Découverte, Paris, p132.

1.4.2.2. سياسة الهجرة خلال حرب التحرير الجزائرية:

لفهم أسباب الحرب بين «FLN» و «MNA» في فرنسا، يجب التركيز على أصل الحرب في الجزائر وتطوراتها، حيث أن هجومات 20 أوت 1955 التي سجلت نهاية الجزائر-الفرنسية افرزت تكوين منظمة مارست ضغوطات على السلطات العامة الفرنسية لإنجاح مصالحها الخاصة في باريس، و التي تضمن ترقية «FLN» الذي حل محل الحركة الوطنية الجزائرية «MNA» وقمع «MTLD» يوم 5 نوفمبر 1954 بقسوة شديدة. و تابعت «MNA» كفاح «ENA»، «PPA» و«MTLD» المركز على كلمة نظام السيادة لحزب و جيش التحرير الوطني، ولوضع النهاية لهذا النزاع، طُرح في مائدة مستديرة لإيجاد حل ديمقراطي للمشكل القائم بين الـــ «SNI» والـــ «FEN» و كانت وسائل الإعلام إلى جانب «FLN» الذي أعلن السيادة لوحده عن الشعب الجزائري. في مارس 1956 وبعد انتخابات السلطات الخاصة استعملت حكومة GUY MOLLET وسائل لم تستعملها من قبل أبدا في الحروب الاستعمارية، و هي استدعاء الجنود الاحتياطيين، و الإعتماد على تكثيف عمليات الوحدات المسلحة في الجزائر.

وبعد تكوين الحكومة الجزائرية المؤقتة «GPRA» في 1958، أخذت جبهة التحرير الوطني وبسبب الفدائيين، مراقبة صارمة في ما يخص الهجرة والحرب التي قامت ضد (الشعب الفرنسي العدو) و سببت رد فعل مباشر من السلطات العسكرية الفرنسية والمتمثل في القضاء على ما اعتبروه بالإرهاب الأعمى، بما فيها حركة العمال وردع الهجرة، كما أن تفاقم أزمات الجزائريين في فرنسا أدى إلى نمو الحركة العامة بالجزائر وتجمدت مطالب «GPRA» كونها المخاطب الأول للجنرال ديغول لانغلاق كل الطرق التي من شانها أن تجد الحلول الديمقراطية لمشكل الجزائر، و تفاعلت حكومة ديغول بقوة ضد «FLN» و«OAS» وبعدها قبلت المفاوضات مع «GPRA» فقط في معاهدات إفيان التي وضعت نهاية حرب الجزائر

لتنتهي المرحلة الاستعمارية. وعززت بعدها فرنسا إرساء اقتصادها ضمن السوق المشترك، ومع إعلان الأمر الصناعي كانت مناداة جديدة للهجرة[29].

5.2.2. المرحلة الخامسة: الهجرة المغاربية، من الاستقلال إلى يومنا هذا:

لا نستطيع الكلام عن الهجرة المغاربية في فرنسا إلا بعد 1962 عام استقلال آخر مستعمرات فرنسا، و نستطيع أيضا أن نُكوِّن مقاييس ومعايير لحقيقة تدفق الهجرة المغاربية، و كان لوزن التسيير الاستعماري كل الثقل في العلاقة بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط.

كان الوجود المغاربي بفرنسا نتيجة مباشرة للاستعمار. الاستعمار الذي وضع المغاربيين تحت السيطرة، رغم سن قانون 1946 والمعاد النظر فيه عام 1958، و المطالب بالمساواة بين كل المواطنين مهما كان أصلهم. فالواقع كان و منذ البدء معاكسا لما تنص عليه قوانين الجمهورية. إذ أن السلطة الاستعمارية التي اقترحت و أجبرت تعيين الآلاف من الرجال العمال والجنود بين 1914 و1918 و مئات الآلاف من اليد العاملة المغاربية لتعتبرهم غير مرغوب فيهم بعد النصر و تحقيق النمو الاقتصادي. فكان المهاجرين المغاربة تحت حراسة شديدة و تعرضوا لمضايقات كثيرة بالمقارنة مع الأجانب الموجودين في أوربا في نفس الفترة. كما لا يزال أبناؤهم و أحفادهم يعانون منها. بعد 1962 حظر الاستعمار طويلا و إلى يومنا هذا «Les harkis» في المناطق البعيدة عن المدن و أخظعهم للسلطة الموروثة عن الجهاز القديم المتعفن، الجهاز الذي لم يتغير يوما رغم تغير لهجاته و أهدافه و حتى قوانينه. الجهاز الذي نتج عنه، تهميش و إقصاء ناتج عن كراهية متزايدة في قلوب سكان البلد المضيف لتتعدى إلى باقي الأعراق التي تعيش بفرنسا، و تعدت هذه الكراهية الجيل الثاني و الثالث للمهاجرين[30].

---

[29] STORA Benjamin, 1991, *La Gangrène et l'oubli, la mémoire de la guerre d'Algérie*, La Découverte, Paris, p 27.

[30] De Rudder Véronique, 1997, *Quelques problèmes épistémologiques liés aux définitions des populations immigrantes et de leur descendance*, in : Aubert France., Tripier Maryse, François Vourch, *Jeunes issus de l'immigration*, L'Harmattan, 1997.

كانت و منذ أوائل المهاجرين المغاربيين للاستعمار الفرنسي طبيعة هادفة لتحريم الزيجات المختلطة والجماعية، وبذلك، بدأ انطلاق المغاربيين بريادة الجزائريين نحو فرنسا مع بداية القرن الماضي، وكان يجب أن تـــُنتظر وقوع الحرب العالمية الأولى كي تكون الهجرة المغاربية ظاهرة تكتل، ولما أُمِرَت فرنسا بالنزوح عن مستعمراتها، استدعت و بالقوة، مئات الآلاف من المغاربيين لترسلهم كجنود في ساحة المعارك، و آخرون كعمال في المصانع و ورشات البناء، يعملون لصالح الدفاع الوطني الفرنسي. وابتداء من هذه المرحلة، اتسمت الهجرة المغاربية بين عودة للوطن الأم وذهاب، للعمال المغاربيين، حيث خضعت الهجرة لقانون العرض و الطلب تبعا للتطور الاقتصادي وسوق العمل، واستطاعت السلطات الفرنسية تنظيم التدفقات بطريقتها التي كانت فيها الشروط الاجتماعية والاقتصادية لمعظم المغاربيين عابرة، وكان الهيكل القانوني الإداري غامض.

3.2. الجيل الأول للهجرة:

مع جلاء الاستعمار العسكري الفرنسي عن المستعمرات الإفريقية خلال الستينيات، انتهت مرحلة الاستغلال المباشر للموارد البشرية والطبيعية، وبدأت مرحلة جديدة من الاستغلال لهذه الموارد بشكل آخر وبأساليب مختلفة، منها الذهاب إلى عقر دار المستعمرات القديمة كما حصل في دول المغرب العربي وجلب اليد العاملة الرخيصة منها، وتقديم الوعود المغرية لهم. وكان يغلب على هؤلاء المهاجرين قلة الزاد الثقافي والديني، وضعف الوعي السياسي ومحدودية التخصص العلمي والعملي. و نتيجة لهذه المواصفات، ألقيت على كاهل الجيل الأول أشق المهام مثل إقامة الجسور والطرقات والأنفاق، وأدناها في السلم الوظيفي مثل التنظيف والصيانة والحراسة. و بذلك قامت عملية البناء العمراني في فرنسا بعَرق جبين و سواعد هذا الجيل الذي تم استغلاله أشد الاستغلال. و الأدهى أن رب العائلة كان (في المرحلة الأولى) يهاجر بمفرده ويعيش الغربة والتمزق الثقافي والبيئي في مجتمع يختلف عن مجتمعه الأصلي ثقافة وحضارة، حتى جاء القرار بالسماح لأفراد عائلات العمال الأجانب بالالتحاق بعائلاتهم عملاً بقانون «التجمع

العائلي» بعد تحركات منظمات إنسانية ونقابية احتجاجًا على الوضع غير الإنساني الذي يعيشه هؤلاء العمال. فجاء هؤلاء العمال بعائلاتهم لتبدأ مرحلة جديدة تتسم بمأساة من نوع آخر، حيث تم حشر عدد منهم في مجمّعات سكنية مكتظة معزولة، ولا تتوفر في محيطها وسائل الترفيه والتثقيف للكبار والصغار.

و عاش الجيل الأول للمهاجرين حالة من عدم الاستقرار بين العودة إلى الوطن الأم والبقاء على مضض في بلد المهجر. وكان همه الوحيد العودة يومًا ما إلى البلد والاستقرار بين أحضان العائلة الكبرى التي إفتقدها في عز العمر، فكان كل ما يدخره يرسل به إلى البلد لبناء سكن هناك. و لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، حيث تحول البيت إلى محل اصطياف من صيف إلى آخر، واستقر به المقام في بلد المهجر في انتظار الحصول على منحة التقاعد. من ناحية أخرى، كان هذا الجيل المتضرر الأول من الأزمة الاقتصادية التي بدأت تجتاح البلاد الأوروبية-الغربية منذ السبعينيات، وبالتحديد بعد أزمة النفط في 1973-1974، فكان العمال المهاجرون (الذين تنقصهم الخبرة وحذق اللغة) على رأس قائمة البطالة والتهميش الاجتماعي[31].

وتزامنت هذه الأزمة مع صعود موجة تيار أقصى اليمين ذي النزعة العنصرية الذي اتخذ المهاجرين هدفا لحملاته الإعلامية والسياسية، فقد قام جون ماري لوبان في أكتوبر1972 بتأسيس «الجبهة الوطنية» التي نمت شعبيتها بشكل كبير، حيث ارتفعت نسبة أنصارها من 0.5% في الانتخابات التشريعية لعام 1973 إلى نسبة 15% في الانتخابات التشريعية لعام 1998، باعتماد خطاب استفزازي إقصائي للأجانب، والمقصود بهم أساسًا العرب والمسلمون من منطقة المغرب العربي خاصة[32].

4.2. **الجيل الثاني للهجرة:**

[31] SAYAD Abdelmalek, 1980, *le logement provisoire pour des travailleur provisoires*, recherche sociales, n° 73, janvier mars 1980.

[32] *Migrances*, revue en ligne sur « L'Histoire de l'immigration en France et en Europe », revue émanant de *Génériques*, organisme de recherche et de création culturelle spécialisé dans l'histoire et la préservation des archives de l'immigration ».

في مثل الظروف التي نشا فيها الجيل الأول للمهاجرين المغاربيين، نشأ الجيل الثاني والثالث من أبنائهم. و لئن كان حظهم أكبر من حيث الاستفادة من فرص التعليم، فإنهم تشرّبوا بدورهم حالة التمزق التي عاشها آباؤهم، لكن بخلفيات وأبعاد مختلفة. فالمشكل بالنسبة لهؤلاء الشباب ليس الحيرة بين الاستقرار أو الهجرة، وإنما هو شعورهم بأنهم مواطنون من درجة ثانية، نتيجة عوامل عدة ذاتية وموضوعية. فبسبب نقص الوعي المدني والسياسي والثقافي لدى الأولياء، ورث الأبناء ضعفًا في التكوين التربوي ونقصًا في استيعاب الواقع وفهم معادلة حقوق المواطنة و واجباتها. و من لم يتمكن منهم من التحصيل العلمي في هذه الظروف كان مصيره الرسوب الدراسي، وما يعني من تسكع في الشوارع، والبقاء عالة على الأسرة. من ناحية أخرى، سُجّلت حالات من التهميش المقصود لأبناء الجالية المغاربية على المستوى التعليمي، بتوجيههم إلى تخصصات تقنية وحِرَفية قصيرة المدى، بهدف الحد من تخرّج طاقات وإطارات من بينهم في تخصصات عليا وفي مجالات التأثير.

ولعل الحملة على الحجاب تندرج ضمن هذه الخلفية من أجل إقصاء الفتاة المسلمة المتحجبة من الوصول إلى المراكز العليا حتى لا تكون نموذجا يقتدي به، ووسيلة دعوة للفكرة التي تحملها. ونفس الشيء يسجل على مستوى العمل. فهُناك حالات من صميم الواقع يتقدم فيها شباب من أصل مهجري بمطالب للعمل لكنها ترفض لأن اسم الشاب أو الفتاة يوحي بالأصول العربية الإسلامية، فيتقدم صاحب نفس الطلب بطلب ثان ولكن بهوية مغايرة تحمل أسماء لاتينية، فيقبل الطلب. و الأمثلة متعددة في نفس السياق، الأمر الذي يفسّر وجود بطالة في صفوف أبناء المهاجرين ممن وصلوا إلى سنّ الشغل، علما بأنّ عدد العاطلين في فرنسا يرتفع إلى مليون ومائتي ألف في آخر إحصائية رسمية 2007. وقد خلّفت سياسة التهميش وعدم تساوي الفرص هذه لدى بعض الشباب الذين درسوا في مدارس فرنسا وقرءوا عن شعارها «حرية وعدالة ومساواة»، وأنها رائدة الحرية وحقوق الإنسان في العالم - خلّفت لديهم نقمة على المجتمع تفاعلت مع ضعف الوعي المدني، الأمر الذي دفع بعضهم إلى رد الفعل بالبحث عن وسائل للتعبير عن التمرد على المجتمع

بالسقوط في انحرافات أخلاقية وسلوكية مثل تعاطي المخدرات والعنف والجريمة. فقامت جهات سياسية وإعلامية بتضخيم ردود الأفعال هذه وتضخيمها بالحديث عن ظاهرة تهدد أمن فرنسا. وقد نجح تيار أقصى اليمين في التركيز على هذه الانحرافات وتعميمها على كل المهاجرين، وتخويف الرأي العام من «غزو بشري خارجي يهدد هوية فرنسا وأمنها»، متجاهلا الأسباب العميقة لعدم اندماج هذه الهجرة، ومتنكرًا للعطاء الاقتصادي للمهاجرين نحو فرنسا عبر دفع الضرائب كبقية الفرنسيين والانخراط في الدورة الاقتصادية بيعا وشراء واستثمارا[33].

فالجالية المغاربية في فرنسا هي اكبر الجاليات في فرنسا من حيث الحجم، كما أنّ عائلات المهاجرين متعددة الأفراد وهي بذلك عامل أساس في تنشيط حركة الاستهلاك والانتعاشة الاقتصادية، وتكفي الإشارة إلى تقرير المجموعة الأوروبية في بروكسل عام 2001، فإن المهاجرين يساهمون بـــ (14.7%) من الناتج المحلي الإجمالي بفرنسا

وعندما يُسأل لوبان عن كيفية معالجته لهذه المعادلة في برنامجه يرد: طرد المهاجرين.. في الوقت الذي يساهمون كغيرهم في الاقتصاد الفرنسي؟ يجيب بأن المبالغ التي يدفعونها توضع في صندوق خاص للتوفير بهدف الإعداد للعودة النهائية إلى البلد الأصلي حسب برنامجه، والحال أن فرنسا هي البلد الأصلي للجيل الثاني و الثالث للمهاجرين، وأن ما يسمى بلدانا أصلية، عربية وإفريقية، مجال حيوي للاستثمارات الفرنسية وللحضور الفرنسي الثقافي والاقتصادي والسياسي والعسكري. وفي غياب موقف سياسي شجاع يقوم على النقد الذاتي، والبحث عن كبش فداء للعجز الحضاري الذي سقطت فيه فرنسا، يسعى هذا التيار العنصري إلى إلقاء مسؤولية أزمات المجتمع على «الأجانب» عامة و «المغاربة» خاصة، متناسيا أن المهاجرين وأبناءهم -الذين يحمل جلهم الجنسية الفرنسية - هم ضحية الاستغلال والتهميش، وأنهم يعانون أوضاعا اجتماعية واقتصادية صعبة. اذ لم يقتصر التهميش على فئات الشباب بل طال الإطارات والنخبة المثقفة المغاربية[34].

[33] DEWITTE Philips, 1999, *l'immigration et intégration, l'état des savoirs*, la découverte, Paris, p 98.
[34] NOIRIEK Gérard, 1988, *Le creuset français. Histoire de l'immigration*, Éd du Seuil, Paris, 1992.

فــلقد صاحبت هجرة اليد العاملة من المغرب إلى فرنسا هجرة من صنف آخر تتمثل في هجرة العقول أو ما يسمّى بالكفاءات العلمية والفكرية، وفيهم نسبة من المهاجرين لأسباب سياسية. وهذه الكفاءات وجدت صعوبات جمة لاختراق جدار الإقصاء، وتعرضت للإستغلال، ويتجلى ذلك خاصة في القطاع الصحي، حيث يضطر الأطباء من أصل أجنبي إلى العمل في ظروف أصعب في الدوام الليلي وفي العطل رغم أن تخصصات بعضهم تؤهلهم لرئاسة أقسام طبية في المستشفيات. كما أن نسبة من الطلبة الجامعيين من أصل أجنبي غير الحاصلين على منحة يضطرون إلى القيام بأعمال مرهقة وغير مناسبة لمؤهلاتهم العلمية وإهتماماتهم، مثل الاستقبال في الفنادق ليلا وغسل الأواني في المطاعم وحراسة المؤسسات.. من أجل تغطية مصاريف دراستهم العليا في الجامعات الفرنسية، في ظل غياب سياسة تشجيع الطاقات والكفاءات العربية-الإسلامية التي تضطر إلى الهجرة[35].

لم يرضخ أبناء الجالية المغاربية لوضع الإقصاء والتهميش. فهناك العديد من المؤشرات التي تدل على أن التحديات دفعتهم إلى الاعتماد على الذات، وشق طريق الكدح، وإبراز الكفاءة على أرض الواقع ببذل جهود فردية وجماعية. فأقيمت مشاريع حرة في عدة مجالات واختصاصات مثل المؤسسات التجارية والحرفية والتوريد والتصدير والاستثمار ودور الطباعة والنشر والمكتبات ووكالات السفر ومقاولات البناء والإعلام والهندسة المعمارية، إلا أن مجالين بقيا مقفلين على الأجانب وهما: إنشاء بنوك أو فتح مؤسسات تأمينية. ويصعب تحديد عدد هذه المؤسسات الخاصة، لأن النظام الفرنسي يمنع الإحصاء على أساس عرقي أو ديني، ولكن المتجول في أحياء عربية في باريس ومدن فرنسية كبرى مثل ليون ومرسيليا، يلاحظ نمو مثل هذه المشاريع الحرة التي تنم عن وعي اقتصادي في صفوف الجالية العربية، وإرادة قوية في التحرر من قيود التهميش والإقصاء[36].

و في الأخير، و إذا تحدثنا عن الهجرة إلى فرنسا بلغة الأرقام، فقد أعلن المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية الفرنسي، أن عدد المهاجرين في

[35] « Vie associative et immigration : entre mobilisation et participation, 2000-2001, *Migrances hors-série*, 17-18, Actes du colloque organisé par le FASILD, 8 oct. 2001.
[36] LAMCHICHI Abderrahim, BAILLET Dominique, 2001, *Maghrébins de France Regards sur les dynamiques de l'intégration*, Confluences Méditerranée, N°39.

فرنسا، الدولة التي تستقبل اكبر عدد من المهاجرين في أوروبا، بلغ 9.4 مليون نهاية عام 2004، أي ما يعادل 18 في المائة من السكان. و أوضحت المؤسسة الحكومية في دراسة لها أن معظم هؤلاء المهاجرين أتوا من أفريقيا وآسيا حسب ما أفاد به نفس المصدر. وكانت الإحصاءات تشير إلى وجود 2،4 مليون مهاجر في فرنسا عام 1990، وسجل عام 1999 وهو تاريخ آخر إحصاء سكاني عام في فرنسا (قبل إحصاء 2006 الذي لم تعلن بعد نتائجه)، مئة ألف مهاجر إضافي فقط. إلا أن الأرقام تشير الى تسارع في الهجرة في السنوات الخمس التالية مع مجيء 600 ألف مهاجر إضافي. وتعتبر واضعة الدراسة كاترين بوريل[37] أن إحصاء 1999 «قلل من عدد المهاجرين الفعلي». و في 2004، لم يتغير عدد المهاجرين المنحدرين من دول الاتحاد الأوروبي الحالي «27 دولة» مقارنة مع عددهم في 1999. لكن التمثيل الجغرافي تغير، فتقلص عدد الايطاليين والأسبان والبولنديين وهم من المهاجرين القدامى وبقي حجم البرتغاليين نفسه فيما ازداد عدد البريطانيين بـــ 45 ألف مهاجر إضافي. ورغم تسجيل قفزة نسبتها 37 في المائة في حجم المهاجرين الآتين من أوروبا الشرقية «خارج دول الاتحاد الأوروبي» بالنسبة لعددهم في إحصاء 1999، فان حجم المهاجرين من القارة الأوروبية يواصل انخفاضه. فـــفي حين كانوا يشكلون 57 في المئة من مجمل المهاجرين في 1979 تراجعوا إلى 40 في المائة بعد 30 عاما. ومجموع المهاجرين القادمين من باقي أنحاء العالم بلغ 4.1 مليون شخص أي 29 في المئة من المهاجرين في مقابل 20 في المائة في 1999. و تعود الزيادة إلى هجرة آسيوية أولا، وفي مقدمتها تركيا. و إلى هجرة من إفريقيا (جنوب الصحراء)، وبعد عقود من تفوق عدد الرجال في صفوف المهاجرين العائد إلى مجيء اليد العاملة غير المؤهلة، باتت النسبة بين الرجال والنساء متكافئة وذلك منذ 1999 نتيجة سياسة لم شمل العائلات المتبعة منذ السبعينات في فرنسا.

[37] http://www.vie-publique.fr/politiques-publiques/politique-migration/chronologie-immigration/

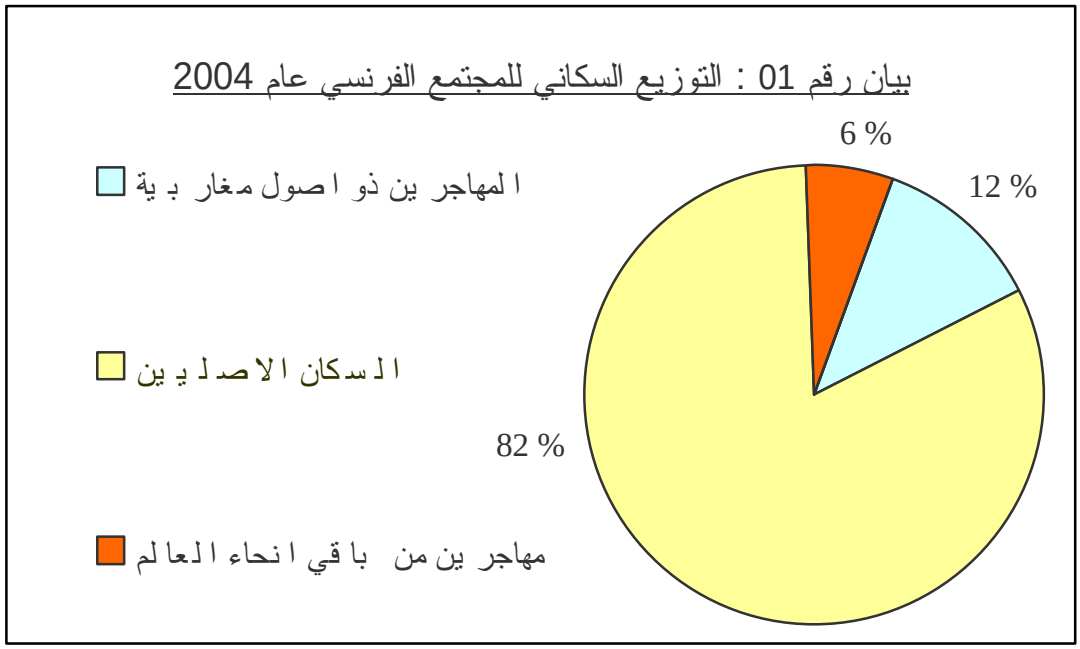

5.2. واقع المهاجرين المغاربيين إلى فرنسا:

تصبح الهجرة من بلاد إلى أخرى ظاهرة عالمية واسعة، حتّى يصل عدد المهاجرين سنوياً إلى أكثر من خمسين مليون إنسان. و بطبيعة الحال، تكون الهجرة من بلدان المغرب العربي الفقيرة المضروبة بالبطالة وعدم الاستقرار، إلى بلاد مزدهرة بحاجة إلى أيدٍ عاملة. من هنا، فإن الأكثرية الساحقة من الهجرة السنوية إلى فرنسا هي من أفريقيا. وقد شاهدنا على شاشات التلفزيون، أكثر من مرّة، قوافل الشبان المغاربة وهم يخاطرون بحياتهم، في طريق التسلل، عبر المغرب، إلى إسبانيا وفيما بعد إلى أوروبا. وهناك حالات إنسانية موجعة حيث تقوم الدول الأوروبية بطرد مهاجرين «غير قانونيين» بالقوة إلى أوطانهم الأصلية. ما نعتقده، منطقياً، أنه ما دامت مناطق واسعة في العالم مضروبة بالحروب الأهلية والعرقية وبالدكتاتورية الإرهابية الدموية، البطالة، الفقر و الحقرة، فإن الهجرة القانونية سوف تستمر، كما سوف تستمر الهجرة «غير القانونية»[38]. فـــنحن نعرف أن الهجرة من البلدان العربية إلى الأمريكيتين بدأت في القرن الثامن عشر واتسعت

[38] NOIRIEL Gérard, 2001, *État, Nation et immigration, vers une histoire du pouvoir*, Paris, Belin. P 129.

أكثر في القرن التاسع عشر، هرباً من الفقر والجوع وهرباً من البطش العثماني وأخْذ الشبان بالقوة إلى الخدمة في الجيش العثماني.

تقول الإحصائيات الآن أن هناك أكثر من تسعة ملايين مهاجر جلهم من أصل مغاربي في فرنسا، وأن الهجرة المغاربية مستمرة إلى فرنسا، بوجهيها، قانونية كانت أم غير قانونية. كما أنها تزداد، بإستمرار، في كندا، وفي أستراليا. و في كل دول أمريكا الجنوبية، فهناك جاليات عربية، بعضها كبير ومؤثر في الحياة العامة للبلد المضيف، كما هو الحال في تشيلي والبرازيل. علينا أن نقول الحقيقة العلمية والاجتماعية والعملية، وهي ان عائلة تهاجر إلى دولة بعيدة تكون مستعدة أن تندمج مع الوقت، بالحياة العامة، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للوطن الجديد. و من الجيل الثاني والثالث، يتبنّى المهاجرون وأبناؤهم اللغة المحلية والتقاليد العامة في الدولة التي وفدوا إليها. نلاحظ، في العقد الأخير تطوراً مختلفاً. فمع اتساع الهجرة إلى الغرب من العالمين العربي والإسلامي، تسعى فئات من هذه الهجرة العربية والإسلامية لإقامة غيتوات معزولة. و يتجلى ذلك في مغاربة فرنسا و أتراك ألمانيا، ونلاحظ ذلك بالنسبة للعرب والأفغان والباكستانيين في بريطانيا[39].

يجمع باحثون اجتماعيون عرب إن «الهموم الأساسية للمهاجرين العرب في فرنسا هي مشاغل اجتماعية وسكنية واقتصادية ومشاغل ضمان مستقبل أفضل للأولاد»[40]. إذا كان هذا صحيحاً. و هو صحيح في رأيينا، فهل الانغلاق والانعزال والتقوقع والكراهية للبيئة العامة في الدولة المضيفة، مفيد أم مُضِر؟ يساعد على التقدم أم يقف عقبة في طريق التقدم؟ فرغم إن فرنسا و قوانينها الجمهورية تعطي فسحة واسعة أمام مهاجريها، العرب وغير العرب، للمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم الدينية، انطلاقاً من الديمقراطية الإنسانية السائدة في أوروبا (احترام الآخر). الشيء الذي نلاحظه في مساجدها و مدارسها العربية. فاننا نلاحظ و بأسف، أن الأحزاب الفاشية والعنصرية المتطرفة في كل دول أوروبا عامة و فرنسا خاصة تقوم بدعاية إعلامية كبيرة عنصرية (باستعمال كل أجهزة الإعلام و

[39] Goffman Erving, 1991, *Evénement et sens de l'immigration*, In raisons Pratiques, n° 11, Paris, p 39.
[40] DUBET François, LAPEYRONNIE Didier, 1992, *les quartiers d'exil*, Seuil, Paris, p 198.

وسائله) من خلال التحريض العنصري السافل ضد المهاجرين المغاربيين خاصة. و هم ليسوا الذين قدموا في آخر عشر أو عشرين سنة، ففي فرنسا مواطنون ممن قدم أجدادهم إليها قبل قرن من الزمن، ومع هذا يتعرضون للتحريض والرفض والمضايقات.

نرى و ككثير من المعلقين، أن الوقت لا يسير في مصلحة الإدارة الفرنسية. فالفشل في تقديم استراتيجية واضحة لِضم و اندماج شباب المهاجرين في فرنسا إلى المجتمع قد يدفع الشباب إلى الانزلاق و إلى التطرف، خاصة وسط التطورات التي يشهدها العالم حاليا. فما هي أسباب هذا الفشل؟ فلب الخطأ في رأينا يعود إلى المراحل الأولى للهجرة، و هو وضع كافة الأطفال القادمين من أسر مهاجرة من نفس الحي في مدرسة واحدة، والوضع في المدارس يشبه الوضع في السكن، فمن أجل إبقاء أحياء أي مدينة فرنسية خالية من المهاجرين تم تجميع هؤلاء في أماكن سكنية تشبه الغيتوهات المنعزلة في ضواحي المدن لنقول للتلاميذتهم في المدارس: انتم جميعا فرنسيون. لكن الواقع بعيد كل البعد إذ يشعر كل من هو مغاربي أنه معزول و مقصى عن المجتمع الفرنسي وبالتالي ينكفئ على هويته وجماعته الأصلية[41].

6.2. واقع المهاجرين و إنتفاضة ضواحي باريس:

أثارت الصدامات التي لا تزال مندلعة بين شباب المهاجرين والشرطة من حين لآخر، تساؤلات عدة حول وضع المهاجرين في فرنسا. ففي عام 1998 اتجهت أنظار العالم إلى فرنسا ليشاهد كيف نجحت في تجسيد اندماج مُهاجريها وقدمت منتخبا وطنيا لكرة القدم يزخر بنجوم من خلفيات إجتماعية وعرقية مختلفة، أمثال

[41] QUIMINAL Catherine, 2002, *Ville- Ecole- Intégration- Enjeux*, n° 131, décembre 2002, p 106.

زيدان، فييرا، تريزيقي، جوركاييف، ديزيه، دوجاريه .... الخ. ورأى العالم كيف يتألق الفريق الفرنسي المتنوع ويهزم المنتخب البرازيلي العريق ليفوز بأرفع لقب كروي وهو لقب بطل العالم. وأصبح الفريق الفرنسي رمزا لنجاح فكرة التعدد الثقافي وتجسيدا للطريقة الفرنسية في صهر المهاجرين مهما إختلفت مشاربهم في بوتقة الجمهورية، فيصبح الجميع مواطنين فرنسيين يحملون الهوية الفرنسية وينطبق عليهم القانون الفرنسي[42].

واليوم في عام 2007 تتجه أنظار العالم مرة أخرى إلى باريس ولكن هذه المرة ليشاهد كيف يتمزق النسيج الاجتماعي الفرنسي، وينتفض المهاجرون المُهمشون لتشتعل أسوأ موجة شغب تشهدها فرنسا منذ عقود في الذكرى الأولى لأحداث باريس 2005. في نوفمبر 2006 و كذا أحداث الشغب بعد تصدر Sarkozy الانتخابات الرئاسية في افريل 2007. ماذا حدث؟ ولماذا تبخر حلم التعدد الثقافي؟ أم أن فريق الأحلام لم يكن يعكس الواقع؟. لقد بدأت الأحداث في ضاحية كليشي سوبوا الباريسية حيث سقط شابان أثناء مطاردة الشرطة لهم وفقا لرواية أقارب الضحايا، فاندلعت مصادمات عنيفة بين شباب المهاجرين، ومعظمهم من شمال وغرب إفريقيا، و قوات الشرطة، احتجاجا على الأوضاع المزرية التي يعيشون فيها والتمييز العنصري داخل المجتمع الفرنسي. أدت هذه الصدامات إلى إحراق 1900 سيارة واعتقال 1250 شخص إضافة إلى أعمال نهب وسلب واسعة النطاق.كشفت أحداث العنف التي اشتعلت نهاية عام 2005 في ضواحي باريس عن حجم فشل دينامكية إندماج المهاجرين العرب والأفارقة (واغلبهم من المسلمين) في النسيج المجتمعي الفرنسي، الذين غدوا يشكلون اكبر أقلياته وأكثرهم تهميشا وإقصاء. ومع أن مطالب المحتجين لم تتجاوز المطالب الاندماجية المألوفة من حقوق تعليم وتشغيل ورعاية صحية، إلا أن الانتفاضة الدامية المتواصلة طرحت بقوة الإشكالات الجوهرية المتعلقة بالنموذج الاجتماعي الفرنسي الذي تتشكل خصوصيته المميزة في سمته المركزية اليعقوبية[43]، في مقابل نظام التعددية الثقافية

[42] REY Henri, 1996, *la peur des banlieues*, Paris, presses de la fondation nationale des sciences politiques.
[43] SCHNAPPER Dominique, 2001, *Exclusions au cœur de la cité*, Economica, Paris .p 18.

- القومية القائم في أميركا ومعادلة المجتمع الأهلي التعددي في بريطانيا. ولقد طرحت هذه الإشكاليات العصرية من قبل، في سياق الجدل الواسع الذي خلفه قانون تحريم الإشارات الدينية في المدارس الحكومية الذي عرف بقانون الحجاب، كما طرحت في اوّج الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام 2000، عندما اندلعت موجة دامية من العنف بين الجاليتين اليهودية والعربية في بعض الأحياء الباريسية المشتركة. فما بينته هذه الأحداث المتلاحقة هو انتقال المجتمع الفرنسي من نموذجه المركزي، الذي بلورته فكريا قيم عصر الأنوار، وجسدته مؤسسيا معايير العلمانية الجمهورية، منذ صدور قانون الفصل بين المؤسستين الدينية والسياسية عام 1905.

إن واقع التنوع الثقافي والقومي الذي أصبح السمة الغالبة على الأمة الفرنسية يقتضي نمطا جديدا من ضبط وإدارة الرهانات المجتمعية بالإقرار بمعادلة الاختلاف والتعددية، ودفع استحقاقاتها الفعلية، بدل التنكر لها والتحايل عليها بالإجراءات القانونية[44] فمن الخطأ اختزال مأساة الجاليات العربية الإسلامية في فرنسا في موضوع الجريمة، الذي يستأثر على نطاق واسع باهتمام الطبقة السياسية الفرنسية، كما أن تحميلها خلفيات دينية أو عقدية خطأ في التحليل و وهم في الرؤية والاستقراء. إلا أن الحالة الفرنسية على خصوصياتها المذكورة ليست فريدة في الساحة الأوروبية أو الغربية إجمالا، بل أن أحداث الإرهاب الفظيعة التي اجتاحت الدول المستقطبة للهجرات العربية الإسلامية، كشفت عن جوانب أخرى من هذه المعضلة، وأبرزها اعتداءات مدريد في مارس 2002 ولندن في 7 جويلية 2005 فضلا عن زلزال 11 سبتمبر وذيوله داخل المجتمع الأمريكي و الغربي. و مع التشديد على أن أحداث الإرهاب لا تبرر ولا تُسْتساغ بأي وجه، إلا أن الفظائع المذكورة تفسر بكونها إخفاقا خطيرا في مسلك التعايش العربي الإسلامي-الغربي في إحدى دوائره المحورية (دائرة الهجرة)[45]. ولهذا الفشل أسباب عديدة، نلخصها في الإشارة إلى معطيات ثلاثة رئيسية حسب رأينا تستحق وقفة انتباه.

[44] FOUCAULT Michel, 1997, *Il faut défendre la société*, Paris. p 155.
[45] WIEVORKA Michel., 1996, *Une société fragmentée ? Le multiculturalisme en débat*, La Découverte, Paris. p 84.

- أولا: لم ينجح النسيج الاجتماعي الفرنسي و في الدول الأوروبية عموما، في استيعاب الهجرات العربية الإسلامية، بحسب وتيرة الهجرات اليهودية والأوروبية الجنوبية (الجاليات اليونانية والإيطالية) والشرقية (خلال العهد الشيوعي)، فارتبط هذا المكون بالتـــركة الاستعمارية أو الطفرة الصناعية، التي تلت الحرب العالمية الثانية[46]، فبقيت هذه الجاليات المهاجرة في غيتوهات مغلقة. فإذا كانت التركة الاستعمارية لم تحسم في صالح تعويض الأضرار والمآسي التي انجرت عن جرائم الاحتلال، فإن انهيار الطبقة العاملة في العصر الصناعي الثاني قد حكم على الأجيال الجديدة، من المهاجرين العرب والأفارقة بالتهميش والإقصاء (لتقلص الحاجة الموضوعية إلى العمالة اليدوية).
- ثانيا: لم تتمكن الجاليات المهاجرة، و على وجه الخصوص، العربية و المغاربية من الاندماج الفاعل في مجتمعاتها، بالتحول من نموذج (المهاجر الضيف) إلى نموذج (المواطن المنتمي)، فظلت اعتبارات الخصوصية العقدية والثقافية عائقا أمام هذا التحول المنشود، دون القدرة على التوفيق بينها ومقتضيات المواطنة داخل سياق مجتمعي مغاير من حيث الخلفيات التاريخية والحضارية لأرضية الانتماء الأصلية. فمع أن بعض وجوه النخبة الفكرية المسلمة في أوروبا رفعت شعار (الإسلام الأوروبي) ودافعت عنه بصفته إطارا مغايرا لتجارب المجتمعات المسلمة (من ابرز هذه الوجوه طارق رمضان في أعماله الغزيرة المتلاحقة)، إلا أن الحقيقة البادية للعيان هي أن الجمعيات والتنظيمات الإسلامية في أوروبا، لا تختلف في شيء عن مثيلاتها في العالم الإسلامي، حيث تنتشر أكثرها في التطرف والانغلاق[47]. ولا بد في هذا الباب من الإشارة إلى جهود المجلس الأوروبي للإفتاء الذي لا يزال في خطواته الأولى لضبط مدونة حلول المشاكل وتحديات المسلمين في الغرب، بحسب مقاييس (فقه الأقليات) الذي يحاربه الكثير من الفقهاء الجامدين.
- ثالثا: تعاني إستراتيجية الدول الأوروبية و الفرنسية خاصة، في التعامل مع حركة الهجرة من تناقض حاد بين مقتضيات الانفتاح غير المقيد، لتسهيل حركة

[46] PRINCIPE Lorenzo, 1995, *L'image médiatique de l'immigré: du stéréotype à l'intégration*, In : Migrations Société, n° 42, novembre - décembre 1995.
[47] CESARI Jocelyne, 1997. *Faut-il avoir peur de l'islam ?* Bibliothèque du Citoyen, Presses de Sciences Politique 1997, Paris. P 123.

البشر والبضائع بحسب منطق العولمة الاقتصادية، وبين الميل للانكفاء على الذات وغلق الحدود لحماية (جزيرة النعيم البيضاء) من (قطيع البرابرة الجياع) الذين يهددونها من الخارج. ولقد عكست قوافل الموت السوداء على الحدود الاسبانية - المغربية هذه الحقيقة، وبينت أن المنظومة الكونية لحقوق الإنسان تتوقف عند حدود المصالح الحيوية، وان لحركية العولمة إيقاعات و وتائر متباينة، وليست هي بالفضاء المفتوح الموحد[48].

فإنتفاضة الضواحي الباريسية لا تُفسَّر خارج هذه المعادلة الثلاثية التي لخصناها في عوائق الاندماج المتصلة، إما بطبيعة النسيج الداخلي للمجتمع الفرنسي أو تركيبية مجتمع الهجرة ذاته. فصحيح أن مشاكل مماثلة واكبت مسار اندماج الجاليات اليهودية والأوروبية الشرقية والجنوبية في البلدان الصناعية الأوروبية، ولكن عوامل الانسجام الثقافي حدت في نهاية المطاف من هذه المصاعب، حتى ولو كانت بعض آثارها لا تزال بادية للعيان[49].

فالإشكال الكبير المطروح اليوم، على كــُبْرَيات البلدان الأوروبية التي إستقطبت الهجرات العربية الإسلامية الكثيفة، يتلخص في السؤال التالي: هل ثمة موقع داخل نسيج هذه المجتمعات لمكون عربي إسلامي يتشبث بخصوصيته وسماته المميزة ضمن ثوابت ونظم النموذج المجتمعي القائم؟[50] ومهما كانت الإجابة على هذا السؤال، فإن الحقيقة المؤكدة هي أن المكون العربي الإسلامي قد أصبح بالفعل جزءا رئيسيا من تركيبة هذه المجتمعات، حتى وإن لم يكتمل مسار اندماجه فيها.

فكثيرًا ما تكون الأحلام الجميلة عند بعض الناس كوابيس مزعجة عند غيرهم، وهذا ما شهدته السنوات الماضية مع تزايد المهاجرين واللاجئين إلى دول الاتحاد الأوروبي بكثرة، فهذا التطوّر يحرج الحكومات الأوروبية، ويجبرها على البحث عن تدابير مناسبة لتخفيف الضغوط، ولكن عدم وجود حلول مشتركة وشاملة لدول الاتحاد، لن يمكّن المسؤولين من مواجهة موجة الهجرة إلى بلدانهم بنجاح.

---

[48] GUENIF Souilamas, 2000, *Des « beurettes » aux descendantes d'immigrants nord-africains*, Paris, Grasset/Le Monde. P 29

[49] TÉVANIAN Pierre, 2002, *Le racisme républicain. Réflexions sur le modèle français de discrimination*, L'esprit frappeur, février 2002. p 165

[50] VERBUNT Gilles., 2001, *La société interculturelle*, Éd du Seuil, Paris, P148.

وتبرز حاجة ماسة إلى قواعد واضحة، ليس فقط لتهدئة المواطنين الأوروبيين الذين يرفض معظمهم ارتفاع عدد الأجانب في بلدانهم، إنما كذلك لوضع حدّ لتعسّف قنصليات الدول الأوروبية في الخارج في إجراءات منح تأشيرات الدخول، إذ يجد موظفو تلك القنصليات أنفسهم محاطين بأعداد هائلة من الطلبات، يعجزون عن التعامل معها بأسلوب مناسب. و من ناحية أخرى يشتكي كثير من الأجانب الذين يتقدمون بطلب لجوء أو تأشيرة دخول من المعاملة السيئة ومن مِزاجِية الموظفين، فكلمة «الطلب مرفوض» دون ذِكْر الأسباب، تمثل طريقة خشنة لصرف الحشود، وتدفع بعض الراغبين في الهجرة إلى أساليب غير قانونية[51].

مما سبق يتضح لنا جليـــاً بان العلاقة جد معقدة بين المشرق والمغرب. فالتوترات العرقية لم يتم حلها حتى الآن بشكل جذري، لذلك تبقى كالجمر المستعر تحت الرماد. فكل فرنسا تتحدث عن هؤلاء الشباب الذين يحرقون السيارات والممتلكات ويشتبكون مع رجال الشرطة. وبعد أن تهدأ الأحداث سيتوقف الحديث عن المشاكل التي أدت إلى هذه المصادمات وينسى الجميع ما حدث، لتبدأ موجة جديدة من التوترات. و رغم لغة الحديث المشتركة، والتي تجمع بين كافة الفئات والأقليات في فرنسا، تظل الهوة التي تفصلهم كبيرة، وخاصة الأقـــلية العربية المسلمة. فـــنلمح على الصعيد الدولي شقاقا واسعا بين المغرب والغرب. و من وجهة نظرنا فإن الهوة التي تفصل المشرق عن المغرب اليوم هي أعمق من تلك التي كانت تفصل بينهما قبل عشرين أو ثلاثين عاما، فالعرب المسلمين في فرنسا يواجهون أزمة عصيبة في هويتهم. فهم يشعرون أنهم ينتمون إلى أوطانهم الأصلية، إضافة إلى انتمائهم إلى البلد الذي هاجر آباؤهم إليه أي فرنسا. ونظرا للفروقات الشاسعة بين العالمين يشعر الشباب العربي في فرنسا بالتمزق الحاد. و لا أحد يهتم بكيفية معالجة هذا التمزق، بل لا أحد ينظر إليه بجدية.

[51] SPIRE Alexis, 1999, *De l'étranger à l'immigré. La magie sociale d'une catégorie statistique*, n°129-septembre 1999, Paris. P 47.

الفصل الثالث:
الصحافة الفرنسية المكتوبة.

الفصل الثالث: الصحافة الفرنسية المكتوبة.

1.3. نشأة الصحافة وتطورها.
2.3. بدايات الصحافة في أوروبا.
3.3. الصحافة الفرنسية.
4.3. الصحافة العالمية و رقابة الدولة.
5.3. الصحافة الفرنسية المعاصرة تحت أيدي الدولة.
6.3. مصداقية الصحافة.
7.3. الصحافة الفرنسية وأزمة المصداقية

1.3. نشأة الصحافة وتطورها:

منذ وجد الإنسان، وعرف اللغة والكلام، نشأت عنده حاجة لأن يقول للآخرين ما يعمل، وما يفكر فيه، ويعرف منهم، كذلك، ما يعملونه، وما يفكرون فيه، لأن طبيعة الإنسان الاجتماعية، تجعله يهتم بما يدور حوله، ولا يستطيع الحياة وحده، فكان لابد من إيجاد وسيلة للتعبير عن آرائه، وآماله وآلامه وحاجاته، إلى غير ذلك.

يرى محمد حسين البردويل[52] أن الصحافة، بمعنى نقل الأخبار، قديمة قدم الدنيا وليست النقوش الحجريـــة في مصر والصين وعند العرب الجاهليين، وغيرهم من الأمم العريقة، إلاّ ضرباً من ضروب الصحافة في العصور القديمة. ولعل أوراق البردي المصرية[53]، من أربعة آلاف عام، كانت نوعاً من النشر أو الإعلام أو الصحافة القديمة.

وكانت الأخبار، في هذه العصور الأولى، خليطاً من الخيال والواقع، تمشياً مع رغبات السامعين، بغية التسلية، الإشادة بالبطولة والقوة، وكان هذا اللون من القصص كثير التداول بين الناس يعمر طويلاً، وينتقل من جيل إلى جيل، على صورة القصص الشعبي، الفولكلور. ولو صح ما قاله المؤرخ اليهودي يوسف فلافيوس Flavius Josèphe أنه كان، للبابليين، مؤرخون مكلفون بتسجيل الحوادث، التي اعتمد عليها نيروز، في القرن الثالث قبل الميلاد، في كتابه «تاريخ الكلدانيين»، لتبين أن الصحافة، كظاهرة اجتماعية قديمة جداً، عُرفت في العصور السحيقة. ويقال أن الصحافة بدأت في صورة الأوامر، التي كانت الحكومات توفد بها رسلها مكتوبة، على ورق البردي، إلى كل إقليم. و كان لهؤلاء الرسل محطات معينة يتجهون إليها، بما يحملون من الرسائل، لهم جياد في كل محطة. ومتى وصلت الرسالة إلى حاكم الإقليم، أذاع ما فيها على سكان إقليمه، وقد يلجأ، في بعض الأحيان، إلى إطلاق المنادين التي ينادون بما فيها.

---

[52] محمد حسين البردويل، 1996، الصحافة نشأتها وتطورها، ط1 (غزة: مطبعة منصور)

[53] عُثر عليها في مصر في مكان قريب من هرم "سقارة" وفي الفيوم، فعن طريقها عُرف أسماء ملوك شيدوا آثارا خالدة، خاصة في عهد تبعية مصر للأمويين والعباسيين، وأمكن معرفة نظام الدواوين وأحوال مصر الإدارية والاقتصادية والحالة الاجتماعية وأثمان الأصناف الصناعية والأراضي والعقارات

استخدمت الحكومات كذلك النقش على الحجر، وكان لابد لها حينئذ من أحجار عدة، تُنقش على كل واحد منها، نسخة من التبليغ، الذي تريده، ثم تبعث بها إلى حيث تُوضع، في المعابد، التي يكثر تردد الناس عليها. ومن هذه الأحجار، حجر رشيد المشهور، الذي كان وسيلة للوقوف على سر الكتابة المصرية، وقد وُجدت من هذا الحجر (إلى منتصف القرن العشرين) نسختان، إحداهما أخذها الإنجليز، أثناء حملة بونابرت، ووضعوها في المتحف البريطاني، والثانية عُثر عليها، بعد ذلك، وهي توجد الآن في المتحف المصري. وكان حجر رشيد مكتوباً بثلاثة خطوط: اليوناني والديموطيقي والهيروغليفي، وهو يعود إلى عهد بطليموس الخامس، في نحو 196 قبل الميلاد. وكان الغرض من كتابته هو إذاعة قرار أصدره المجمع الديني، في مدينة Memphis المصرية، فكان الخط اليوناني لليونانيين، والخط الديموطيقي لعامة الشعب، والخط الهيروغليفي للكهنة، وبذلك يمكن القول أن حجر رشيد كان جريدة واسعة الانتشار. ولا يقتصر الأمر على مصر، ففي معرض الصحافة، في Cologne كولونيا بألمانيا عام 1928، توجد قطعة من الحجر عُثر عليها في جزيرة كريت اليونانية، ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس ق.م، نقش عليها باليونانية القديمة دعوة إلى وليمة. كما عثر على قطعة أخرى من الخشب، في استراليا، يرجع تاريخها إلى أكثر من ألفي عام، وعليها دعوة إلى وليمة كذلك، وهذا يشبه ما تنشره الصحف، الآن، من أخبار الزواج، والولائم والدعوة إليها.

تعد الرسائل الإخبارية المنسوخة المظهر البدائي، أو الأولي للصحافة، منذ الحضارات الشرقية القديمة، وهناك أوراق مصرية من البردي الفرعوني يرجع تاريخها إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، تتضح فيها الحاسة الصحفية لإثارة الميول، عند القراء، وجذب انتباههم. فعلى واجهة معبد هيبس يوجد نقش فيه بنود قانون يحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ضماناً لسير العدالة، وإيضاحاً لقواعد جباية الأموال، وإنذاراً بالعقاب عن الجرائم المتفشية، وأهمها الرشوة، والبلاغ الكاذب .

ويؤكد يوسف فلافيوس أنه كان، للبابليين، مؤرخون مكلفون بتسجيل الحوادث، شأنهم في ذلك، شأن الصحفيين في العالم الحديث. ولقد كان لبابل، في العصور القديمة، شهرة طيبة، في مصر الفرعونية. وبلغت أوج مجدها، في عهد الملك حمورابي، عام 2100 ق.م. الذي تنسب إليه أول صحيفة ظهرت، في العالم، وهي مجموعة حمورابي للقوانين التي عدّها علماء تاريخ القانون أول صحيفة لتداول القوانين، مثل صحيفة الوقائع المصرية، وغيرها من الصحف الرسمية، التي تنشر القوانين، واللوائح، والقـــرارات. وعرفت معظم الحضارات القديمة، كحضارة الصين والإغريق والرومان، الخبر المخطوط، فقد أصدر يوليوس قيصر عقب توليه سلطة روما، عام 59 ق.م، صحيفة مخطوطة اسمها اكتاديورنا Actadurina أي «الأحداث اليومية». يُكتب فيها أخبار مداولات مجلس الشيوخ، وأخبار الحملات الحربية، وبعض الأخبار الاجتماعية، مثل الزواج والمواليد والفضائح، وأخبار الجرائم والتكهنات. وكان للصحيفة مراسلون، في جميع أنحاء الإمبراطورية، وكانوا غالباً من موظفي الدولـــة.

2.3. بدايات الصحافة في أوروبا:

وفي أوروبا، في العصور الوسطى، كان البابا يسجل أحداث العام على سبورة بيضاء ويعرضها في داره، حيث يحضر المواطنون للإحاطة بما فيها. وعندما ازداد النفوذ البابوي، أصبح القول الشفهي، والسبورة، غير كافيين، فنشأت النشرة العامة، وهي لون من الأوراق العامة، لعلها أصل الجريدة الرسمية الحالية، ومن ثم حلت النشرة الدورية، محل الحوليات الكبرى. استمر استخدام الرسائل الإخبارية المنسوخة، طوال العصور الوسطى، لخدمة التجارة، بين المدن الأوروبية المختلفة، وأصبحت مدينة فيينا مركزاً لهذه الخطابات، وأصبح هناك كتاب، مِهنتهم كتابة الأخبار، أو الرسائل الإخبارية، في جميع المدن الكبرى، وفي إنجلترا خاصة، ظهر ما يسمى بالوريقات الإخبارية News Sheets أثناء حرب الثلاثين (1618 - 1648)[54].

[54] JEANNENEY Jean-Noël, *Une histoire des médias, des origines à nos jours*, Seuil, 1996, p 17.

شكلت الرسائل الإخبارية المنسوخة، أو المخطوطة باليد، المظاهر الأولى للصحافة الأوروبية، خلال القرن الرابع عشر، في إيطاليا ثم في إنجلترا وألمانيا وكان يكتبها تجار الأخبار تلبية لرغبة بعض الشخصيات الغنية، ذات النفوذ الكبير، والمتعطشة إلى معرفة أهم أحداث العالم. و كان لهؤلاء التجار، مكاتب إخبارية جيدة التنظيم، ظلت تعمل لحسابهم، خلال القرن الخامس عشر، وجزء من القرن السادس عشر، وكان يوجد، في مدينة البندقية بايطاليا، مكاتب كثيرة من هذا النوع. وكذلك في سائر العواصم الأوروبية. وكان تاجر الأخبار يستأجر العبيد، الذين يعرفون الكتابة، أو يشتريهم، ويملي عليهم ما جمعه، من أخبار، ليدوِّنُوها، ويــُعدوها للبيع والتوزيع على المشتركين، وخاصة رسائل الأخبار العامة، التي كانت تختلف عن رسائل المعلومات الخاصة الموجهة لكبار رجال السياسة والاقتصاد. و كان الاخوة فوجرز أشهر تجار الأخبار جميعاً، إتخذوا من مدينة اوجزبرج Augsbourg الألمانية مقراً لهم، إلى جانب مكاتب إخبارية فرعية، في لندن، وباريس وغيرها، من العواصم الأوروبية، ومدنها الكبرى. وكان الاخوة فوجرز متخصصين في أعمال المصارف، فنشروا، إلى جانب الأخبار السياسية والحزبية، أخباراً تجارية ومالية، ذات قيمة كبيرة للتجار ورجال المال.

بعد مرحلة الكتابة على ورق البردي، وغيره، ظهرت الكتابة على الصفحات الخشبية، إلى أن أمكن الطبع منها، باستخدام القوالب الخشبية، أو الطباعة القالبية. وكان للفــينــيقيــين بعد اختراع الورق، السبق مرة أخرى في اختراع الطباعة القالبية، وذلك بنقش الكتابة على لوح من الخشب، ثم تفريغ ما حول الكتابة، فتبقى الحروف بارزة، يوضع عليها الحبر، لكي يطبع منها العدد المطلوب، من النسخ. وكانت هذه هي الطريقة الشائعة في الصين كذلك، في القرنين الخامس والسادس الميلادي، ثم تطورت بعد أن اخترع بي شينج، العالم الصيني، أول حرف من الفخار، في عهد شينج لي، في أواخر النصف الأول من

القرن الحادي عشر. و في الوقت نفسه، كانت الطبقات الأرستقراطية، في أوروبا، تنفر من هذا النوع، من الطباعة، فتمسكت بالكتب النادرة المنسوخة[55].

توصل الغرب، في القرن الخامس عشر الميلادي، إلى ما اهتدى إليه «بي شينج»، من صنع حروف متفرقة. وتطورت الفكرة الجديدة إلى أن ظهر أول مخترع للحروف المعدنية المنفصلة، في ألمانيا في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، هو يوحنا جوتنبرج، المولود في مدينة ماينز Mains الألمانية، عام 1400 ميلادي. لاحظ جوتنبرج أن القراءة والتعلم مقصورين على الأغنياء، من دون الفقراء، بسبب نظام النُسَّاخ، الذين ينسخون الكتابات، لقاء أجر كبـــير لا يقدر عليه إلاّ الميسرون، ومن ثم فكر جوتنبرج في تكرار النسخ، على نطاق واسع، من خلال اختراع حروف الطباعة المتفرقة والمسبوكة من المعدن، مما أحدث إنقلاباً فكرياً لم يشهده العالم من قبل، إذ بفضل هذا الاختراع أمكن حفظ تراث الأجيال السابقة، وتمكين الأجيال اللاحقة من الانطلاق، في المعرفة والعلم وتطويع الطباعة، لخدمة الإنسان، في جميع أنشطته اليوميـــة. و هناك رواية أخرى تقول إن المخترع الحقيقي رجل هولندي، يدعى لوران كوستر، نجح في صنع حروف، من قشور الأشجار، وطبع بها بعض الأشعار، ثم ابتكر حروفاً منفصلة، من الرصاص والقصدير عام 1423. وكان فاوست يعمل عنده، فسرق أدوات الطبع، وهرب بها، إلى أمستردام، ثم إلى ماينز بألمانيا وهناك تعرف على جوتنبرج، واشتركا معاً في نشر هذا الفـــن. ومن ثم، يكون يوحنا جوتنبرج هو مخترع الطباعة الحقيقي، في رأي أغلب الكُـــتّاب، وإن كانوا يسلمون كذلك، بأنه سبقه عدة محاولات، منها محاولة لوران كوستر الهولندي .

وقد ثبت أن أول كتاب، طبع بحروف منفصلة، هو الإنجيل، الذي طبع باللغة اللاتينية فيما بين 1452 و1455 ميلادية، بمدينة ماينز Mainz، ويحمل اسم جوتنبرج. و يذكر المؤرخون أنه، بعد نجاح تلك التجربة، انهالت عليه طلبات الطبع، لينتشر استخدام الحروف المنفصلة في مدن ألمانيا حتى بلغ ما طبع بها خلال أقل من خمسين عاماً، نحو أربعين ألف مطبوع، يبلغ عدد نـــُسخها ما

[55] محمد حسين البردويل، 1996.

يقرب من عشرين مليوناً. بعد نجاح فكرة الطباعة الحديثة في ألمانيا، انتقلت إلى باقي دول أوروبا في الفترة من عام 1456 إلى 1487 ميلادية، وكانت إيطاليا أولى الدول بعد ألمانيا في هذا المجال، ثم تلتها باقي الدول ثم انتقلت الطباعة إلى تركيا عام 1503، لتعرفتها روسيا عام 1553، أمَّا الولايات المتحدة فقد عرفتها عام 1836. أمكن بعد ذلك، طباعة عدد كبير من النسخ، من الخبر الواحد، مما يَسَّر وصول الخبر إلى أكبر، عدد، من القراء، إضافة إلى ما توفره الطباعة، من وقت وجهد[56].

على الرغم من اختراع الطباعة ظلت الرسائل الإخبارية المنسوخة باليد باقية حتى مطلع القرن الثامن عشر، أي بعد اختراع الطباعة بثلاثة قرون. و كانت هذه الرسائل تسد فراغاً كبيراً لا يمكن أن تسده الصحافة المطبوعة في ذلك الحين، لأن القيود الحكومية والرقابة الصحفية وقوانين النشر المختلفة، كانت تنصب على المطبوعات فقط، مما جعل لهذه الرسائل الإخبارية المنسوخة أهمية كبرى وخاصة عندما تكون الحكومة شديدة في رقابتها أو عندما تصادر المطبوعات أو تعطلها. كما تقدمت منشورات المناسبات الخبرية المخطوطة، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وإلى جانب الصحفيين أدى المُخبرون، دوراً كبيراً في تأمين الأخبار وشكّلوا حتى عام 1789 شبكات إخبارية تكمل شبكات الصحافة الخبرية المطبوعة، و غدت الجرائد المخطوطة والصور والتقويمات حتى منتصف القرن التاسع عشر، أدباً شعبياً تتناقله الطبقات الشعبية وكان له تأثير يفوق الخبر المطبوع. و لكن، في نهاية القرن التاسع عشر، أدّى انتشار المطابع ورخص ثمن الصحف الشعبية، وارتفاع توزيع المطبوع منها، إلى اختفاء الخبر المخطوط نهائياً.

ساعد، على انتشار النشرات الخبرية المطبوعة، تزايد اهتمام الناس بأخبار المستعمرات، عقب الكشوف الجغرافية، ثم وقوع الحروب التركية والإيطالية، التي اشتركت فيها غالبية دول أوروبا، وظهور حركة مارتن لوثر

[56] نفس المصدر، ص 132.

الدينية، وإزدهار عصر النهضة، ثم ما كان من سيطرة الطبقة البورجوازية، على الحياة الأوروبية، وتزايد الحريات.

بدأ ظهور الخبر المطبوع، عندما أصدرت بعض دور النشر نشرات مطبوعة، بأرقام مسلسلة، ولكن بشكل غير دوري، ثم ظهرت بعد ذلك، نشرات إخبارية مطبوعة في شكل أحداث سنوية منتظمة الصدور متضمنة بعض المعلومات الفلكية. واستمر ذلك حتى عام 1470، ثم ظهرت نشرات تصدر كل ستة أشهر في مدينة فرانكفورت Francfort الألمانية عام 1588، أصبحت شهرية ثم صدرت أسبوعية بصورة منتظمة. كانت هذه النشرات الأسبوعية تصدر، بمقتضى إمتياز تمنحه الدولة أو المدينة، مقابل فرض الرقابة عليها. و كانت تنشر من دون تعليق على الأخبار الخارجية و خاصة السياسية والعسكرية منها، وكان محظوراً عليها نشر الأخبار الداخلية. وتعد فرنسا أول دولة أصدرت صحيفة رسمية، فعندما تولى ريشليو مقاليد السلطة، أدرك فائدة الصحافة وأثرها على الرأي العام، و وجد في تيوفراست رينودو الرجل الذي يمكن الركون إليه في مثل هذا المجال، وفي عام 1631 أصدر رينودو الجازيت، التي عُرفت باسم جازيت دي فرانس (La Gazette de France)، وكانت لا تنشر المقالات، بل أخباراً من كل لون، الداخلية منها والخارجية، بأسلوب مقتضب، أسوة بالأخبار الموجزة، التي تنشرها بعض الصحف اليومية، في الوقت الحاضر، وحذت معظم دول أوروبا حذو فرنسا فأنشأت صحفاً رسمية[57].

وفيما عدا هولندا وإنجلترا لم تظهر صحافة حرة في أوروبا، إلاّ بعد انقضاء قرنين من الزمن، ففي إنجلترا ظهرت الصحف لأول مرة بين 1641 و1643، ولكنها كانت قصيرة المدى. ولما جاء البرلمان وضع لها نظاماً، إلاّ أن كروميل، وأسرة ستيوارت، أعادا مرة أخرى، الامتياز والرقابة، فأصبحت الأقاليم المتحدة (هولندا) هي الملجأ الوحيد للصحافة الحرة و لمدة خمسين عاماً. وفيما عدا الجازيتات الهولندية، فقد ظلت جميع الصحف خاضعة للرقابة، ولإرادة

[57] ALBERT Pierre, 2002, *La Presse*, PUF, collection Que sais-je ? p 16.

الملوك والأمراء. أمّا صحافة إنجليترا، فتمتعت بالحرية، وزالت عنها الرقابة عام 1695، فأصبح للصحافة طابع خاص، وأخذ تأثيرها يتزايد مع الأيام.

ظهرت أول صحيفة إنجليزية يومية عام 1702، وأطلق عليها صاحبها اسم الدايلي كورانت. أمَّا في فرنسا فقد ظهرت الصحيفة اليومية الأولى، عام 1777، باسم جورنال دو باريس Journal de Paris . أمّا في الولايات المتحدة الأمريكية فقد ظهرت أول صحيفة عام 1690 في بوسطن وهي صحيفة ذي بابليك أوكُّورنس (The Public Ocurrence). وفي عام 1704 ظهرت صحيفة ذي بوسطن نيوزليتر(The boston News Letter). وفي عام 1728 ظهرت صحيفة بنسلفانيا جازيت(Benselvania gazette)، التي أصدرها بنيامين فرانكلين *(كان ثالث رئيس لجمهورية الولايات المتحدة بعد أن تحررت)*، في فيلادلفيا. وساعد إنشاء الخدمات البريدية على رواج الرسائل الإخبارية المنسوخة، ثم الصحف المطبوعة فيما بعد. وكان الغرض من إنشاء الخدمة البريدية هو جمع الخطابات والصور في مكان معين، ونقلها بسرعة وانتظام إلى المرسل إليه، لقاء أجر معلوم. وكان انتظام الخدمات البريدية سبباً مبكراً، في تطور الصحافة الإخبارية، و سِعة انتشارها. وكانت مواعيد صدور الصحف تتفق مع مواعيد توزيع البريد. و يلاحظ أن سبب انتشار الصحف الصادرة، ثلاث مرات أسبوعياً، هو أن الخدمات البريدية كانت توزع، ثلاث مرات أسبوعياً، ولم يكن من الميسور إصدار الصحافة اليومية لولا تقدم الخدمات البريدية. ومن الطريف أن معظم الصحف كانت تحمل اسم البريد، مثل (Flying Post) البريد الطائر، و(Weekly Messenger) البريد الأسبوعي، والـــ (Evening Post) البريد المسائي، و (Night Post) البريد الليلي، وغيرها.

على الرغم من أن نشأة الخدمات البريدية كان نعمة على الصحافة الإخبارية، إلاّ أنه يعيب ذلك أن المسؤولين في البريد كانوا يحتكرون الأخبار الخارجية ويتصرفون فيها كما يشاءون. وكان أصحاب الصحف يدفعون لمُدِيري البريد إشتراكات سنوية نظير الحصول على ترجمة ملخصة للصحف الواردة من الخارج، كما كان بعض مسؤولي البريد يرتشون مقابل تفضيل بعض الصحف على غيرها، وإعطائها الأولوية، في تسليم الأخبار، مما جعل جون والتر، رئيس

تحرير جريدة التايمز (Times) اللندنية، على سبيل المثال، يعيِّن مراسلين لصحيفته في الخارج، لكي يحبط مؤامرات رجال البريد، غير أنهم كانوا يستولون على الرسائل الواردة من مراسلي التايمز، ويطلعون على ما فيها، وكثيراً ما كانوا يعمدون إلى تأخير وصولها للجريدة. وعندما كشفت صحيفة التايمز ألاعيب رجال البريد ونشرتها عام 1807، رُفع الأمر إلى القضاء، وحُكم على الصحيفة بغرامة قدرها مائتا جنيه تعويضاً واعتذاراً للبريد.. ولما عاودت التايمز هجومها مرة أخرى بعد ثلاثة أسابيع، وعُرض الأمر على النائب العام، أمر بحفظ التحقيق وعدم تقديم الصحيفة للمحاكمة[58].

3.3. الصحافة الفرنسية:

في الوقت الذي تمتعت فيه الصحافة الإنجليزية خلال القرن الثامن عشر بحرية، أقرّها البرلمان، ووافق عليها رؤساء الأحزاب. كانت الهوة سحيقة بين الصحافة الإنجليزية التي تخلصت من الرقابة عام 1695، وبين صحافة باقي القارة الأوروبية، فبينما وصلت الأولى بعد نضال مرير إلى تدعيم استقلالها ودعم حريتها، بقيت الثانية بإستثناء النشرات الإخبارية المطبوعة (الغازينات) خاضعة لأهواء الرقابة و لنزوات الحكام. فكانت الصحافة الفرنسية تعاني من الحجر السياسي، الذي فرضته عليها الحكومة الملكية كما تعاني من الحجر التجاري، الذي فرضه عليها الاحتكار، احتكار صحيفة جازيت دي فرانس للأخبار السياسية، وإحتكار ميركور دو فرانس (Mercur de France) للأنباء الأوروبية والاجتماعية، واحتكار جورنال دي سافان (Journal de Savane) للأخبار العلمية. وبدأ الشعب الفرنسي عامة والباريسي خاصة، يتخلص من الوصاية التي فرضت عليه أيام حكم لويس الرابع عشر، و على الرغم من بقاء النظم والقوانين سارية، إلاّ أن التقاليد والعادات أخذت في التطور، وتطلع

[58] MARTIN Marc, 1997, *Médias et journalistes de la République*, Editions Odile Jacob. P 112.

الفرنسيون إلى معلومات أكثر نضوجاً ونقداً أكثر جرأة، لذلك لم تعد الصحف الفرنسية تكفي لإرضائهم[59].

و بدأ الأمر بإدخال بعض التعديلات على الاحتكار، فسمحت السلطات بتصريحات ضمنية أو صريحة بتأسيس صحف جديدة، بعد أن تدفع هذه الصحف مبلغاً من المال إلى الدورية صاحبة الامتياز، نظير تنازلها عن بعض احتكاراتها. و حظيت صحف أخرى بحق الطبع خارج فرنسا ثم الدخول إليها، نظير دفع مبلغ من المال إلى خزانة وزارة الخارجية. و تحايل الناشرون، الأكثر ذكاء، على القانون والاحتكار، بأن انتهزوا فرصة تساهل الحكومة معهم، وعمدوا إلى تحرير صحفهم في باريس على أن ينسبوا نشرها إلى مكان ما في الخارج. و إذا كان الإحتكار قد تحطم بهذه الطريقة، فإن الرقابة ظلت على ما هي عليه من الصرامة والقسوة، على أنه كلما توالت الأيام والسنين في القرن الثامن عشر كان الكُتاب يزدادون جرأة، وكانت الحكومة تزداد تهاوناً وضعفاً. و إذا كانت الصحافة الفرنسية لم تستطع أن تلعب الدور الأول في التغيير، بعد أن تهيأت لها الظروف لذلك، بسبب أنفة الفلاسفة والمفكرين من العمل فيها، إلاّ أنها لعبت دوراً كبيراً في القضاء على عيوب العهد القديم في فرنسا خلال القرن الثامن عشر[60].

و يرى المؤرخون أن الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة، التي لم تضطهد الصحافة في ذلك العصر، وهي و إن كانت أكثر الدول حداثة، إلاّ أنه توجد فيها أقدم الصحف. وكان أول من أدخل المطبعة إلى أمريكا هو توماس جرين. وشهدت بوسطن عام 1704، صحيفة بوسطون نيوزليتر الأسبوعية، التي أسسها جون كامبل في ورقة واحدة من الحجم المتوسط، وكان ذلك بداية لطور جديد في صحافة المستعمرات، فبعد أن كانت الصحافة هواية، بدأت تدخل في طور الاحتراف، وبعد أن كانت معظم الصحف المنتظمة الصدور شهرية، شهدت بوسطن أول صحيفة أسبوعية منتظمة تُنشر في أمريكا كلها[61].

---

[59] BOURE Robert, *Les origines des sciences de l'information et de la communication. Regards croisés*, Lille, Septentrion. P 54.
[60] ALBERT Pierre, 2002, *La Presse*, PUF, collection Que sais-je ?
[61] Le Guide de la Presse, 2002, ouvrage collectif, Editions Alphom, Paris.

جدول رقم (2): توزيع أهم الصحف بفرنسا.
La diffusion payée en France des principaux quotidiens nationaux
Sources: **OJD** entre 1999 et 2004

عناوين الجرائد	1999	2000	2001	2002	2003	2004
La Croix	86 400	86 574	87 891	92 873	94 929	96 312
Les Échos	122 999	128 342	127 445	120 333	116 903	116 856
L'Équipe	386 189	397 898	370 661	331 638	336 533	365 752
Le Figaro	**366 690**	**360 909**	**366 529**	**359 108**	**352 706**	**341 075**
L'Humanité	-	50 097	47 051	46 126	48 175	48 966
Libération	169 427	169 011	171 551	164 286	158 115	146 055
Le Monde	390 840	392 772	405 983	407 085	389 249	371 803
La Tribune	85 885	90 918	87 577	82 042	80 459	80 846

4.3. الصحافة العالمية و رقابة الدولة:

إن حرية التعبير التي طولب بها في عام 1789 في فرنسا، لم يتم تحقيقها سوى لمدة أربع سنوات ونصف على مدار قرنين من الزمن. فرقابة الدولة وصلت إلى أقصاها في سنوات 1944 إلى 1954، أين تم تأميم كل الصحف. و النظام القائم الآن، وإن كان يحافظ على الحريات رسميا، فهو خاضع للرقابة في كل المراحل من طرف مصالح الوزير الأول، ومن ذلك امتلاك نصف أسهم وكالة فرانس برس (France PRESSE)، التقليص المشروط للأعباء الاجتماعية وقيمة الضريبة المضافة، الدعم المباشر لليوميات الكبيرة، ممارسة الرقابة على القنوات التلفزيونية والإذاعية من طرف مجلس رقابة السمعي

البصري(Conseil Supérieur de l'Audiovisuel)، الخ.. وهذا ما يؤدي إلى نشر مواضيع متواضعة جدا، وتُعتبر الأقل قراءة في الدول الديمقراطية[62].

لقد طوّر الغربيون مفاهيم مختلفة عن حرية التعبير و دور الصحافة، حسب الصورة التي كانوا يعطونها للمصلحة التنفيذية ومدى شرعيتها. ويمكن لنا أن نميّز بين أربع اتجاهات كبرى حسب الإعلامية DAGNAUD Monique[63]:

• فبالنسبة للدول الإسكندنافية، تعتبر شرعية الجهاز التنفيذي، تابعة للحسابات التي يقدّمها للشعب، وهذا ما يعني أن حرية الصحافة محددة بكونها حرية الوصول إلى المعلومات أكثر من كونها مظهرا لحرية التعبير. و هكذا، تبنّت السويد في 02 ديسمبر 1776 قانونا يسمح للمواطن بالإطّلاع على الوثائق الرسمية. و اليوم، على مختلف الإدارات واجب الإعلام بكل وثائقهم، بعد 24 ساعة فقط، إلا إذا كان هناك تحفظات استثنائية لها ما يُبَرَّرُها. وقراءة الصحف اليومية يُعتبر بالتالي فعلا حضاريا لأنه يساهم في المراقبة التي يمارسها المواطنون على السلطة التي تفقد شرعيتها بدونها.

• أما في المملكة المتحدة، فإن التعبير يعتبر حرا مثل سائر القدرات البشرية. ومنذ عام 1662، التزم الملك شارل الثاني بعد استعادة العرش من الديكتاتور كراموِيل بالحفاظ على الحرية والقضاء على الرقابة التي كانت سائدة قبله. وكانت الصحافة مسجّلة ضمن القانون الجماعي ولم تكن تخضع لنصوص معينة.

• و في الولايات المتحدة الأمريكية، جعل الآباء المؤسسون الحرية في مواجهة طغيان التاج البريطاني، تماما مثل تعميم الديمقراطية. ولهذا كانت حرية الصحافة وسيلة لتفتيت الرأي العام. وطُلب من وسائل الإعلام تأسيس سلطة رابعة. و كان أول تعديل كُتب في مدونة الحقوق في 25 سبتمبر 1789 يقضي بأن « الكونغرس لن يصادق على أي قانون يَحُدُّ من حرية الصحافة».

• وفي جنوب أوروبا، كانت حرية التعبير ضرورية للوصول إلى قرارات عقلانية. فـــهي تعارض سلطة الباباوات الذين حرّموا النقاش حول العقيدة

[62] SMITH Antony, 2001, l'indépendance du journaliste, in : l'année sociologique, n°2, vol 51. p 192.
[63] DAGNAUD Monique, 1991, *Gouverner sous le feu des médias*, In : le débat, numéro 66, sept-oct 1991, p 85

النصرانية. وفي تلك الأثناء، كان الثوار الفرنسيون لا يعتبرون الحرية كضرورة إلا إذا كانت مُؤطّرة بقانون من أجل تجنّب أن يستعملها البعض قصد حرمان الآخرين منها. و بالنسبة لهم، فالصحافي مواطن مثل باقي المواطنين، وتعبيره ليس شرعيا إلا إذا ساهم في النقاش الديمقراطي، وفي بناء المصلحة العامة.

تفتخر فرنسا اليوم كونها «وطن حقوق الإنسان» بسبب ما أعلنته في عام 1789، على أنه نموذج سياسي أصلي يُستعمل إلى اليوم كمثال. و لكنّ ثمّة هوة سحيقة بين الشعار وبين الدعوة للتطبيق الفعلي لهذه الآمال، فهي تُظهر جموحها كلما تعلق الأمر بتطبيق المبادئ التي رفعتها. و حتى قبل اختراع المطبعة، أخضع النظام الملكي الصحافة للرقابة (أي بترخيص مسبق) إلى درجة الحكم بالإعدام. وصدرت الصحيفة الأولى التي أنشأها ثيوفراست رينودو Théophraste Renaudot بميزة ملكية. وعلى الرغم من مظهرها المستقل، فإنها كانت على الأرجح تُحرر مباشرة من طرف الوزير ريشوليو Richelieu مع الحس النقدي الذي أراد فرضه عليها[64].

لم تظهر الصحافة الفرنسية الحرة إلا في عام 1789، أين أثمرت الأوراق والنشرات الهجائية التي توقفت السلطة عن قمعها. وكانت النشرية الحرة الأولى قد صدرت على يد المناضل الفرنسي جاك بيير بريسو Jacques Pierre Brissot. وفي نفس الأثناء، لم تكن الجمعية التأسيسية تعمل في مصادقتها على حرية التعبير سوى الرضوخ لأمر واقع، ولكنها أعطته مفهوما فلسفيا. ولم يتمحور النقاش حول التعبير السياسي بالمفهوم الحالي، وهو ما كان يحظى بالإجماع، ولكنه كان يتمحور حول الصحافة الداعرة، حيث كانت تمثّل الموضة التي تمزج بين الإثارة الجنسية والأفكار اللاقطعية. وكان نواب دينيون يخشون من أن تؤثّر على الشباب وتضلّه عن معالم الإيمان وتغوص بالمجتمع من ثم في بحر الإباحية والفوضى. ولكن الأغلبية اصطفت إلى جانب ميرابو Mirabot (الذي كان بنفسه كاتبا إباحيا) وقرروا أنه لا يوجد أحد مؤهّل لممارسة الرقابة على الآخرين. لكن هذه الحرية لم تدم طويلا. فعلى الرغم من كونها مؤكدة من

[64] المصدر نفسه، ص 88

طرف دستور 1791، فإنه تم إلغاؤها بمجرد استقرار الإستبداد و الحكم المطلق في بلدية باريس بمرسوم 20 أوت 1792. وتمت مصادرة المطابع فجأة، ومُنعت النشريات التي وُصف أصحابها بأنهم يقومون بتسميم الرأي العام[65].

لم تعاود حرية التعبير الظهور إلا مرة واحدة في تاريخ فرنسا، و لمدة عام ونصف فقط، بمناسبة ثورة 1848، ولكنها تم تعليقها من طرف الأمير- الرئيس لويس نابليون بونابرت Louis Napoléon Bonaparte عندما وضعت الحكومة في قفص الاتهام بسبب خرق الدستور بعدما أُرسلت القوات الفرنسية لمساندة البابا ضد الإمبراطورية الرومانية[66].

خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، أجهدت الحكومات المتعاقبة نفسها في اختراع الحجج التي تؤدي إلى مراقبة الصحافة. فـقانون 29 جويلية 1881، الذي سجّل انهزام حزب التنظيم الأخلاقي للماريشال ماك ماهون Mac Mahon والبداية الحقيقية للجمهورية الثالثة كانت بمثابة صك تراض بين الحريات الشخصية ومصلحة الدولة التي تحولت لصالح السلطة الاقتصادية، وساهمت في تفشي الفساد العام للصحافيين. ولكن أكثر الأشياء غرابة هو ما توصلت إليه الحكومة المؤقتة، فعندما دخل شارل ديغول Charles de Gaulle إلى باريس في 26 أوت 1944، أصدر مرسوما محررا في الجزائر العاصمة يقضي بتأميم كل الصحافة المكتوبة والمسموعة والمرئية. وكانت فرنسا هي الدولة الوحيدة غير الشيوعية التي لجأت إلى مثل هذه الأعمال. حيث أن الفكرة التي كانت سائدة في تلك الفترة هي أنه من أجل أن نكون موضوعيين، فإن الصحافة يـجب أن تكون مـصلحة عـامة. و هكذا صـارت الدولة هي الكفـيـلة بالـ «الحقيقة» ولو كانت على حساب الروح النقدية. وأصبحت كل الصحف والإذاعات والمطابع مُجمّعة وموضوعة تحت الحراسة، وأعطيت هذه الأملاك إما إلى صحفيين

[65] MARIET François, 1999, *Le difficile interculturalisme des médias*, pp. 193-207, *in* : Abdallah-Pretceille M., Porcher L, dirs, 1999, *Diagonales de la communication interculturelle*, Éd Anthropos, Paris.
[66] Beaud P, Flichy P, Pasquier D, Quéré L, dirs, 1997, *Sociologie de la communication*, Paris, Cnet.

وناشرين يُعتقد أنهم شاركوا في المقاومة ضد المحتل النازي، أو إلى شركات تتكفل بتسييرها دون امتلاكها.

اختار فرنسوا ميتيران François Mitterrand، الوزير الأول للإعلام في الجمهورية الخامسة، أغلب المستفيدين المحظوظين من التنازل عن المطابع والصحف المصادرة أثناء فترة التحرير. وليس من تلاعب الأقدار أن يحصد أحد أصدقائه، وهو روبير هرسان Robert Hersan، أحد المتعاملين مع العدو، الصحف التي كان يستغلها في فترة الاحتلال .ولم يتم خصخصة الصحافة المكتوبة إلا في عهد بيير منديس فرانس Pierre Mendès France سنة 1954، ولكن الحكومة إحتفظت لنفسها بهيمنة غير مباشرة على السحب بما أن تعاونية تجمع ممثلي وزارة الإعلام تحتكر لنفسها التجارة في ورق الصحف وتُحدّد بذلك التوزيع العادل للمخزون إلى غاية عام 1986. وكان يجب الانتظار إلى غاية عام 1982 كي يُخصخص فرنسوا ميتيران، الذي أصبح رئيسا للجمهورية، الإذاعة جُزئيا، ثم عام 1986 كي يُخصخص جاك شيراك التلفزيون جُزئيا. و اليوم كذلك، هناك «مصلحة عامة للسمعي البصري»، وهذا ما يعني وجود قنوات حكومية يُجهدون أنفسهم في عرضها، مخالفين للحقيقة بذلك، كضمان، ليس للموضوعية فقط، ولكن للتفوق والمثالية. ومع ذلك لم يخطر ببال أحد أن يؤكّد أن تطوير الجرائد يمُرُّ عبر إنشاء صحف يومية حكومية[67].

5.3. الصحافة الفرنسية المعاصرة تحت أيدي الدولة:

إن النظام الفرنسي الحالي يتمثّل بظاهر قطعي للحرية المزدوجة وتحكّم ســُلطوي في كل المستويات. فأولا، يصطدم الحصول على الخبر بأمزجة الإدارات وأسرار الدولة، إذ قــنـــــّنت السويد مثلا الحصول على الوثائق العامة منذ أكثر من قرنين، غير أن فرنسا توقعت عملية إجرائية محتشمة للوصول إلى الوثائق الإدارية، وأخرى لرفع أسرار الدفاع. و لكنها في الواقع إشترطت في الأولى انقضاء مهلة تقارب سنة ونصف في حالة رفع دعوى أو خصومة، كما

[67] Réseau de presse non-alignée - Le mythe de la liberté de la presse en France : http://www.voltairenet.org/article14060.html

تصطدم الثانية بامتناع شبه منظّم. إن حماية المُخبرين الذين يوصلون إلى الصحافة وثائق سرية، عامة أو خاصة، لا يمكن إعتباره شيئا كافيا، و ذلك أنها محدودة بحق الصحفي في حماية مصادره، مع العلم أن هذا المبدأ لا يمكن تطبيقه في قضايا الإرهاب مثلا. فالقانون لا يحمي الموظّفين الذين ينشرون وثائق مخبأة إعتباطا، خدمة للصالح العام، فالقانون لا يحمي الصحافيين من التلاعبات، و يعاقب المُخْبِر الذي يهدف إلى الإضرار بالغير، مثلما يجري به العمل في النرويج.

إن المادة الأولى لليوميات الفرنسية تُعطى من قبل وكالة صحافية وحيدة، وهي وكالة فرانس برس France Presse. والصحف تحد نفسها بمزج نفس الأخبار والتعليق عليها لإستهداف أطراف مختلفة. لقد كانت وكالة فرنس برس مؤسسة حكومية إلى غاية عام 1957، وهي تملك اليوم وضعا جديدا يُفترض أن يؤمّن إستقلالها التحريري، ولكن يأتي نصف مواردها من زبائنها والنصف الآخر من الدولة، وإن كان كل واحد يُجهد نفسه في إنكار ذلك، فإن وكالة فرانس برس واقعة تحت سيطرة الدولة كما توضّحه المعارك الأسطورية التي تحيط بالتعيين السياسي لرئيسها[68].

قصد التحكم في مكاتب التحرير عمدت السلطات الفرنسية إلى تخفيض عددها، ولهذا شهدنا تجميعا غير مسبوق للصحافة اليومية. فإذا كان الصحافيون مسجلين من طرف لجنة البطاقة، أين يوجد ممثلون للوزير الأول، حيث تقرر الإدارة استفادة عمالها من الإسهامات الاجتماعية المخفّضة، بل ويستفيدون منها هم أنفسهم كمسؤولين عن الإدارة، وهذا ما يعني تخفيضا جبائيا إضافيا. كما أنه على الصحف أن تسجّل من طرف لجنة متساوية التمثيل في الصحافة، أين يوجد ممثلون آخرون عن الوزير الأول، وهذا من أجل الاستفادة من النسبة المخفّضة لضريبة القيمة المضافة إلى (2.1%) بدلا من (19.6%). و هم يستفيدون كذلك من أسعار جدّ تفضيلية في البريد[69]. و بهذا الدعم غير المباشر، يضاف دعم مباشر

[68] BRETON Philippe, PROULX Serge, 2002, *L'explosion de la communication. Á l'aube du XXIè siècle*, Paris, La Découverte. P 21.

[69] GREVISSE Benoit, 1993, *Autorégulation ou déontologie, les conditions d'un débat sur les pratiques journalistiques*, recherches en communication

من طرف مصالح الوزير الأول لليوميات الوطنية. ومنع أو سحب أي اعتماد لهذه الصحف يساوي كل أنواع الرقابة، وهذا ما يؤدي إلى الحكم على الصحيفة المعنية بالإفلاس الفوري .وإذا قاومت الصحيفة، فإنها تُحجب في السوق التي لا تخضع للمنافسة الحرة.

كما أن الصحافة تتغذى أيضا من العائدات الإشهارية. و تتدخّل الدولة مجدّدا من أجل تحديد القطاعات التجارية التي يمكن لها الإشهار حول الدعائم المكتوبة والدعائم السمعية البصرية، وذلك بطريقة تحافظ على توازن إصطناعي لا سبب في دوامه غير وجوده. كما يتم توزيع الصحافة المكتوبة عن طريق مؤسسات توزيع تعاونية. و لهذا يجب على الصحف الانضمام إلى واحدة من هذه المؤسسات لكي يتم توزيعها في الأكشاك، ولا يمكن بيع الصحف بطريقة أخرى لأنه يمنع بيع الصحف في جوار الأكشاك. ولقد رأينا مؤخرا ظهور يوميات مجانية تخلصت من نظام الرقابة هذا. وفي هذا النظام، يتم تثبيت اللامساواة بين العناوين، فمؤسسة التوزيع الرئيسية يملك ناشر صحف نصفها، خاصة وأنه يتم تزويد الأكشاك مرتين في اليوم، دورية في الصباح وأخرى بعد منتصف النهار، وهي دورية خاصة بصحيفة «Le monde» العالم ، وهذا لضمان تقدّمه على منافسيه.

في مجال الصحافة المرئية والمسموعة، أدّت قلة الموجات الهرتزية المشرّع إلى تأسيس مجلس أعلى للسمعي البصري مكلف بتوزيع هذه الموجات حسب «أفضلهم ثقافيا» . ولكن هذا المجلس تجاوز صلاحياته ومؤهلاته، مع العلم أن أعضاءه يتم تعيينهم عن طريق المحسوبية لا الإنتخاب، حيث نصب نفسه رقيبا على القنوات الأرضية، ثم على القنوات الفضائية أو المبثوثة عن طريق«الكابل». وتم إنشاء رابطات تعتبر الدولة فيها طرفا قويا، وذلك من أجل مراقبة البث عن طريق الأقمار الاصطناعية أو «الكابل». وفي تلك الأثناء، كان نظام المراقبة المؤسس على قواعد غير صلبة عاجزا عن مواجهة انتشار التقنيات الحديثة. ولقد تمت المصادقة على قانون حول الاقتصاد الرقمي الذي يُخرج حرية التعبير في الأنترنت عن الإطار العام. و من الآن فصاعدا، إن القانون لن يكون

مسلطا على الرقاب في حالة ما إذا تكلّم صحافي مباشرة في الأنترنت أو إذا أعاد نشر موضوع له سبق له وأن نشره في صحيفة شرعية مرة ثانية على الأنترنت. كما أن اجتياح القنوات التلفزيونية عن طريق الخطوط الهاتفية التي لا تخضع لمراقبة المجلس السمعي البصري يتزامن مع الأمر بتوقيف رائدها الأول، وهو Xavier Nielكزافيي نييل مؤسس شبكة «Free»، بعد إبلاغ خيالي عنه بتهمة الخيانة العظمى للدولة[70].

أخيرا، فإن حرية الصحافة لا يمكن لها أن تُعْجَب بنفسها إلا بعيون الجهاز القضائي الذي يؤمّن لها الانسجام في العمل. وفي القرن التاسع عشر، قرّر جورج كليمونصو Georges Clemenceau أن لا تحاكم الصحف في المحكمة بتهم جنحية، وعن طريق قضاة معيّنين من طرف الدولة، وحرص على أن تحاكم الصحافة عن طريق هيئة محلفين شعبية. و كان هذا الإجراء الضروري قد أُلْغِي من طرف الحكومة الفرنسية ولم يُعد العمل به إلى اليوم. و هنا كذلك، إذا كانت الغرف المختصة مسيرة من طرف قضاة لا يملكون صلابة كبيرة، فإنه ما علينا سوى أن نلاحظ فقط المعارك التي تحيط بتعيينهم لكي نقيس الطابع السياسي لأعمالهم. ومن هذا النظام المغلق بسرية، يمكن إنتاج صحافة محترمة، ومع ذلك فهي لا طعم لها، وهذا ما يجعل الجمهور لا يعبأ بها. و مع أقل من 20 نسخة من اليوميات مقابل كل 100 راشد، تأتي فرنسا في ذيل الدول المتقدمة التي تملك مستوى تعليميا يُضاهي مستواها، وهي بذلك تقع مباشرة خلف روسيا، وبعيدة عن المملكة المتحدة (40 نسخة)، وجد بعيدة عن النرويج (75 نسخة)[71].

6.3. مصداقية الصحافة:

المصداقية تعني ببساطة المؤشرات التي تحدد صدق المضمون الصحفي من كذبه، ويعتبرها البعض البديل العملي للمسؤولية الصحفية. ويتوسع البعض[72]، في مفهوم مصداقية الصحافة، فيحدد له الأبعاد الثلاثة التالية:

---

[70] SMITH Antony, 2001, *l'indépendance du journaliste*, In : l'année sociologique, n°2, vol 51, p 116
[71] Ecole de journalisme de Lille www.esj-lille.fr (rubrique "Docpresse")
[72] Mc Nair Braian, 2000, *journalism and democracy an evaluation of the political public sphere*, London and New York: Routledge

أولاً: مصداقية القائم بالاتصال (المحرر أو المذيع أو المخرج التلفزيوني مثلاً)، وتشمل:

- عدم التسرع في نشر الحقيقة.
- العمل لصالح الحقيقة، وليس لصالح الحكومة أو الجريدة.
- نشر الحقائق بطريقة مباشرة، وليس بالإشارة أو التلميح.
- مراعاة العرف والتقاليد في نشر الحقائق.
- عدم المساس بالحياة الشخصية للآخرين، أو نشر الفضائح.
- البعد عن الأخبار الكاذبة، والقصص الملفقة، حتى لو كانت موافقة لأغراض رئيس التحرير، وسياسات الدولـــة.

ثانياً: مصداقية المضمون وتشمل:

- وضوح الرسالة حتى في أوقات الخطر.
- اليسر والسهولة، في تناول الحقائق.
- نشر الحقائق، بكل أبعادها السلبية.
- الدقة في تناول الخبر.

ثالثاً: مصداقية الوسيلة وتشمل العناصر التاليـــة:

- اعتماد الصحيفة على كتاب موثوق فيهم.
- تعبير الصحيفة عن هموم واحتياجات الشعب.

و في دراسة ميدانية عام 1996 يحدد الممارسون، في الصحافة المصرية، المفاهيم المتعددة التي تكون معنى مصداقية الصحافة، و من أهمها:

أولا: إن مصداقية الصحافة تعني أمرين:

- الأول: مصداقيتها بالنسبة إلى القارىء، والثاني مصداقيتها بالنسبة إلى صانع القرار عموماً، حيث تعني الجوانب التالية:

-مدى دقة المعلومات وصحتها، التي تنشرها الجريدة، ومدى موضوعية صاحب الرأي فيها، لأن الخبر معياره الدقة، والرأي معياره موضوعية الكاتب أو صاحب القلم.

-مدى شمولية التغطية الصحفية في عرض وتقديم مختلف جوانب الحقيقة، بمعنى أنه من الممكن أن تقتصر بعض الصحف في تغطيتها للأخبار على ما يجري في بلدان أخرى وتسكت عما يجري في بلادها.

• الثاني: مصداقيتها بالنسبة إلى صانع القرار أو مصدر الأخبار، حيث تعني القدرة على معرفة ما يجري بالنسبة إلى الشعب أو الجمهور أو المستهلك. أي، إلى أي مدى يستفيد صانع القرار من انعكاسات ما يجري في الصحف في إصدار قراره؟ وهل يأخذ ما رآه ويضعه موضع الاعتبار أم يعده مجرد شوشرة ونقد مغلوط؟ ففي كثير من الدول يستخدم صانع القرار ما تنشره الصحف في قياس اتجاهات الجماهير أو الرأي العام في قضايا أو مصالح أو أشخاص أو مشروعات بهدف اتخاذ القرار السليم أو الموقف الصحيح.

ثانيا: إن مصداقية الصحافة تعني:

• التوازن في عرض الرأي والرأي الآخر، أثناء التغطية الصحفية الشاملة.
• الدقة في مراجعة المادة الصحفية، قبل نشرها، بحيث تصبح الدقة من السمات الواضحة للصحيفة.
• وضوح الأفكار والاتجاهات في الموضوعات والقضايا والأشخاص والأحداث.
• إسناد الكلام لمصدره، مع الثقة في هذا المصدر.
• محاولة التجرد، من العمل، لصالح جهة بعينها، وعدم تبني وجهة نظر تلك الجهة وعدم تجاهل وجهات النظر الأخرى.
• عدم إخفاء أو حجب أي معلومة عن القارئ.
• الأمانة والعدل، في نقل الأخبار للناس.
• تعدد المصادر.

- مراعاة الصحفي لضميره.
- تقديم الحقيقة وتأكيدها من خلال إظهار الباطل.
- ثقة القارئ في صدق ما تقوله الصحافة، ولا يتأتى ذلك إلاّ بالحرية، لأنه من الصعب أن يثق القارئ في صحافة غير حرة، حتى لو كانت صحافة بلاده.

يضيِّق بعض الباحثين، ومنهم، عزة عبدالعزيز عبدالله[73]، مفهوم المصداقية بحيث يقصره على مصداقية المادة الصحفية فقط، على النحو التالي:« مصداقية الصحافة هي نوع من المعالجة المهنية والثقافية والأخلاقية للمادة الصحفية، بحيث يتوافر فيها كل أبعاد الموضوع، والاتجاهات المطروحة حوله، بطريقة متوازنة تستند على شواهد وأدلة، ودقة، في عرض الموضوعات، وفصلها عن الآراء الشخصية، التي ينبغي أن تعلن بوضوح وصراحة، وتتجرد من الأهواء والمصالح الخاصة، بحيث تتسق مع الآراء الأخرى، التي تطرحها الصحيفة، أو يطرحها الكاتب، في وقت آخر، أو موضع آخر، وذلك في إطار من التعمق والشمولية، يراعي علاقة الخاص بالعام، وربط الجزء بالكل، شرط أن تعكس هذه المادة الصحفية أولويات الاهتمام عند الجمهور».

ثمة أربعة مقاييس لدراسة المصداقية في الإعلام بصفة عامة و الصحافة بصفة خاصة و هي:

- المقياس اللغوي : بمعنى أن وضوح اللغة، في التعبير، يعد عاملاً حاسماً في صدق الرسالة الإعلامية، بينما يؤكد غموض اللغة في الرسالة الإعلامية في معظم الأحيان، عدم المصداقيـــة.
- المقياس الأيديولوجي: بحيث لا تحجب النظرة الأحادية بقية الأبعاد، فتصبح الواقعة، أو القضية، أو الظاهرة غير واضحة، بسبب غيبة بقية الأبعاد، التي تجلي الواقعة، أو القضية، أو الظاهرة، وتزيدها وضوحاً ومصداقية.

[73] عزه عبد العزيز، مصداقية الإعلام العربي، العربى للنشر والتوزيع. 2006

• مقياس عدم المعرفة، أو جزئية المعرفة: يرتبط هذا المقياس بجهل القائم بالاتصال، أو عدم معرفته للموضوع، الذي يكتب عنه، حتى ولو كان خبراً صغيراً.

• مقياس التزوير: وهو يمثل جانب الجريمة المباشرة، في المنطلقات الأساسية، لدراسة المصداقية في إعلام أي مجتمع من المجتمعات، وفي أي نوع من الإعلام.

7.3. الصحافة الفرنسية وأزمة المصداقية:

نشأت أزمة المصداقية الاتصالية، أو فجوة المصداقية الإعلامية، كرد فعل لزيادة عدد الرسائل الإعلامية، خاصة مع ظهور الصحافة المجانية في كبريات المدن الفرنسية، و التي تبثها وسائل الإعلام العديدة، وزيادة كمية المواد الإعلامية، والتي تسعى إلى جذب انتباه جمهور أكثر. وتلخصت أزمة المصداقية الاتصالية في فرنسا، منذ نهاية الخمسينيات، في التساؤلات عديدة كان أهمها: ماذا نصدق؟ من نصدق؟ وأي من الرؤى ووجهات النظر العديدة أصح؟ وهل هذا الانتشار الهائل للمعلومات يساعد على أن نعيش حياة أفضل، ونتفاعل، بشكل أكثر إيجابية، اتجاه الآخرين؟ ونهتم بشكل أفضل بالعالم حولنا، ويجعلنا ننمو، وننضج، بشكل أقل إحباطاً؟[74]

مما يزيد من خطورة ما سبق، فإن وسائل الإعلام و الاتصال عامة و الصحافة خاصة، قد تجعل المجتمع يعيش في جو من الحلم أو الأمل، أو التوقع للأحسن، وقد لا يتحقق معظم توقعاتها، فتصاب بثورة من الإحباط واليأس المدمر، أو تجعله يعيش في عالم من الوهم، والشعارات المزيفة، التي تجعله في حالة من التخدير النفسي والتنويم، لا يفيق منها إلاّ على حدث ضخم، اقتصادي أو سياسي، يجعله يقر بالحقيقة المُرَّة و هي: إن ما قُدم له كان غير صادق، وغير حقيقي، وغير موثوق فيه. وقد جعل هذا الانفجار الإتصالي، بعض الأشخاص

[74] Mc NAIR Braian, 2000, *journalism and democracy an evaluation of the political public sphere*, London and New York, Routledge, p 209

الأكثر حساسية ينسحبون، ويرفضون التعامل مع الصحافة، فقد وجدوا ان الجهل ربما يكون نعمة، أفضل من تزييف الوعي الاجتماعي والسياسي. وما فعله هؤلاء يعد أمراً في غاية الصعوبة على الآخرين، فمادياً، لا نستطيع المجتمع المستهلك للإعلام الهرب من هذا الانفجار الإتصالي، بل كان ينبغي عليه أن يتعلم كيف يتعايش معه، بفطنة وذكاء، وإلا فسوف يعاني ، والأجيال اللاحقة، من السقوط المباشر فكرياً وحضارياً.

وترجع أهمية مصداقية الصحافة، إلى أن جماهير القراء، عندما لا تثق فيها، وتحترمها وتقدرها، باعتبارها مؤسسة من مؤسسات المجتمع، ولا تقنع بالمعلومات التي تقدمها معتقدة أنها تحذف أو تشوه أو تعدل فيها، فسوف تلجأ إلى مصادر أخرى غير رسمية للمعلومات، فيسألون الأصدقاء والجيران، وبعض المصادر غير الموضوعية، والأسوأ من ذلك، أنهم قد يصنعون المعلومات من مخيلتهم الخاصة، و هو أمر يحدث كثيراً في أوقات الحروب و الأزمات، وعندما تُفرض الرقابة على الصحافة ونشر الأخبار. بفعل سيطرة السلطة على وسائل الاتصال عموما وتوجّه مصادر الأنباء، تكثر الشائعات والهمسات والقيل و القال، وتنشط الصحافة السرية[75].

أمَّا عبارة فجوة المصداقية، وهي العبارة التي ظهرت خلال إدارة الرئيس الأمريكي ليندون جونسون وما تزال باقية، فإنها تعني الشك العام في صدق الحكومة الفيدرالية فيما تقوله للشعب، و إمتد هذا الاعتقاد إلى مجالات عديدة أخرى في بلدان العالم. ولكن كيف يمكن مواجهة ذلك ؟ يقول خبراء الإعلام والاتصال، وخبراء أجهزة العلاقات العامة، والمنفذون للحملات الإعلامية، ان الحل من السهل جداً وصفه ولكن من الصعب جداً تحقيقه. فالجمهور المستهلك للإعلام ينبغي أن يكون مقتنعاً بأن الحكومة تقدم له الحقيقة باعتبارها المتحكم الوحيد فيه، ولا شيء غيرها، وينبغي أن يكون مقتنعاً كذلك، و أنه في بعض الحالات، لا تستطيع الحكومة أن تذيع الحقيقة كلها، بسبب تأثيرها على الشؤون الخارجية[76].

---

[75] المصدر نفسه، ص 211.

[76] Mc NAIR Braian, 1998, *the sociology of journalism*, Arnold, London, p 77

وصلة وسائل الإعلام والاتصال مما سبق وطيدة، فهي الأداة، والوسيلة التي يمكنها أن تصنع المصداقية والثقة بين الشعب والحكومة، وقد تتسبب كذلك في خلق فجوة مصداقية، وأزمة ثقة بين الشعب والحكومة، ولا شيء يثير ثائرة الحكومة الفرنسية مثلما يثيرها فجوة المصداقية هذه، أو أزمة الثقة وسحب الشك التي تغلف ما يصدر عن المسؤولين فيها. و لا شيء يضايق أصحاب السلطة والنفوذ، مثلما يضايقهم إحساسهم بأنهم مُعَرّضُون يومياً، لاختبار حسن النية وحسن التصرف من خلال ما تكتبه الصحف، وما تذيعه باقي وسائل الإعلام. و قد شهدت العقود الأخيرة، زيادة في الاهتمام بقضية المصداقية في فرنسا، نتيجة لظاهرة انهيار الثقة في وسائل الاتصال، والتي أشير إليها بعبارة أزمة المصداقية، التي امتدت وتطورت، لتصبح انهياراً للثقة في كل مؤسسات المجتمع الفرنسي.

كرد فعل لأزمة المصداقية، شهد عقدا الستينيات والسبعينيات ما سمي بالاتصالات البديلة والإعلام المضاد، وهما مصطلحان يشيران إلى مجموعة متنوعة من الأوضاع، مظهرها المشترك، معارضة وسائل الاتصال الرسمية والمؤسسية، ويندرج تحتها مجموعات محلية تصمم على كسر احتكار نظم الاتصالات المركزية، وأحزاب سياسية أو جماعات تهتم بأشكال متنوعة من أنشطة الاتصالات المعارضة، كما يندرج تحتها كذلك المنشقون والمعارضون للمؤسسات القائمة، والأقليات التي تتوسع في قدراتها المتعلقة بوسائل الاتصال والمجموعات المعنية بالتجارب البيئية الجديدة. و لم تكن القوة الدافعة هي عدم وجود الاتصالات، بل الرغبة في إعادة تقييمها وتوسيع نطاقها، على ضوء شعور جديد بأهميتها في المجتمع. تجسّدت هذه الظاهرة بصفة خاصة، في البلدان الصناعية، إلاّ أنها موجودة كذلك في بعض البلدان النامية، ولاسيما في بلدان المغرب كالجزائر و تونس و الغرب خاصة. وفي خط موازٍ للاتصالات البديلة والإعلام المضاد، ازدادت شعبية الإعلام الفردي، الذي يستفيد من تطورات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، مثل التليفزيون السلكي ثنائي الاتجاه، والاستقبال المباشر من الأقمار الصناعية من خلال الهوائيات، وإذاعات الهواة

وأجهزة تسجيل الفيديو، وأشرطة واسطوانات الفيديو، وكاميرات الفيديو، والنصوص المتلفزة. وتعتمد هذه الوسائل المستخدمة على فردية الاستقبال أو الاستهلاك الاتصالي، وتعمل على المزيد من تجزئة عملية الاتصال الجماهيرية، ولكنها في الوقت نفسه، تفتح طرقاً جديدة للحصول على المعلومات وللترفيه، و تتيح لمن يتلقونها فرصاً حقيقة أو وهمية، للمشاركة في عملية الإتصال، ولكنها في الوقت نفسه تساهم في كسر وحدة القرية الإلكترونية التي تحول إليها العالم فيما سبق، وتجعل الأفراد يعودون مرة أخرى، للعيش في جُزُرٍ منفصلة، ويستهلكون مواداً إعلامية مختلفة عن جيرانهم وأصدقاءهم. وعندما زاد الاهتمام بقضية مصداقية وسائل الاتصال الجماهيرية و على رأسها الصحافة المكتوبة خلال الستينيات، بدأ الحرص على تقديم رؤية للمصداقية متعددة الأبعاد وأكثر اكتمالاً وشمولاً. فقد حددت البحوث المعاصرة عدة أبعاد فاعلة، ومكونات للمصداقية أهمها: الإحساس بالأمان، الخبـــرة، الحيويـــة، المعرفيـــة، الدقة، الإنصاف و الاكتمال[77].

كما ميزت هذه البحوث بين وسائل الاتصال المكتوبة والأشخاص كمصادر اتصالية، كما اهتمت بالدرجة التي يختلف الناس حولها، فيما يتعلق بالمعايير المختلفة لأداء الصحافة والتصورات العديدة حول المصداقية التي لابد أن تختلف باختلاف وسائل الاتصال، وتنوع وظائفها. و قد خلصت هذه البحوث إلى أن المصداقية هي مفهوم متعدد الأبعاد وقد تتنوع من دراسة لأخرى. حيث حدد كل من ماك كومبس و واشنطون Mc Combs & Washington ثلاث مجالات أساسية للبحث في مصداقية وسائل الإعلام وهي:

- الثقة في وسائل الاتصال.
- الأمانة والمعايير الأخلاقية.
- التصورات عن اتجاهات الجمهور نحو الوسائل الاتصالية، فيما يتعلق بكل من: القابلية للتصديق، الدقـــة و الإنصاف والتحيز.

[77] TUCHMAN Gaye., *Making News: A Study in the Construction of Reality*, the free presse, London, p 129.

ثم جاءت مراجعة ويتني Whitney (رئيس مكتب جريدة NY TIMES بباريس) لكي تضيف إلى هذه المجالات الثلاثة مجالاً رابعاً هــو: سِمات أداء الوسيلة (الصحيفة) التي تتصل بالتحيز، أو القابلية للتصديق مثل: اختراق الخصوصية، وحجب وجهة النظر الأخرى وعلاقة الوسيلة الاتصالية بالحكومة، والموازنة على سبيل المثال بين الحريات التي أعطاها التعديل الأول للدستور الأمريكي، وبين أهداف وحقوق جماهيرية أخرى[78]، وارتبط بالنقطة السابقة عدة قضايا فرعية في مقدمتها: حجم قطاع الجمهور الأكثر انتقاداً لوسائل الاتصال، و العلاقــة بين تقييم وسائل الاتصال، أو الحكم عليها، وبين كيفية استخدام الجمهور لها.

افترض كل من الباحثين جرينبرج، و رولوف Grinberg & Rolf، أن الجمهور يشاهد التلفزيون، على أساس أن مهمته الترفيه، بينما يقرأ الجرائد، على أساس أن مهمتها هي الأخبار، بينما تفترض نظرية ستيفنسون Stevenson[79]، أن التسلية هي سبب أولي لقراءة الجريدة، في حين افترض آخرون، أن قراء الجريدة هم أقل طواعية لقراءة الأخبار الجادة الطويلة. و البعض يرى إن مفهوم المصداقية أكثر اتساعاً، في القضايا التي يعالجها، من مفهوم القابلية للتصديق، بحيث يشمل:

- الثقة في وسائل الاتصال.
- التصورات حول التحيزات السياسية وغيرها.
- التصورات حول كيفية تغطية وسائل الاتصال للمجموعات المتنوعة في المجتمع.
- المواقف تجاه قضايا التقييم الإخباري.
- تقييم الوظيفة التي تؤديها الجرائد ووسائل الاتصال الأخرى.
- المواقف تجاه حرية الصحافة.

[78] مدخل في سياسة الإعلام العربي والاتصال
http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=24039

[79] Réseau de presse non-alignée - Le mythe de la liberté de la presse en France : http://www.voltairenet.org/article14060.html

الفصل الرابع : الهجرة المغاربية في الصحافة الفرنسية ■

الفصل الرابع : الهجرة المغاربية في الصحافة الفرنسية.

1.4. مكانة المهاجرين في المجتمع الفرنسي من خلال الإعلام.
2.4. الصحافة المكتوبة ونظرة الرأي العام.
1.2.4. الموضوع الأمني:
1.1.2.4. الشعور بعدم الأمن و الصحافة المكتوبة
2.1.2.4. العنف المدني المدرسي:
2.2.4. موضوع الهوية:
1.2.2.4. الأقليات المنسية.
2.2.2.4. الهوية والنموذج الاجتماعي الفرنسي.
3.2.2.4. الهجرة و الهوية الوطنية في السياسة الفرنسية.
4.2.2.4. إقصاء الآخر لبناء الهوية الوطنية.
3.2.4. الموضوع الاقتصادي الاجتماعي الفرنسي.
4.2.4. الموضوع السياسي.
3.4. الكلمات والصور.
44.. معالجة الأحداث.
54... المهاجرين المغاربيين :رواية إعلامية وحركة إعلانية.
64.. الهجرة في الحوار الإعلامي.
74.. نظرة تجريدية حول تحليل الرسائل المكتوبة.

1.4. مكانة المهاجرين في المجتمع الفرنسي من خلال الاعلام:

دُرست وضُبطت في السنوات الأخيرة ظاهرة الهجرة إلى فرنسا من طرف رجال السياسة و آخرين مختصين، كالشرطة، بعض أجهزة الخدمات الاجتماعية، كثير من الصحافيين ولمحة من الرأي العام السياسي. و من خلال ملاحظاتنا الشخصية للمواضيع التي تطرقت فيها جريدة Le Figaro للهجرة المقيمة بفرنسا عموما و المغاربية على وجه الخصوص، وجدنا اغلب الكتابات لا تتعرض إلا للنواحي السلبية للمهاجرين، خاصة إذا تعلق الأمر بالمغاربيين منهم. ففي وسائل الإعلام (التلفزة، الإذاعة والصحافة المكتوبة) قد يكون من غير المناسب التركيز فقط على تقديم أرقام أو إحصائيات عن الحوادث المرئية خاصة منها السلبية في مجتمعات غربية، اقل ما يقال عنها أنها مجتمعات متطورة، شعارها العدالة و المساوات.

إن مكانة المهاجرين، قد ورّطت عددا كبيرا من العوامل على اختلاف مستوياتها، في تناقضات و متاهات لا مخرج منها، ففحص كل مجموع هذا التطور قد يخرجنا عن ميدان دراستنا، لذا فقد حصرنا معظم التماثلات التي لها علاقة مع موضوع دراستنا، لنتطرق إلى حالة المهاجرين اللذين نستطيع إعتبارهم مقهورين بصورتهم المُشَوّهة من طرف الصحافة المكتوبة. فرغم النقد المتكرر المؤسس لهذا التمييز و رغم تواجد الخطابات المزيفة، استمرت هذه القراءات بصورة متواصلة للحياز على الأغلبية... ما الذي يدفع كل هؤلاء الكتاب للربط بين الجرائم، البطالة، الإرهاب، التعصب وفئة المهاجرين؟ ، كيف تــُفسَّر قوة هذا الخطاب؟.

إن المعالجة الإعلامية للمهاجرين المغاربة تضغط خصوصا على الخطابات السياسية والصحافة المكتوبة في نقاشات سيميولوجية، نقاشات معممة على تمييز السلوكيات التي تدور حول أربع محاور هي كالتالي:

- المحور الأول: أمني حيث أصبحت الهجرة مربوطة باللاأمن و العنف المدني و الجنح
- المحور الثاني: محور الهوية ويتعلق ببعض التصرفات الديمقراطية و الهوية الوطنية.

• المحور الثالث: إجتماعي إقتصادي حيث أصبحت الهجرة مربوطة بالبطالة، الفقر، وأصبح المهاجرين المغاربيين مسئولين عن الحالة السيئة للوضعية الاجتماعية و الاقتصادية الفرنسية.

• المحور الرابع: سياسي يكشف أن تلاعبات الحملات الإنتخابية أصبحت شيئا فشيئا محددة بالخطابات العنصرية وكره الأجانب.

2.4. الصحافة المكتوبة ونظرة الرأي العام :

إن تحليل الدور الذي تلعبه الصحافة المكتوبة في إعلام الرأي العام يبعثر و يشوه اتجاه و أراء هذا الأخير، من حيث تركيز انتباهه في التفحص أو النظر في ما تعكسه أو ما تخفيه الحقيقة. فالصحافة المكتوبة تبني الحقيقة التي تنتهي بالتأثير في درجات متفاوتة في تكوين الرأي العام. بمعنى آخر، لا توجد علاقة نسبية مباشرة بين تغطية الأحداث التي تجزم بها الصحافة المكتوبة، والخوف الاجتماعي من المغاربة وما يُلْحِقون به من ظواهر، فبكون الصحافة المكتوبة هي المنبع الرئيسي للإعلام، فإن المجتمع لا يبني وجهة نظره إلا من خلالها. فهي تعمل على إدراك وتطوير حسب عدة تطورات معرفية، إجتماعية وحوارية.لكن مهما يكن تأثير الأحداث المنقولة عن وسائل الإعلام والرسائل والكتابات الإعلامية، فإن تأثير الصحافة المكتوبة وبصفتها منبعا ووسيلة من وسائل الإعلام الضخمة، يكون تأثيرها أقوى على البنية الاجتماعية من خلال الموضوعات التي تعالجها، وذلك بمجموعة كبيرة من الإيجابيات أو السلبيات كما هو الحال في صورة الأجانب الإجرامية مثلا، فوجهة نظر المجتمع إذن، محصورة بالإطار الصحفي أو بالترجمة الإيديولوجية المُقدمة من طرف الصحافة المكتوبة بصفة خاصة و الإعلام بصفة عامة. و هي حقيقة لا نستطيع إخفاؤها كون الصحافة المكتوبة تشغل منصب أساسي في تطوير بناء التهديد الترحيلي «الهجري» بالصور و النصوص المقدمة من طرف صانعي القرار والمختصين الإداريين في أجهزة الدولة.

إن المعلومة في الصحافة المكتوبة، موضوعة بصفة مثالية لتأسيس وتشريع الصور و التعريفات المتشابهة للمهاجرين رغم اختلاف طريقة تقديمهم،

الطريقة التي لم تكن يوما تلقائية، بل هي مفتعلة و معبرة عن الكراهية و الإقصاء، فكل ما نلتمسه في وجهات نظر هذه الصور و التعريفات هو خوفٌ و تشاؤم للحقيقة. فنلجأ نحن كإعلاميون، إلى تحديد الدور الملعوب من طرف الصحافة المكتوبة بتحليل الطرق الأساسية في التقديم الإعلامي للمجتمع سليل الهجرة المغاربية في فرنسا في هذه العشرية الأخيرة، ولأجل هذا نتبنى هذه المسيرة أو المحاولة للتطرق إلى «وثائق ظاهرة»، ومجموعة قوانين عينية بنص صحافي كتابي، و مجلات متخصصة بالصحافة المكتوبة، ومقالات، ومجلدات، دون أن ننسى التطرق للأنترنات.

1.2.4. الموضوع الأمني:

إن دور الصحافة المكتوبة في تشكيل خطاب إعلامي و تطويره، و كذا توجيهه ضد المهاجرين لأجل حماية الأمن الوطني، يقع في مخطط التنشاة الاجتماعية للمجتمع الفرنسي، ربطت ظاهرة الهجرة غير الشرعية (هجرة الأشخاص بدون وثائق قانونية رسمية) و ما تلحقه من أعباء على فرنسا، بظاهرة الهجرة القانونية بصفة عامة، بعيدا عن تبني فكرة محايدة. هذه البنود تمنح مكان تفاوت و إختلاف الجرائم والجنايات، و وقف ممنوح من طرف المهاجرين. فالصحافة في التسعينيات وضعت رابطا متينا بين ذوي الألوان و المجتمع الأصلي، يكشف عن مخطط لإبطال كل تميز بين المهاجرين الشرعيين والمهاجرين غير الشرعيين، وكذا الجيل الثاني والثالث للمهاجرين، و الفرنسيين الأصليين. و لم ينته هذا المخطط بتجسيد الإدماج والمزج بين المهاجرين والوطنيين الملونين «السود» بل انتهى بالمبالغة و بصفة قوية بتقديم سلبي لهذه الفئات، كون الصحافة المكتوبة الحقت كل العقود الجنائية الإجرامية وكذا التي ليس لها معنى، للشباب الذي ألصقت له عبارة «أغراب»، فألحّت دوما على إرسالهم إلى منشأهم الأصلي العرقي، أين ديانتهم الإسلامية[79]، لتجمع الصحافة المكتوبة و خصوصا منذ 11 سبتمبر 2001، بين الإرهاب والمسلمين (كل من هو

[79] BRION Fabienne, TULKENS Françoise, 1998. *Conflit de culture et délinquance. Interroger l'évidence,* In : Déviance et société

من أصل مغاربي في فرنسا)، فالشباب المغاربي المهاجر في فرنسا لا يكف عن أخذ صورة جد سلبية عن عدم إندماجه رغم أنه ضحية تقديمات الصحافة في غالب الأحيان.

إن المبالغة في وصف المهاجر بالمنحرف، تضغط بشكل واضح على حكم إحصائيات الشرطة. فالصحافة المكتوبة تحصي دوما مجموع الجرائم والمدة المستغرقة في وقت معطى، دون التدقيق في أن كون جزء كبير من هذه المخالفات ليس مرتبط بالجيل الأول و الثاني للمهاجرين، بل بالدولة أحيانا و كذا بالهجرة غير الشرعية أحيانا أخرى، رغم أنها تتطرق إلى مقدمة مفصلة لهذه الإحصائيات فإنها تنسب للمهاجرين العنف و التعصب أمام الرأي العام الفرنسي. مقدمة بذلك (إحصائيات الأمن) إلا أرقام المخالفات المسندة لهذه الفئة. فإحصائيات الشرطة لا تقدم معطيات إلا عن الحوادث المنحرفة كالسرقة، السطو، الجرائم و استنادا إلى ذلك، تقوم الصحافة المكتوبة بتكريرها في تلك المدة الزمنية لتجعل منها حدث تلك الفترة، لتمنح شيئا فشيئا مكانا للمعلومات المرتبطة بحركة الهجرة وإحصائيات « المستشفيات و الملاجئ ....» وتضغط دوما على الدراسات الديموغرافية. فالمزج بين المهاجرين الشرعيين و غير الشرعيين أعطى دوما صورة خاطئة عن الأشكال التي تقدمها الجهات الرسمية والمنسوبة للفئات الضالة. ليكون المهاجرين الشرعيين و أبنائهم هم اكبر متضرر من هذا المزج، ليُعاملوا بشكل تمييزي من طرف الإدارات ومصالح الشرطة و غيرها.. و يتضح لنا هذا على ارض الواقع بالتقديمات الاجتماعية للأجانب من خلال فرص الحصول على عمل أو سكن... لكن في نفس الوقت، و بقوة، شوهت هذه النقلة من صورة «المهاجر المنحرفة» إلى صورة «المهاجر الغشاش» مما يؤثر بالضرورة هذا الشك في حفظ الحقوق الإجتماعية الممنوحة للمهاجرين[80].

يذهب كُتَّاب الأحداث دوما إلى توظيف ألفاظ مهينة، خصوصا حين تكون الضحية من أصل فرنسي خصب، و خصوصا إن كانت رجلا من رجال السياسة أو الشرطة، ونذكر على سبيل المثال حادثة الشرطي الذي إختُطِف من

[80] Akkari Abdeljalil., 2003, *Les jeunes d'origine maghrébine en France : les limites de l'intégration par l'école*, la Découverte, Paris

طرف عصابة تقطن حي يتمركز فيه المهاجرون من اصل مغاربي في إقليم (La Moselle) عام 1999، فوجهت كل أصابع الإتهام إلى ثلاثة شبان مغاربيين، فشنت الصحافة المتكوبة المحلية والوطنية دعاية إعلامية ضد المغاربيين، الشيء الذي ترتب عنه مضايقات على جميع المستويات، إعتقالات واسعة من طرف الشرطة، تفتيش، وحتى عدوانية الفرنسيين لسكان هذا الحي الشعبي. كل هذا كان بسبب التقديمات المسبقة من طرف الصحافة المكتوبة. ليتبين فيما بعد أن مرتكبي الجريمة من أصول فرنسية. فبفعل الصحافة، أصبحت السلوكات السلبية والعقود الجنائية مسنودة إلى نفس فئة الأشخاص العرقية، بل نستطيع القول إلى مجموعة الثقافة المغربية، فالمغاربي أصبح مُحيرا ومخيفا في أعين الشعب المستهلك للإعلام الفرنسي، الذي طور النشاطات الجنائية التي ألصقت المهاجرين إلى نشاطات ذات طابع إرهابي. دعمت صورة المهاجر المنحرفة في نظرة المجتمع الفرنسي بعامل أساسي متميز، هو انه كلما نسبت التقديمات السلبية (العنف، الجريمة، الإنحراف) إلى المغاربيين، زاد صعود العنف في فئتهم، فالإعلام الفرنسي استطاع أن يقنع السلطات المحايدة، بإقصاء الأجانب من خلال التقديمات المسبقة، ليقنع بذلك المجتمع الفرنسي ويزرع في تفكيره تهميش المهاجرين لما يُنسب إليهم. لتزيد إحصائيات الشرطة غرس هذا الكره. فتقديمات العنف المغاربي تسير بصفة مزدوجة مع العمل النظامي الهادف للجمل المثيرة الواردة في الصحافة المكتوبة الفرنسية ك « ليل الرعب»... «شكر اللصوص»، «القوانين الجديدة المتوحشة[81]».

[81] Césari Jocelyne., 1998, *Faut-il avoir peur de l'islam*, Presse de Sciences Politiques, Paris, p 69

1.1.2.4. الشعور بعدم الأمن و الصحافة المكتوبة:

خلف غموض الرسائل الإعلامية السماح لهذه الكلمات باحتلال مكانة الأمن، فكانت المعالجات الاعلامية صريحة فيما يخص عنف الشباب وخصوصا شباب أطراف المدينة، حيث أن كل الخطابات التي تتعلق بهذا الموضوع مملوءة بالرهانات. و خير دليل على ذلك ما حدث خلال الحملة الإنتخابية (البلدية في 2001 و الرئاسية في 2002 و 2007) مثلا، وبأمر من جهات سياسية معينة، قدمت الصحافة المكتوبة كل الحُجَج والبراهين التي لها علاقة بالعنف و الإثارة، فأبدت أن أحداث المهاجرين ليست بالمُنحرفة، بل هي مبادئ مجراهم وسيرتهم.. لتصبح الحوادث الخطيرة كالقتل، الهجوم المسلح و العنف الجماعي... مبررة وغير ذات أهمية بالغة، وذلك فقط بهدف كسب أصوات الفرنسيين من أصول مغاربية.

كل هذه العوامل ناتجة عن جدال شعبي إختلف حول الشعور بتواجد الأمن من عدمه، فبرهن الفرنسيون عدم إحساسهم بالأمن حيث أقرّت الأغلبية منهم بعدم الشعور به اتجاه المغاربيين أو بسببهم، كما أن «الأمن هو شغلهم الشاغل»، فالبحوث التي أجراها لورن ميكاييلي Laurent Mucchielli[82] بينت أن الإحساس يبعث عند الأغلبية شيئا آخر غير الخوف كونهم ضحايا، مما كوّن لديهم إعتقاد جماعي يتمثل لدى البعض إلى صلابة أحكامهم العقلية اتجاه المغاربة (كره الأجانب وإقصائهم من التراب الفرنسي، الإرادة في تطبيق حكم الإعدام..) فالأغلبية تعيش (خصوصا في الأوساط الفقيرة ومنعدمة المستوى العلمي) حيرة عامة ومقسمة على التطور الاجتماعي، الصحي، الصناعي للمتجمعات الفرنسية.

في إطار التهديدات الأمنية للمجتمع الفرنسي، أصبحت تسمية المهاجرين تضغط خصوصا على صنع عدة أحداث سيميولوجية، أحداث موجهة لتهديد الإحساس الذوقي للمجتمع المضياف، و كذا تنافر هذا الأخير إتجاه الشباب سليل الهجرة المغاربية. فهو إذن مؤهل لـــ «التوحش و النهب، الشيء الذي ولّد خطر إنزلاق المجتمعات المدنية المغاربية نحو التعصب أي إبتعادها أو خروجها من الجسد الإجتماعي للمجتمع الفرنسي، فبغض النظر عن المهاجر غير الشرعي،

[82] Laurent Mucchielli, 2001, *Violence et insécurité. Mythes et réalités dans le débat français*, La découverte.

نستطيع أن نتصور صورة الأجانب من الجيل الثاني للمغاربة في نظر في المواطنيين الفرنسيين من خلال وسائل الإعلام عامة والصحافة المكتوبة خاصة[83]».

بلغت الحوارات الإعلامية المزعومة حول الجماعات المغاربية المسلمة حدها في 1989، أين ظهرت مشكلة اللحاف في المدارس العمومية، فصنع هذا الحوار من الإسلام تهديد حقيقي لقيم الجمهورية الفرنسية. التضاد بين وضع اللحاف والعلمنة (نظام إبعاد الكنيسة عن ممارسة السياسية أو الإدارية، خاصة في التعليم، علما أن اللحاف من مبادىء الإسلام) ، أدّى إلى التضاد بين الديمقراطية المنصوص عليها قانونيا، والقانون الشمولي، و كذا الإسلام، فإستدعى القانون الشمولي ضمنيا بتغيير منظم و هادف لكلمته لحاف. و قد تطرقت لهذا الأمر جريدة «Le Monde» حين نشرت مقالا قدمت فيه الإسلام على أنه «ظاهرة حرارة»، ليضاف كل ما يمليه الإسلام و مبادئه للإرهاب بكل أنواع تهديداته. و في الثمانينات، وضعت الصحافة المكتوبة الفرنسية بديلا لكلمة مسلم بـــ «إسلامي»، الشيء الذي أثار غضب المسلمين، مما ولّد الإرهاب و زاد في حدته في التسعينات، فالشباب الفرنسي سليل الجالية المغربية أصبح يعرف بالإرهابي أين الإرهاب شيئا فشيئا أصبح حدث متكرر كثير الوقوع[84].

2.1.2.4. العنف المدني و المدرسي:

إن عبارة «العنف المدني» ليست متداولة في باقي الدول الأوروبية، وهي مطابقة في بعضها و في بعض الحالات إلى ما تسميه «عنف الشباب»، لكن هذا التميز لدى الصحافة الفرنسية المكتوبة يبين إنفراد الأحداث المتعلقة بالمهاجرين و تقديماته في فرنسا، حيث أن العنف بين الشباب ليس جوهريا «عنف مدني» بل عنف مفتعل من فعل الصحافة في كثير من الأحيان، كما أثبتته دراسات بعض الباحثين كـــ Legaunnec Nicol، Robert Lafont و Christian Bachman

[83] Pierre Tévanian, 2002, *Le racisme républicain. Réflexions sur le modèle français de discrimination*, L'esprit frappeur, février

[84] Césari Jocelyne, 1997, *Être musulman en France aujourd'hui*, Hachette, Paris, p 143.

عام 1996. حيث رأوا أن الصد و الانغلاق الإجتماعي والقضائي مرئي في البلدان الأوربية الأخرى، و هو ليس بالضرورة ناتج عن أسباب الإختيار العمراني، العرقي أو المدني، بل هو خاصية فرنسية للبعد الإستعماري، من خلال البعد المركز للخطابات والتنازع بين الشباب سليل الهجرة وبعض مقدمي المؤسسات الاجتماعية، و خير دليل على ذلك، فحرب الجزائر بما فيها أحداث 8 ماي 1945 بكل أبعادها، المشكل غير المعالج إلى يومنا، يعتبر واحدا من أسباب الصد الاجتماعي.

المقال الذي نشر في جريدة «Le Figaro» يوم 20 أفريل 2000 بعنوان « France - Algérie amis ou ennemis ? » لا يعطي إلا لمحة مختصرة عما هو سائد في عقيدة و نظرة الفرنسيين، ويركب سؤال بارز في القائمة الطويلة للتساؤلات الكبيرة المطروحة في المجتمع الفرنسي المعاصر، سؤال يتعلق بمشكل من المشاكل الأقل فهمًا، ليصبح في الأعوام القليلة الأخيرة الشغل الشاغل للصحافة المكتوبة ورجال السياسة من اليمين إلى اليسار. ليعرف عام 2005 بعام الحيرة، التي أصبحت جزء لا يتجزء من يوميات كل أفراد المجتمع كون الإنحراف أصبح معمم في أطراف المدن الشعبية، و تجلت صورة العنف والهيجان الشعبي على ارض الواقع، وتجمعت في الأحياء المحرومة التي استعملت الحدث لإثارة نظر السياسيين والصحافة المكتوبة، إلى حد أين أصبحنا نقول أن عام 2005 شبيه بأعوام الثمانينات التي كانت «أعوام أطراف المدينة[85]».

لم يكن العنف في المدارس محل إهتمام دراسات الباحثين الإجتماعيين الفرنسيين. فعودة الباحث François Dubet[86] عام 1987 للمعانات في الثانويات أثرى الموضوع، ليطرح عدة تساؤلات للباحثين الإجتماعيين، فعنصر «العنف» بقي مختفي في الصحافة المكتوبة عدا بعض الأحداث التي لم تلقى اهتمام كبير، لا من طرف الرأي العام و لا من الصحافة، كمقتل مدير ثانوية من طرف أحد تلاميذه في مدينة قرونوبل مثلا. و بإثارة الصحافة المكتوبة للحدث، أخذ الرأي العام في

[85] http://www.humanite.fr/journal/1995-09-13/1995-09-13-733706
[86] Dubet François, *Didier Lapeyronnie, 1992, les quartiers d'exil*, Seuil, Paris. P 39

بداية التسعينات بعين الإعتبار الظواهر التي تحدث في الثانويات الشاكية عدم تواجد الأمن و الرقابة. فيرى مستهلكي الإعلام الفرنسي أن التلفزة وكذا الصحافة المكتوبة أصبحت من صناع الأحداث (من خلال تضخيمها للأحداث) للمطالبة بالأمن المدني و كذا الأمن داخل الثانويات. ليُربط بهذا موضوع العنف المدني في أطراف المدينة إلى العنف المدرسي. ليصبح موضوع حساس جعلته الصحافة المكتوبة والوسائل المرئية والمسموعة دورا هاما في بناء الحدث، سواء بالمبالغة أو وضعه في مسرح بصور متعددة الأشكال بما يخدم مصالحها الاقتصادية و كذا المصالح السياسية لأصحابها[87].

أبحاث Francois Harpet عام 1994 و George Gerbano, Von Holf Wilson عام 1995 حول وسائل الإعلام، جعلتهم يرسمون لوحة أكثر مضادة للعنف المدرسي، ليحاولوا الإجابة عن تساؤل خطورة الترسب الإجتماعي عامة و لدى أبناء الجاليات المهاجرة خاصة، لكن يبقى من الصعب عليهم الإجابة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، لسؤال حول مدى مسؤولية وسائل الإعلام في خلق و تنمية العنف المدني و كذا المدرسي، من خلال المنهجية المُعتمدة في تغطيتهم الإعلامية.

نرى مما سبق أن الصحافة وجَّهت و دعمَّت بحساسية كبيرة الشرطة الفرنسية وباقي الأجهزة الأمنية و الاقتصادية و الإجتماعية، الشيء الذي زاد من حدة الأمور و تعقيدها، ليصبح رهان إيديولوجي كبير يتمثل في «إحساس إنحلال جماعي للإنعدام التربوي»، إحساس أدّى إلى انحراف المبادىء الأسرية و كذا عدم الكفاءة السياسية، فإلى ضعف الدولة بجميع أجهزتها.

[87] DEBARDIEUX Eric, 1997, *insécurité et clivages sociaux. L'exemple des violences scolaires*, paris, p 67.

2.2.4. موضوع الهوية:

طرحت أحداث الشغب أو «ثورة الضواحي» كما يسميها البعض، والتي عمت فرنسا خلال شهر نوفمبر 2005، قضية التعددية العرقية والإثنية بفرنسا، وفرضت على الساحة السياسية والثقافية والاجتماعية سؤالاً ملحًّا حول «من هو الفرنسي؟»، وهو السؤال الذي تجاوزه الزمن حسب البعض، وأنه طوي منذ عهد شارل ديڤول أول رئيس لفرنسا بعد تحريرها من الاحتلال النازي.

فمشهد الشباب في الضاحية التي انطلقت منها الشرارة الأولى لأعمال الشغب، وهم يرفعون في أيديهم بطاقات التعريف الفرنسية، وبغضب يقولون «إنها لا تساوي شيئًا ..إننا لسنا فرنسيين كبقية الفرنسيين.!!»، و الذي صورته معظم وسائل الإعلام الفرنسية في خضم أحداث الشغب وحرق السيارات، مشهد معبر وقوي الدلالة. لفهم رسالة الشباب سليل الهجرة، إن عدنا سنة إلى ما وراء أحداث باريس 2005 أي إلى شهر مارس 2004، في ساحة الجمهورية بباريس. نشاهد نفس المشهد، مشهد فتيات متحجبات يرفعن بطاقات تعريفهن مشككات في هويتهن، وقبولهن كفرنسيات من طرف المجتمع الفرنسي، عندما قررت الحكومة سن قانون يمنع الرموز الدينية في المدارس، وهو القانون الذي اعتبره البعض يستهدف بالدرجة الأولى المحجبات الفرنسيات من أصول عربية وإسلامية».

في الحقيقة ليس هناك ربط بين الحادثتين، من حيث أسباب اندلاع أعمال الشغب، لسبب بسيط وهو أن جزءاً هام من المشاركين في أحداث باريس و الضواحي، هم فرنسيون من أصول أفريقية غير مسلمة إضافة إلى الأغلبية و المتمثلة في الفرنسيون ذو الأصول المغاربية المسلمة، الذين يسكنون الأحياء الاجتماعية الفقيرة. غير أن هناك رابطًا آخر، وهو أن كلتا الحادثتين تتنزلان في صلب «قضية الانتماء إلى فرنسا وأحقية أن تكون هذه الأجيال فرنسية»، كما تقول الباحثة الفرنسية إستر بن باسا في كتابها عام 2004 «الجمهورية في مواجهة أقلياتها». الأمر الأكيد، هو أن فئة من الفرنسيين تشعر أنها «أقل فرنسية» من غيرها، أو هم فرنسيون «درجة ثانية» بالرغم من أنهم ولدوا وتمدرسوا وتشبعوا بالثقافة الفرنسية، حيث أفاق الفرنسيون بعد هذه الأحداث على حقيقة سُــكت عنها

طويلا، حقيقة لطالما أخفاها الإعلام الفرنسي وهي: أن هناك فرنسيين مثلنا يعيشون بيننا ولكنهم مختلفون عنا[88].!

1.2.2.4. الأقليات المنسية:

في منابر الصحافة الفرنسية، والملفات التي فتحتها وسائل الإعلام الفرنسية عقب اندلاع «ثورة الضواحي» اكتشف الفرنسيون أن هناك فرنسيين سودًا من أصول أفريقية، وسمرًا من أصول مغاربية إسلامية، وكان ذلك بالنسبة للبعض من المحللين الفرنسيين بمثابة الاستفاقة من غيبوبة أو «إعصار كاترينا الفرنسي» بحسب رئيس تحرير مجلة «لوبوا» (Le point) الفرنسية. وبالنسبة للبعض الآخر، فإن واقع وجود فرنسيين آخرين من غير العيون الزرقاء والبشرة البيضاء أمر يعيه الفرنسيون من رجال السياسة والمثقفين والاجتماعيين منذ 5 عقود، ولكنه بمثابة الملف المنسي والمهمل، وهو في أحسن الحالات شعار سياسي في الحملات الانتخابية، فمن عادة السياسيين رفع الشعار الانتخابي «فرنسا متعددة الهويات والأعراق» دون أن يكون لذلك أثر حقيقي في الواقع. فحين ننظر إلى تركيبة البرلمان الفرنسي نكتشف هذه الحقيقة، فمن جملة أكثر من خمسمائة نائب عن الأمة الفرنسية، نتساءل عن عدد النواب من أصول مهاجرة عربية أم أفريقية في الجمعية الوطنية؟ وهل هناك تحت قبة البرلمان الفرنسي نائب ذو بشرة سوداء أم سمراء؟ وما هو الوجود التمثيلي لأكثر من 6 ملايين مغاربي و 9 ملايين مسلم و مِـــثلُهم من أفريقيا السوداء بفرنسا؟. الجواب: لا شيء تقريبًا.

من المفارقات أن وزير الداخلية ساركوزي آنذاك (رئيس الجمهورية الحالي) هو الذي حفز ثورة الضواحي بوصفه للشباب من أصول مهاجرة «بالأوباش»، «الصعاليك» و «الحثالات»، في حين انه كان أول من شجع على أحقية تمثيل الأقليات والفرنسيين من أصول مهاجرة في المراكز العليا للدولة، فساركوزي كان أول وزير داخلية فرنسي يعين محافظًا للشرطة من اصل مغاربي ذو ديانة إسلامية و هو عيسى درموش، وهو أيضًا أول سياسي يطرح نظام

[88] ABOU Selim, 1998, *L'identité culturelle, relations interethniques et problèmes d'acculturation*. 2ème édition, Anthropos, Paris, p 137

«الكوتا»، أي تمثيلية الأقلية على الطريقة الأمريكية بحسب ثقلها السكاني في مراكز الدولة. أفكارًا مثل هذه، أي أحقية تمثيلية الأقليات في مراكز الدولة، لا تزال حاضرة في العقلية الفرنسية. فالذين يهاجمون هذه الفكرة يعتمدون على أحد مرتكزات النظام السياسي الفرنسي وهو علمانية الدولة والذي بـــني على مفهوم أن «كل الفرنسيين مواطنين سواسية في الحقوق والواجبات، وأنه لا مجال لانتداب أشخاص أو الاعتراف بهم على أساسهم الديني أو العرقي».[89]

الكثيرون يعتقدون وفي مقدمتهم الصحافة الفرنسية، أن قانون 1905 والمعروف بقانون العلمانية بفرنسا والذي يفصل بين ما هو ديني وبين ما هو سياسي، يجب تنقيحه لا للخلط بين الديني والسياسي، أي بين الدولة والكنيسة من جديد، ولكن في الاتجاه الذي يُـــتيح بالاعتراف بالأقليات والخصوصيات الدينية، الأمر الذي يتيح للدولة أن تعين وأن تساعد ماليًّا بناء المساجد على سبيل المثال. فهذا القانون تم تشريعه في ظروف معينة ترتبط بالظروف الخاصة التي عاشتها فرنسا حينما لم تحتوِ على فرنسيين سود أو فرنسيين من أصول مغاربية وإسلامية. ولكن الآن الظروف تغيرت، حيث يرى البعض وجوب الاعتراف بأن الإسلام أصبح يمثل الديانة الثانية من حيث الكثافة السكانية و المتمثلة في المغاربيين في فرنسا، بعد المسيحية، وبالتالي فإن هذا القانون يجب أن يتكيف مع المعطيات الجديدة[90]. ففي الحقيقة، أن كل المتمسكين بقانون العلمانية والمعروف بقانون 1905 يستندون إلى التاريخ الديقولي (الرئيس شارل ديقول أول رئيس لفرنسا بعد الاحتلال النازي) بالرغم من أن فرنسا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية لم تكن تتوفر على التعددية العرقية والإثنية التي هي عليها الآن. تنقيح قانون 1905 والاستجابة الحقيقية «لفرنسا متعددة الأعراق والإثنيات» يضع في الميزان جدوى «النموذج الاجتماعي الفرنسي»، فعقب التفجيرات الإرهابية بالعاصمة البريطانية لندن في السابع جويلية 2005، افتخر الكثير من الفرنسيين بنموذجهم الاجتماعي المبني على الوحدة وعدم الاعتراف الكامل بالطوائف، ورأوا

[89] THEBLEMONT-DOLLET Sylvie, 2001, *Mémoires des origines*, pp 229-243, In : Lorraine, Terre d'accueil et de brassage, Nancy, Presses universitaires de Nancy
[90] Césari Jocelyne, 1997, *Être musulman en France aujourd'hui*, Hachette, Paris, p 192.

أن النموذج البريطاني الطائفي هو الذي أوجد الإرهاب في محطات مترو لندن.

2.2.2.4. الهوية والنموذج الاجتماعي الفرنسي:

أعادت أحداث باريس و الضواحي دائرة النقاش الفرنسي إلى الصفر حول « علاقة الهوية بالنموذج الاجتماعي» وطرح بعض المحللين الفرنسيين أسئلة حول الذي يجب فعله؟ و إن كان النموذج الاجتماعي الفرنسي في مأزق؟ وما هو السبيل لتفادي تكرار ما حدث في الضواحي الباريسية؟.

من المسَــلم به، أن جوهر الأزمة الفرنسية هو غياب توزيع عادل للثروة والفرص بين الفرنسيين، ولكنه يحمل في جوهره مفهوم التمييز بين صنفين من الفرنسيين، فإن ثورة الضواحي طرحت وبقوة سؤال: من هو الفرنسي؟.

لا شك أن أحداث الضواحي جاءت لتحدث القطيعة بين عهدين، وبين مفهومين للمواطنة الفرنسية، فأن تكون فرنسيًّا حقيقة ليس بالضرورة أن تكون أبيض البشرة، ذا عينين زرقاوين، وكذلك أن تكون فرنسيًّا ليس بالضرورة أن تسكن الأحياء الفاخرة بكبريات المدن الفرنسية، أو أن تملك ضيعة في إحدى البراري الفرنسية، ولا بالضرورة أن تشرب قهوة الصباح على أسطر جريدة في أحد المقاهي الفاخرة في باريس. فهذه الأحداث بالرغم ما تميزت به من حرق و تخريب، أوصلت للفرنسيين أن عشرهم يحملون بطاقات تعريف فرنسية، ويقطنون في ضواحي المدن ويحلمون باعتراف كامل بفرنسيتهم، وبحقهم في الشغل والسكن والمزايا الاجتماعية الأخرى. الاعتراف الكامل بهوية هؤلاء (رغم أصولهم الاجتماعية والثقافية والدينية غير الفرنسية) هو أكبر مكسب من أحداث الضواحي في السنوات المقبلة، إنها الاستفاقة على واقع تعددي جديد قوامه المساواة الكاملة في المواطنة، وتكافؤ الفرص، وقبول جمعي بأن تحمل اسم «كريم» أو «خديجة»، وأن تنتدب في العمل بلا عنصرية وأن تُمكن من حقها في السكن بلا تمييز.

3.2.2.4. الهجرة و الهوية الوطنية في السياسة الفرنسية:

طرح السياق السياسي الحالي من خلال الإعلام الفرنسي (المكتوب خاصة) المشكل في خضم حدثين مهمين، يتمثل أولهما في الاضطرابات التي عاشتها الهجرة بضواحي المدن الفرنسية أواخر عام 2005 والتي استغلتها أطراف سياسية لتعيد طرح القضية من منظور عنصري. أما الثاني فهو إحداث رئيس الجمهورية ساركوزي، لوزارة للهجرة وللهوية الوطنية، حيث أحدثت هذه الوزارة ضجة لدى المراقبين وخاصة لدى المهتمين بحقوق الإنسان، لما فيها من أبعاد قد تشجع الخطاب العنصري ضد المهاجرين عامة و المغاربة خاصة، كونهم اقل اندماجا، كون ديانتهم إسلامية، كما أنه أعطى دفعا جديدا للنقاش السياسي في بلد تعد فيه المناظرة والسجال تقليدا عريقا.

يرى ساركوزي الرئيس المُنتخب عليه من طرف أكثر من نصف الفرنسيين و الممثل الأول للمجتمع الفرنسي، أنه من الضروري إحداث جهاز يُـــعنى بمراقبة الهجرة، لأن فرنسا ليست مجبرة على قبول هجرة مفروضة، بل من حقها اختيار من تريد من المهاجرين إليها. كما يرى أن الهجرة أصبحت تمثل تهديدا للهوية الوطنية الفرنسية، وهو ما يبرر اقتراح إحداث وزارة تعنى بالهجرة والهوية .ويستند هذا الموقف حسب رأيه إلى التفسخ الحالي لعناصر الهوية الوطنية الفرنسية. ويسوق كمثل على ذلك وضع اللغة الفرنسية في الضواحي، حيث يتكلم الشبان حسب رأيهم فرنسية هجينة وبذيئة تلاحظ بسهولة من خلال كلمات موسيقى الراب الفرنسية. إضافة إلى اللغة، يرى أن حب فرنسا عنصر أساسي في الهوية الفرنسية ولكل من يريد أن يكون فرنسيا. و هو يطرح هذه المسألة على خلفية أن مظاهر العداء لفرنسا تعددت وأن الهجرة هي السبب في ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، و الأخطر فيما يضن أن التهديد الإرهابي ونمو الخلايا الإسلامية ما هو إلا نتيجة للهجرة مثله مثل الصحافة المكتوبة و باقي وسائل الإعلام. كما أن أحداث الضواحي في نوفمبر 2006 وما صاحبها من مواجهات مع السلطات الأمنية ومن حرق للمؤسسات، تخفي حقدا دفينا لدى المهاجرين و المغاربيين على وجه الخصوص ضد فرنسا. و لا يتورع بعض

الساسة وبعض الصحفيين من الاستشهاد بمقابلة كرة القدم الودية بين الفريق الفرنسي والفريق الجزائري، حيث شوش الجمهور الجزائري و معه المغاربي بهتافات ضد النشيد الرسمي الفرنسي في بداية المقابلة، قبل أن يقتحم الميدان وينهي المقابلة قبل أوانها عندما كان المنتخب الفرنسي متقدما. لم ير هؤلاء في هذا الحادث سلوكا عاديا ألفته ساحات كرة القدم في كل أنحاء العالم، بل تم الارتقاء به إلى مرتبة الحقد على بلد بكامله والتلميح إلى ما يشبه الخيانة العظمى من طرف الفرنسيين ذو الأصول المغاربية. حتى أن الكاتب Alain franc la crotte المحسوب جزافا على النخبة المثقفة الفرنسية والمعروف بدفاعه غير المشروط عن السياسة الإسرائيلية، رأى في تصرف مشجعي الفريق الجزائري وكذلك في أحداث الضواحي الباريسية عنصرية ضد العنصر الأبيض في المجتمع الفرنسي . ووصل به الأمر إلى تمرير عريضة تندد بعنصرية المهاجرين المغاربة والأفارقة ضد البيض. إنها إستراتيجية تحويل الجلاد إلى ضحية المألوفة لدى هذا الكاتب ولدى الدوائر المحيطة به[91].

فالعلمانية (هذه القيمة التي تعتز بها النخبة الفرنسية) في نظر الصحافة مهددة بدورها من جراء الحضور المكثف للإسلام السياسي ولبعض التقاليد المنحدرة من الهجرة المغاربية المسلمة. و يستشهد دعاة هذا الموقف بأمثلة عديدة من بينها محاولة فرض الحجاب في المدارس الحكومية الفرنسية، أو اعتداء أحد المهاجرين المغاربة على طبيب كان يقوم بعلاج زوجته بدعوى أنه يحبذ طبيبة للقيام بذلك. و يمكننا أن نضيف هنا عناصر اجتماعية للهوية الفرنسية يؤكد عليها الخطاب اليميني باعتبارها نقطة تمايز عند المهاجرين المغاربيين.. منها مسألة تعدد الزوجات مثلا، فرغم قلة حالات تعدد الزوجات لدى الجالية المسلمة في فرنسا، وهذا راجع إلى ضبابية السياسيين في التعامل مع هذه المسألة الممنوعة قانونا، نرى بعض الكتاب والصحفيين والسياسيين يلحون على خطر هذا السلوك الاجتماعي على التقاليد الفرنسية[92].

[91] BATTEGAY Alain, 2001, *Les cultures incertaines des jeunes issus de l'immigration maghrébine*, In : *Hommes et Migrations*, 1231, mai – juin, pp. 5-14

[92] CESARI Jocelyne, KHOSROKHAVAR Farhad, 1997, *L'Islam des jeunes*, Flammarion, Paris, pp 65-21

لقد أصبحت مسألة العلاقة بين الهجرة والهوية الوطنية الفرنسية مختزلة في السؤال التالي: ماذا يعني أن تكون فرنسيا؟ والجواب عن هذا السؤال حسب الإعلام السياسي يكمن في تبني رموز الهوية الفرنسية مثل اللغة والعلَم والنشيد الرسمي، ثم العلمانية والنظام الجمهوري.. كل هذا في إطار حب ظاهر للوطن.

4.2.2.4. إقصاء الآخر لبناء الهوية الوطنية:

لمحاولة فهم طبيعة مسألة الهجرة والهوية الوطنية لا بد من تجاوز المستوى السياسي الفرنسي، لنتلمس امتداداته على المستوى الثقافي العام حتى خارج حدود فرنسا الجغرافية. فالمشكل الأول الذي طرحه المجتمع الفرنسي ممثلا برئيسه ساركوزي، هو هذا الربط غير المفهوم في نظرنا، بين الهجرة والهوية الوطنية. إذ نرى أنه مبني من ناحية على خلفية تهديد الهجرة للهوية الوطنية الفرنسية، ثم من ناحية ثانية على خلفية اختلاق تعارض بين الأنا (الهوية الوطنية) والآخر (هوية المهاجرين).

في إطار استعراض الظروف العامة لانتشار هذا الخطاب لا بد من استحضار نقطتين هامتين: تتمثل **الأولى** في نهاية الحرب الباردة التي ساهمت في تراجع النقاش الأيدولوجي والفلسفي النظري الذي كان يركز على إشكالية العدالة الاجتماعية ومفهوم الحقوق والحرية، باستبداله بنقاش حول الهوية الثقافية والخصوصية الوطنية . وقد أدى هذا في النهاية إلى تحييد جانب كبير من المفكرين النوعيين المبدعين في مجال الثقافة العالمية الكونية لصالح فئة جديدة من المفكرين التابعين للأجهزة الإعلامية وللسياسيين، وهم في الغالب مفكرون يولون أهمية أكبر للبرغماتية السياسية على حساب التفكير المتأني والإنساني. إذ أثبت التاريخ أن المزايدة الإعلامية و السياسية حول الهوية الوطنية ومحاولة بنائها المتشنجة تنتهي حتما إلى خطاب لإقصاء الآخر لأسباب ثقافية أو عنصرية. أما **الثانية** فمرتبطة بالنتيجة العكسية للعولمة، إذ بقدر ما ساهم توسع الاستفادة من وسائل النقل ومن انتشار المعلومات وبالتالي من تراجع دور الحدود الجغرافية والسياسية، نلاحظ في نفس الوقت تصاعدا لنوع من الانكفاء حول الهويات الثقافية

وحول القوميات.

بغض النظر عن الأبعاد السياسية لمبادرة ساركوزي حول الهوية يبقى الإشكال تقنيا بالأساس، لأن الوزارة مؤسسة لإدارة جانب من جوانب اختصاص الدولة، أي جوانب واضحة وقابلة للتقييم العددي، مثل التعليم، السكن، الشغل والخارجية وغيرها من مجالات الدولة. فهل الهوية الوطنية قابلة للإدارة العقلانية عن طريق وزارة حديثة؟. الجواب في راينا هو: لا، بالتأكيد، لأن الهوية الوطنية نتاج لتراكم التجربة التاريخية، فهي كمعطى تاريخي منفتح بالضرورة على الآخر، ومن المستحيل أن تنطبق هذه الهوية بشكل مطلق على الحدود الجغرافية والسياسية للوطن. و للخروج من هذا المأزق يجيب المعادون للهجرة و المهاجرين بأن الهوية الوطنية الفرنسية تعني، أولا تبني رموزها التاريخية التي أشرنا إليها في البداية. لكن بالعودة إلى هذه الرموز نرى أنها قبل أن تكون عناصر مكونة للهوية الوطنية، هي وسيلة لتشكيل صورة الآخر من خلال تمايزه الطبيعي عن الذات الفرنسية.

فالمتتبع للخطاب الإعلامي الفرنسي المُــلح على مفاهيم الجمهورية والعلمانية وحب فرنسا، ينتهي في كل مرة إلى الحديث عن المغاربة والمسلمين وعن صعوبة اندماجهم مع مبادئ الحداثة. ومن هنا جاءت بعض المطالب التي نرى على أنها قمة الغباء، لتطالب بضرورة تغيير الإسلام، وكأن تغيير أي دين متوقف على قرار سياسي يتم اتخاذه في لحظة ما. مثل هذا الموقف يحجب حقيقة بادية للعيان في فرنسا (على غرار المجتمعات الغربية الأخرى) تتمثل في التفاعل الإيجابي لجانب كبير من المهاجرين ذوي الأصول الثقافية الإسلامية مع محيطهم، وذلك باعتبارهم فاعلين اجتماعيين أكثر من كونهم مؤمنين بمبادئ عقائدية معينة. فالتفاعل العفوي والإيجابي لقسم كبير من المسلمين مع الوضع العلماني يمر في صمت، لأن إبرازه يلغي صورة الثقافة العربية المغاربية و الإسلام كآخر نقيض للأنا الأوروبي. نضيف إلى ذلك أن تحديد الهوية الوطنية الفرنسية في بعض العناصر يلغي تنوع المجتمع الفرنسي نفسه، إذ باعتبار الثورة الفرنسية جزءا من التراث المكون للهوية الوطنية الفرنسية، ينتهي حتما إلى إقصاء سكان الأراضي

الفرنسية في كاليدونيا الجديدة وفي جزر المحيط الهندي والأطلسي التي ليست لها علاقة مباشرة بهذه الثورة.

لقد أثبت التاريخ أن المزايدة السياسية حول الهوية الوطنية ومحاولة بنائها المتشنجة، تنتهي حتما إلى خطاب لإقصاء الآخر لأسباب ثقافية أو عنصرية. فالخطاب حول الهوية الوطنية يبقى في النهاية شكلا من أشكال التمزق الثقافية.هذا التمزق بين الأصليين والأجانب، ظهر كتهديد لتماسك هوية البلد المضياف، إذ أصبحت وحدة الهوية وهمية، فالإدراك الحسي «الفرق الثقافي» يُدعم بصفة إيجابية حينما يحمل المهاجر علامات بيئته كلون بشرته مثلا، أو العلامات الخارجية لمظهره التي تظهر دينه، وفي نفس الوقت يظهر كذلك إندماجه الناجح القادر، ليعطي شكل جديد للمعايشة و الاندماج. و حين لا يستطيع المهاجر مثلا التحكم في لغة الوطن المضياف يوصف بصفة غير المرغوب فيه، ليجد نفسه دني في صف الأجانب «الشعب الوطني الذي يحاول التخلص من المهاجر و يهدف تحقيق ذاته» ليعطي شكل مختلف للمعايشة. ففي 1995 و في مجلة «Le Figaro Magazine» غطى الصحفي هنري بويز HENRI bouiz الحدث بطرح التساؤل «ماذا نصبح نحن الفرنسيين بعد 30 سنة؟» و لخص مقالته في أن الجيل الثاني للمهاجرين المغاربيين لا يشعرون بالإنتماء الفعلي إلى المجتمع الفرنسي، فهم يعتبرون أنفسهم دخلاء عليه، وامتد هذا الشعور إلى كل الشباب الساكن أطراف المدينة وكذا كل من هو ذو أصول غير فرنسية ومسلم[93].

إختلفت الآراء في دراسة فكرة الهوية و تعدد الثقافات من طرف الصحافة المكتوبة التي غلبا ما اعتمدت في معالجاتها على الطبع الحدسي التجميعي، و يخص المجموعات الإسلامية، فالصحافة المكتوبة لا تذكر إلا سلبيات المهاجرين المسلمين، بينما نادرا ما تتحدث عن إيجابياتهم .فهي تتحدث دوما عن المشاكل اليومية والمشاريع الفاشلة والطموحات و الحدوس و التخمينات للمجموعات المهاجرة المقيمة منذ سنين، فالظاهرة مربوطة بعدم تواجد الأمن و التبعثر الاجتماعي، وفيها المهاجر ينتهي دوما بكونه شخص دخيل. و هنا،

[93] EVA Fares Y, 1999, *Les processus d'assignation identitaire des jeunes issus de l'immigration*, Thèse, Paris I- Panthéon - Sorbonne

المهاجرين في موقع هام لتهديد ثقافي يصل بالضرورة إلى تدعيمهم المتبادل في قياس الأقلية العرقية الدخيلة بدينها، ولغتها، وقيمها غير المفهومة وثقافتها الأكثر عرضة للإقصاء من طرف هوية المجتمعات المضيافة .فالتهديد مقدم ومسبق للمجموعات المسلمة المتواجدة على التراب الوطني الفرنسي[94].

3.2.4. الموضوع الاقتصادي الاجتماعي:

أوجد الإعلام الفرنسي، الهجرة أمام خطورة المشاكل الاجتماعية المعاصرة. فأصبحت مُلزمة على التبرير، أو بصفة أخرى مطالبة بالسيطرة على ما هو معروف حاليا بكونها المشكل الاجتماعي الكبير في نهاية أعوام القرن الماضي. إن للمهاجرين المغاربيين عدد وافر من المشاكل الاجتماعية التي يعانونها و التي تتسترها الحوارات الإعلامية. ففيما يخص سير القانون الدولي للمهاجرين المغاربة، فقد أصبح شيئا فشيئا مُلِحًا على الخطاب الإعلامي الذي جعل من المجموعات المهاجرة وما تبعها من أجيال، ظاهرة اجتماعية خاصة و متميزة بما تعيق المجتمع الفرنسي، أي أن الأشكال المختلفة للانحطاط الاجتماعي و الاقتصادي أصبحت تصب للمهاجر المغاربي كونه الأقل اندماجا، و جعلت منه تهديدات حقيقية للمجتمع الفرنسي، واقعة في صلب عملية دائرية (processus circulaire) مزودة بكثرة الحوارات لرجال سياسة أخصائيين في إدارة أمن وسائل الإعلام. فصورة المهاجر المشبوهة أصبحت تدريجيا مفروضة عليه بوضوح، فكل هذه العوامل أدخلت المهاجر في لولب حلزوني، لولب أخفى كل السمات الحسنة للمهاجرين من خلال الصحافة التي ركزت بصفة خاصة على التقديمات السلبية للجيل الثاني من المهاجرين المغاربيين، كونهم دوما السبب الوحيد للعنف المدني، التسرب المدرسي، المخدرات، العجز الاقتصادي، بل يتعدى الأمر إلى كل النشاطات المتعلقة بالإجرام في معظم الحالات كالإرهاب مثلا.

كانت الصحافة المكتوبة دوما مدافع قوي ضد القيم الإجتماعية للمغاربيين المُهدِّدة من خلال طريقة تقديم الصحافة المكتوبة لهم، فلم يعد العداء

[94] Alain Battegay, Ahmed Boubeker, *Des Minguettes à Vaulx, fractures sociales et discours publics,* In Les Temps Modernes, janvier 1992

محجوب، و كان للتهديد المُنعَت من طرف هذه الأخيرة، أشكال عديدة في تقديم المغاربيين للبلد المضياف، وهو يقدم على أنّه خطر وشيك الوقوع، فالقارىء للصحافة الفرنسية نادرا ما يقرا مقالات أو تقارير تتطرق إلى ما تعانيه الفئات المهاجرة في حياتها اليومية من الجانب الاقتصادي و الاجتماعي رغم أنها أزمات لا يمكن تجاهلها، كون المهاجرون يمثلون عشر المجتمع الفرنسي، فالصحافة المكتوبة تنشأ وتتضمن بدورها صف الدفاع ضد القيم الإجتماعية المُهدِّدة لقيم البلد المضيف، لترمي بعد ذلك جملة من العوامل لأجل ترحيل المهاجرين غير الشرعيين كما الشرعيين إلى بلدانهم الأصلية، بتطبيقهم لضغوطات أمام الدولة لأجل تعزيز حماية الشعب الفرنسي معتمدين في ذلك على سياسة الإقصاء الثقافي الذي عادة ما يتبع بإقصاء اجتماعي واقتصادي. ولعل تجاهل الإعلام الفرنسي بصفة عامة و الصحافة المكتوبة بصفة خاصة و كذا رجال الدولة من مسئولين و صانعي القرار للحالة الاجتماعية و الاقتصادية الكارثية التي يعيشها المهاجرين، و تركيزهم فقط على مخلفات هذه الوضعية من انحراف و تسرب مدرسي و جريمة، هو ما جعل الكره ينشا في قلوب الفرنسيين اتجاه المهاجرين. كره تجسد و منذ زمن المراحل الأولى التي مرت بها الهجرة المغاربية إلى فرنسا، في سياسة ادماج المهاجرين، اذ تم تجميعهم في غيتوهات شبيهة بأجواء أوروبا ما قبل الحرب العالمية الثانية، والتمييز المُــمارس في توزيع الخدمات الاجتماعية والصحية والتربوية، والتمييز في حق الشغل الذي من المفترض أن القانون الفرنسي يضمنه للجميع، عكس الوجه الآخر لإشكالية سياسة إدماج المهاجرين بفرنسا، فأسطورة الانتماء للأمة الفرنسية لا تجد لنفسها مكانا في تصورات المُــشغلين الذين يفضلون تشغيل أشخاص يحملون اسم Jaques أو Robert أكثر من قبولهم بمحمد و عبد الله. ولا في تصورات مسؤولين من قبيل الوزير السابق المفوض بشؤون التعليم المدرسي لدى وزير الشباب والتربية الوطنية والأبحاث Xavier Darcos الذي صرح يوما «من لا يرغب في الجمهورية الفرنسية فليغادرها»، أو ممثل المجتمع الفرنسي، رئيس الجمهورية ساركوزي الذي يحلم بتنظيف فرنسا من الحثالة بمستحضرات التنظيف و يقصد بهم فئة المهاجرين. و

في نفس سياق الجانب الاجتماعي، وفي تقرير المجلة Hommes & immigrations يقترح ثلثي الفرنسيون، الإلغاء الكامل و الفوري لسياسة الرعاية الصحية والاجتماعية المجانية للأجانب على اختلاف أصولهم بفرنسا، وعلى المهاجرين الذين يريدون الاستقرار الاجتماعي، الاقتصادي و الثقافي بالبلاد أن يعولوا على أنفسهم لأن امتيازات البلاد يجب أن تذهب للفرنسيين أولا و أخيرا. فهل يا ترى إن عول المهاجر على نفسه، فهل يجد له عمل أو سكن أم حتى مكانة اجتماعية محترمة؟[95] .

فالجالية المغاربية في فرنسا هي اكبر الجاليات في فرنسا من حيث الحجم، كما أنّ عائلات المهاجرين متعددة الأفراد وهي بذلك عامل أساس في تنشيط حركة الاستهلاك والانتعاشة الاقتصادية، وتكفي الإشارة إلى تقرير المجموعة الأوروبية في بروكسل عام 2001، فإن المهاجرين يساهمون بـــ (14.7%) من الناتج المحلي الإجمالي بفرنسا. وعندما يُسأل لوبان عن كيفية معالجته لهذه المعادلة في برنامجه: طرد المهاجرين في الوقت الذي يساهمون كغيرهم في الاقتصاد الفرنسي؟ يجيب بأن المبالغ التي يدفعونها توضع في صندوق خاص للتوفير بهدف الإعداد للعودة النهائية إلى البلد الأصلي حسب برنامجه، والحال أن فرنسا هي البلد الأصلي للجيل الثاني و الثالث للمهاجرين، وأن ما يسمى بلدانا أصلية، عربية وإفريقية، مجال حيوي للاستثمارات الفرنسية وللحضور الفرنسي الثقافي والاقتصادي والسياسي والعسكري. وفي غياب موقف سياسي شجاع يقوم على النقد الذاتي، والبحث عن كبش فداء للعجز الحضاري الذي سقطت فيه فرنسا، يسعى هذا التيار العنصري إلى إلقاء مسؤولية أزمات المجتمع على «الأجانب» عامة و «المغاربة» خاصة، متناسيا أن المهاجرين وأبناءهم -الذين يحمل جلهم الجنسية الفرنسية - هم ضحية الاستغلال والتهميش، وأنهم يعانون أوضاعا اجتماعية واقتصادية صعبة. اذ لم يقتصر التهميش على فئات الشباب بل طال الإطارات والنخبة المثقفة المغاربية[96]. فـــلقد صاحبت هجرة

[95] SAYAD Abdelmalek., 1991, *L'immigration ou les paradoxes de l'altérité*, Préface de Pierre Bourdieu, De Boeck, Bruxelles

[96] NOIRIEK Gérard, 1988, *Le creuset français. Histoire de l'immigration*, Éd du Seuil, Paris, 1992

اليد العاملة من المغرب إلى فرنسا و منذ مراحلها الأولى، هجرة من صنف آخر تتمثل في هجرة العقول أو ما يسمّى بالكفاءات العلمية والفكرية، وفيهم نسبة من المهاجرين لأسباب سياسية. وهذه الكفاءات وجدت صعوبات جمة لاختراق جدار الإقصاء، وتعرضت للإستغلال، ويتجلى ذلك خاصة في القطاع الصحي، حيث يضطر الأطباء من أصل أجنبي إلى العمل في ظروف أصعب في الدوام الليلي وفي العطل رغم أن تخصصات بعضهم تؤهلهم لرئاسة أقسام طبية في المستشفيات. كما أن نسبة من الطلبة الجامعيين من أصول مغاربية غير الحاصلين على منحة، يضطرون إلى القيام بأعمال مرهقة وغير مناسبة لمؤهلاتهم العلمية وإهتماماتهم، مثل الاستقبال في الفنادق ليلا وغسل الأواني في المطاعم وحراسة المؤسسات..الخ من أجل تغطية مصاريف دراستهم العليا في الجامعات الفرنسية، في ظل غياب سياسة تشجيع الطاقات والكفاءات العربية-الإسلامية التي تضطر إلى الهجرة[97].

لم يرضخ أبناء الجالية المغاربية لوضع الإقصاء والتهميش. فهناك العديد من المؤشرات التي تدل على أن التحديات دفعتهم إلى الاعتماد على الذات، وشق طريق الكدح، وإبراز الكفاءة على أرض الواقع ببذل جهود فردية وجماعية. فأقيمت مشاريع حرة في عدة مجالات واختصاصات مثل المؤسسات التجارية والحرفية والتوريد والتصدير والاستثمار ودور الطباعة والنشر والمكتبات ووكالات السفر ومقاولات البناء والإعلام والهندسة المعمارية، إلا أن مجالين بقيا مقفلين على الأجانب وهما: إنشاء بنوك أو فتح مؤسسات تأمينية. ويصعب تحديد عدد هذه المؤسسات الخاصة، لأن النظام الفرنسي يمنع الإحصاء على أساس عرقي أو ديني، ولكن المتجول في أحياء عربية في باريس ومدن فرنسية كبرى مثل ليون ومرسيليا، يلاحظ نمو مثل هذه المشاريع الحرة التي تنمو عن وعي اقتصادي في صفوف الجالية العربية، وإرادة قوية في التحرر من قيود التهميش والإقصاء[98].

---

[97] « Vie associative et immigration : entre mobilisation et participation, 2000-2001, *Migrances hors-série*, 17-18, Actes du colloque organisé par le FASILD, 8 oct. 2001

[98] LAMCHICHI Abderrahim, BAILLET Dominique, 2001, *Maghrébins de France Regards sur les dynamiques de l'intégration*, Confluences Méditerranée, N°39

ما نلاحظه في مذكرة شهادة دكتوراه عبد الحميد بديودي[99]. أن صورة المهاجرين السلبية ليست جديدة أو حدث الساعة، فالصحافة المكتوبة المؤَهَّلة في القانون تعكِس صورة جد سلبية للمغاربة لما ينسب إليهم من سلبيات في الماضي، الوقت الحالي و ربما المستقبل، كما نلاحظ قِلة المقالات والأشرطة التي تعالج نجاح الشاب سليل الهجرة في حياته، كرجال الأعمال، و رجال العلم، أو كالشبان الرياضيين الذين نجحوا بدورهم، مثل زين الدين زيدان، بن عيسى درموش، وكذا جمال بوراس. إذ بتأثير الإعلام إتّخذ الشباب من الرياضة كعامل لإجتناب الوقوع في فخ الإنحراف الإجتماعي، ككرة القدم والملاكمة الأمريكية. ليطرح الصحافيون التساؤل: إذ لم توجد الرياضة، هل كنتم تقعون في الجرائم و الانحراف ؟. مما سبق نستطيع الإستنتاج بأن المهاجرين المغاربيين لا يصلحون في أعين الصحافة إلا حين يُبُرِعون، ويتفوقون، لذا فالإعلام الفرنسي فشل في إعطاء صورة شاملة ولامّة لكامل فئات المجتمع الفرنسي بإختلافه الإجتماعي المتعدد الجنسيات، وأقلياته المهمشة، أين لا يلعب الشاب سليل الهجرة إلا الأدوار المرئية السلبية في المجتمع الفرنسي. فقد نجِد كتاب و ممثلون من أصول مغاربية في الإعلام الروائي المكتوب الفرنسي (رشدي زوم، سامي بوعجيلة، سامي نصيري، و غيرهم من المشاهير العرب) لكن ما هي الأدوار التي تقترح لهم؟ فحين يلعبون دور البطل «إيجابي» يُنْعَتُون ذا وضعيات إجتماعية جيدة أين يحملون أسماء فرنسية بحتَة، لكن حين يلعبون أدوار عنيفة أو ثانوية، فـــتـــُنسب لهم وضعيات إجتماعية مزرية كتلك التي يعيشونها حقيقة. فنادرًا إن لم نقل أبدا ما صُوِّر سليل الهجرة المغاربية في مكانة إجتماعية، ثقافية راقية بإسمه العربي ودينه الإسلامي

أما من الناحية الاقتصادية فيرى الفرنسيون أن نتائج الهجرة وأعباؤها كارثية على الاقتصاد الفرنسي، فمرتبة فرنسا الاقتصادية في المجموعة الأوروبية تراجعت من المرتبة الرابعة قبل 25 سنة لتحتل الآن المرتبة الـــ11، وارتفعت نسب البطالة في صفوف الفرنسيين لتصل إلى 9% ليبلغ عدد الفرنسيين العاطلين

[99] BDIOUDI Abdelhamid, 1995, *L'image de l'Arabe et des musulmans dans la presse écrite en France, entre 1967 et 1984*, Thèse de doctorat en sociologie, Université Lyon Jean Moulin

عن العمل ما يعادل مليون و مائتي ألف شخص. لكن ما لم يتطرق إليه الفرنسيون في هذا التقرير، أن معظم البطالون في فرنسا ينحدرون من أصول مغاربية. و أرجع الفرنسيون هذا التراجع إلى الهجرة وسلبياتها، إذ يعيش 7 ملايين فرنسي اليوم بأقل من 700 اورو شهريا، بينما الدخل الأدنى هو حوالي 1000 اورو، وبينما يتمتع المهاجرون حسب رأيهم بمزايا السكن الاجتماعي، كونه للسكان الأكثر فقرا، فإن غالبية الفرنسيين يعيشون في مساكن إيجارها باهض الثمن، ومعظم المشردين الذين يموتون كل شتاء هم من الفرنسيين الأصليين. و من هذا المنطق يجب أن يفهم الفرنسيون أن الفئات المهاجرة استفادت من السكن الاجتماعي و التغطية الصحية و غيرها، نتيجة لما تعاني منه من فقر، ناتج عن بطالة الشباب سليل الهجرة بسبب لإقصائه من المجتمع الفرنسي من جميع نواحيه. فهو مقصى من الحصول على وظيفة يؤمن بها حياته، مقصي من الحصول على سكن لائق و محترم.. الخ. ومن أجل وقف ما يسمونه حالة الانهيار في الاقتصاد الفرنسي، اقترح الفرنسيون التكثيف من سياسة مراقبة وثائق هوية الأجانب بشوارع فرنسا، وترحيل غير الشرعيين منهم فورا، وبالنسبة للمهاجرين الشرعيين إن هم أرادوا البقاء في فرنسا، فيثبتون انصهارهم، لا اندماجهم و ولاءهم الكامل لقيم الجمهورية، وعدم ارتكابهم مخالفات أمنية. كما اقترحوا الوقف الفوري لسياسة منح الجنسية الفرنسية إلى الأجانب، بل منهم من يرى أن إغلاق الحدود مع الدول المغاربية هو أفضل حل لاحتواء مشاكل الهجرة من الجانب الاقتصادي و الاجتماعي، والتخلي عن سياسة «شنڤن» الأوروبية التي سمحت للمهاجرين في الدول الأوروبية الأخرى بالعبور بسهولة إلى فرنسا.

4.2.4. الموضوع السياسي:

اظهر استطلاع للرأي نشرته مجلة Hommes & immigrations في عدد شهر مارس 2007 في فرنسا، أن (51%) من الفرنسيين معارضون لإدماج و استقطاب الفئات المهاجرة، خاصة ذوي الأصول المغاربية التي كانت في آخر سلم الفئات المرغوب بها بالنسبة للفرنسيين غير المعارضين، إذ يرى المعارضون

أن المهاجرين هم سبب التعثر الاجتماعي، الاقتصادي، الثقافي و خاصة الأمني للمجتمع الفرنسي، في حين يؤيد (47%) ما أصبح يعرف بالهجرة المختارة أي اختيار فئة للمهاجرين وفقا لمعايير محددة بشكل يتناسب مع حاجات البلاد و التخلي عن من لا حاجة لهم به.

وبعد المواضيع الاجتماعية والاقتصادية التي طبعت أحداث باريس و كذا الذكرى الأولى لهذه الأحداث، عاد موضوع الهجرة ليتصدر النقاشات الإعلامية، السياسية والمهرجانات الانتخابية واللقاءات الإعلامية للمرشحين على غرار ما كان يحصل في الحملات الانتخابية السابقة. إذ أن المهاجرون مقصون في معظم الحوارات الإعلامية، لكن قصد جلب أصواتهم كان الساسة و رجال الإعلام يمنحون هذه الفئات المهاجرة مساحات كبيرة و طويلة في نقاشاتهم، إذ يتفق الجميع و يــقر و يعترف بالمأساة الاجتماعية الاقتصادية و حتى الثقافية التي تعيشها هذه الفئات، و عادة ما يتقدم المرشحين بزيارات ميدانية إلى سكان أطراف المدن أين تتمركز الجاليات المهاجرة، و على رأسها الجالية المغاربية، و يسارعون في تقديم الحلول و الوعود التي من شانها تخفيف حدة مأساتهم. لكن، بمجرد وصول المرشحين إلى الكرسي، يصبح ملف الفئات المهاجرة و ما تعيشه من مشاكل و أزمات أمر مطوي.

الوجه الجديد لنقاشلت الحملات الانتخابية الرئاسية لــ 2007، كان اقل نفاقا عن سابقاته، إذ أن موضوع الهجرة أصبح يغلب على أمثلته من المواضيع الاقتصادية و الاجتماعية و غيرها. حيث ابرز بعض المرشحين كساركوزي و لو بان و غيرهم، نظرتهم الحقيقية المعادية للهجرة على اختلاف أنماطها و أصولها وغيرها. فكان خطابهم واضح غلب عليه العداوة، الكره و الإقصاء.

وقد أطلق مرشح حزب الجبهة الوطنية اليمين المتطرف جان ماري لوبان الجدل حول السياسة الواجب إتباعها تجاه المهاجرين وهو المعروف باختياره الدائم لهذا الموضوع كعنوان رئيسي لعمله السياسي. وفي لقاء انتخابي في مدينة مرسيليا التي تضم اكبر تجمع للمهاجرين خصوصا المغاربيين، مما دفع بالبعض إلى القول أنها أول مدينة عربية في فرنسا، هاجم لوبان بعنف مرشح

حزب اليمين الحاكم وزير الداخلية الأسبق نيكولا ساركوزي واتهمه بأنه احد كبار المروجين لما يعرف بالهجرة الايجابية وبالهجرة المنتقاة. وهما نظامان جديدان لهجرة قديمة تعطي الأفضلية في فرنسا للغرباء وليس للفرنسيين أنفسهم وتؤدي إلى استقطاب المزيد من المهاجرين ودعا لوبان إلى محاربة الهجرة غير الشرعية كما الشرعية، من دون هوادة لان فرنسا التي استقطبت 10 ملايين شخص من أصل مهاجر خلال السنوات الثلاثين الماضية لم تعد قادرة على استيعاب المزيد.

نيكولا ساركوزي الذي ادخل موضوع الهجرة في صلب حملته الانتخابية اعتبر أن المواطنة الفرنسية تستوجب من طالبها إتقان اللغة الفرنسية وممارسة التقاليد الفرنسية وتبني الثقافة الفرنسية واحترام القانون الفرنسي وان لا مكان في هذه المواطنة لتعدد الزوجات وعصيان النساء أو ضربهن. و قال أن فرنسا هي دولة قانون وكل من يحترم قانونها مرحب به ومن لا يحترمه فهو غير مرغوب فيه و لو كان يحمل الجنسية الفرنسية. فساركوزي الذي كان وراء تشديد قوانين الهجرة ووضع تشريعات جديدة حول جمع شمل عائلات المهاجرين دعا إلى اعتماد الهجرة الانتقائية وفقا لحاجة المجتمع الفرنسي وقطاعات العمل ولمدى قدرة سوق العمل على امتصاص الوافدين الجدد ولكن ذلك لم يمنحه على ما يبدو ثقة الفرنسيين في هذا المجال إذ أن (29%) من الفرنسيين يعتبرون أن ساركوزي قادر على معالجة هذا الملف الشائك وهو مشكلة الهجرة.

3.4. الكلمات والصور:

الإبتذال التافه لإقصاء الأقليات و العنصرية، أو بالأحرى كُره الأجانب، يدين كثيرا لأصحاب الرأي العام، وسائل الإعلام الكبيرة، الصحافيين، و المخرجين، فرجال الإعلام و المثقفون الإعلاميون يحفزون على كره الأجانب لنقص المسؤولية الأخلاقية لديهم وهذا لا يكفي لتبرير تقديماتهم لجاليتنا المغاربية للعالم الإجتماعي و السياسي الذي فقد الثقة في المغاربيين. يصِفُ OLIVIER NOEL دور المُقدمين الذين يستثمرون الفراغ السياسي عن طريق الخطاب السياسي الذي يُرجع الخوف أو التصوُّر التخيلي الجماعي، بسيطرة دور وسائل الإعلام على هذه التقديمات، التقديمات التي قادت إلى الجمع بين كره الشباب سليل الهجرة

المغاربية (شباب أطراف المدينة) بكره الشباب العنيف. فإدراك الفرق بين الفِئتين يُلخص تقديمات سلبية ليست لصالح فئة شباب سليل الهجرة[100].

يرى الكاتب المغربي طاهر بن جلون: أن الصورة المُنعِتة للمهاجر في الصحافة الفرنسية، صورة منكمشة، غير أن LORENZO أشار بأن النظرة التي قدمتها الصحافة فيما يخص المهاجر مملوءة بالصور السلبية المدمجة بين الهجرة والمشاكل الاجتماعية من انحراف و كل ما هو لا أخلاقي، وهي لا تبين إلا الشقاق والنازع والأخبار التافهة و الدعاية المغرضة[101].

وبصفته واحد من أهم الرسائل الصحفية المكتوبة فالرسم الكاريكاتوري كان دوما صورة عاكسة لوضعية المغاربيين. فهو يتأثر بصفة مباشرة بموضوعات الساعة المدروسة، فالحق الإعلامي الكاريكاتوري محكوم بقوانين رجال السياسة (أي محاولة توجيه الرأي العام مما يحتويه الرسم الكاريكاتوري)

صرح BORDIEU بأن الكلمات سيطرت على عالم الصورة، فتولدت لديها الرغبة في إعادة تشكيل كل الكلمات، كلمة بكلمة، الحال الذي نجده في الخطابات الصادرة عن أقلام الصحافيين المختصين، الذين يأخذون دوما الطابع الساذج دون أن تكون لديهم أية فكرة عن صعوبة وخطورة تأثير أفكارهم على مستهلكي وسائل الإعلام. فالصورة لا تعني شيئا دون الكلمات التي تصاحبها. فما مدى إرتباط الصورة بالكلمة؟[102].

نعتقد أن عناصر أجوبة الإشكال السابق طرْحُهُ، تتجسد في المجتمع الفرنسي نفسه، مع ثقافته الإستعمارية التي جعلت منه المحيط الملائم لنقل الأحداث لتكوين ثقافة موجهة وهادفة. و نضن بأن عناصر الأجوبة موجودة في المجتمع الفرنسي، لأن هذا ومع الثقافة الإستعمارية، هؤلاء الوطنيين الجمهوريين يُكَوِنُون المحيط الملائم لنقل وتجديد ثقافة واسعة. فالصورة والكلمة شاركتا في نقل الأحداث العاكسة للتوافق العرقي.

---

[100] NOÊL Olivier, 2000, *La discrimination fonctionne comme un système*, La découverte, paris

[101] PRENCIPE Lorenzo, *l'image médiatique de l'immigré : de stéréotype à l'intégration.* Migration & société, n° 42 Novembre Décembre 1999

[102] BOURDIEU Pierre, *1996, sur la télévision, liber, raison d'agir*, Paris

4.4. معالجة الأحداث:

أخذت تقديمات الشعوب سليلة الهجرة المغاربية عدة أشكال من خلال أحداث العشرية الأخيرة. فيجب النظر أولا و بصفة أولوية في تطور المعالجة الإعلامية للصحافة المكتوبة المحلية للهجرة، أين أصبحت المصلحة الخاصة لأجهزة الإعلام مربوطة بكلمات ذات منطلق خاص فأظهرت الصحافة أهدافها بصفة مباشرة و عدائية و ميولات واضحة و كبيرة في توجيه الرأي العام الفرنسي[103].

إذا كان دور الصحافة المكتوبة الفرنسية دور توجيهي، فالأحداث التافهة المتعلقة بالهجرة والمهاجرين تبقى من أهم العناوين الموجهة للرأي العام. لنذكر على سبيل المثال ما حدث في مدينة ليون عام 2003 حيث منع ثلاث فتيات من مزاولة دروسهن كونهن يرتدين اللحاف الإسلامي. فعولج الحدث أولا من طرف الصحافة المكتوبة اليومية المحلية لمدينة ليون. ونُعِتْن الفتيات بأنهُّن «ساقطات» في وجهة نظر الصحافة، ليتسع الإهتمام بالموضوع و تكبر دائرة انتشار الحدث إلى الصحف الوطنية، ثم إلى ذات الطابع العالمي. و إختلفت المعالجة للموضوع من صحافي لآخر، بين مؤيد ومعارض بما تمليه المصالح والآراء الشخصية لكل صحافي. حيث أصبح سكان أطراف المدينة الليونية الفرنسية المادة الأولية للعناوين الرئيسية للصحافة، وأيضا محل للمنافسة الحادّة بين العناوين المنشورة المحلية، (Le Progrès –Lyon Matin) و كذا الصحافة العالمية كـــ (Le Monde – Le Figaro – Liberation) . وبهذا الإهتمام البالغ للمسألة، تعدّى حدث الفتيات مكانة الأحداث التافهة ليصبح مسألة رأي عام ذا طابع عالمي وكذا سياسي، إستلزم تدخل أهم كبار مسؤولي الجمهورية الفرنسية وكذا العالم العربي الإسلامي. فـــتنافست أكبر أجهزة الإعلام على معالجة الحدث من خلال عناوينها الكبيرة التي لعبت دورا على الفِعلية الوطنية من جهة، والمعالجة الفعلية من جهة أخرى. و كون تطور الحدث جعل منه حدث وطني حساس، ربط بالمهاجرين المغاربيين و كذا المسلمين بصفة أو بأخرى.

[103] BATTEGAY Alain, BOUBEKER Ahmed, 1992, *Des Minguettes à Vaulx, fractures sociales et discours public* , in : Les Temps Modernes, janvier 1992

في الأخير نشير أن مثل هذه الأحداث أنشأت نقاط قوية ومكثفة في المعالجة الإعلامية للهجرة والمهاجرين، حيث تركت أثَر « قالب» في حكايات وروايات الصحافة المكتوبة، إلى حد جعل (العنف، اللأمن، الخوف، الإنحراف..) مراجع ضرورية لازمة في تصوير كل ما يتعلق بالجيل الثاني من المهاجرين المغاربة في فرنسا. فخلال العشريتين الأخيرتين شكلت الهجرة ملجأ للحذر الإعلامي، لكن هذا الإهتمام لم يأخذ شكل واحد. فتدفق الحوارات التي تخص المهاجرين أدى في لحظات إلى إتساع الهوة في المعالجة الصحافية بين مؤيد ومعارض، بينما في لحظات أخرى إختفت الهجرة تقريبا في الحوارات الإعلامية.

عرفت الأحداث والمواضيع التي تدور حول هذه الهجرة باللأمن المدني و الاجتماعي، العنف المدني، وتلك التي تتعلق بالسلم الإجتماعي في مجتمع متعدد الثقافات، فهو يواجه صعوبات لإندماج ثقافة الإسلام والشعوب العربية المسلمة. فصُورِت أحداث المتعلقة باللحاف الإسلامي مرورا بأحداث باريس والضواحي إلى أحداث الكاريكاتورات المصورة للرسول صلى الله عليه وسلم، في قالب واحد كان جد سلبي. فكانت المراسلات بين حدث رمزي ونوع من علم البيان. إذ إتّضح جليّا أنه قد قُدّم حكم خاص مسبق سلبي للهجرة في جوف الإعلام الفرنسي، وُضعت فيه الأحداث الشعبية للهجرة، في شكل مصفوفة ملائمة كموضوع حالي متجدد، يتمثل في جدل شعبي تلعب أدواره الأولى الصحافة المكتوبة، إذ لا يختلف المنشطين الصحافيين وصانعي الحدث الإعلامي في التعليقات والتوجيهات الإفتتاحية في تغطيتهم الإعلامية لهذه الأحداث في مجموع الصحافة المكتوبة المهمة. فالصحافة لا تستطيع القول للناس ما يضنوه، لكن تستطيع أن تملي على الرأي العام ما يجب أن يُضَنّ[104].

[104] BREGMAN Dorine, 1989, *La fonction d'agenda : une problématique en devenir*, Hermès, 4

5.4. المهاجرين المغاربيين: رواية إعلامية وحركة إعلانية:

إتّحدَت كل التحليلات المتعلقة بالهجرة و المهاجرين لتوحيد الصورة المُنْعِتة للنشاط الخاص المتعلق بالإعلانات، فتطوُر الأحداث يأخذ دوما شكل عام و موحّد، و عادة ما يوصف بلفظ موحد من طرف الأنباء الإعلامية (حادثة، حدث وطني، مظاهرات الطرقات، بيانات سياسية...) فهو بالنسبة لهم وصف شرعي يجوز تكراره و تعميمه بصفة شاملة.

الذي زاد الطين بِلة، هو العمل الصحفي الفرنسي الذي لا ضمير له. فلِمصلحة خاصة يقوم هذا الأخير بإفتعال الأحداث و تضخيمها من خلال خطاباته الشعبية، الشيء الذي يعطي ويقدم إلى روايته المألوفة الخاصة، هيكل أصلي و كذا قالب واحد لا يختلف رغم إختلاف العوامل الأخرى في تحرير الحوارات، وأخَذَ الكلمات المكررة له هيكل لتُقَدَّم كتقارير مفصلة للأحداث، فأنباؤهم كصحافيين ليست إلا إعادة للتسلسل الملعوب والمُمَثل الذي لا يُلَخَّص إلا بتقارير مفصلة للأحداث السابقة[105] و على حد قول Tuchman. « إنها إعلانات شعبية أصلية مبتكرة، تبني وتكِوِن الحاضر الذي هو الشيء نفسه لكل عمل الصحافة المكتوبة»[106] .

أصبحت الصحف رهينة للأحداث المُعَالجة، حيث وضعت مكان لتكرار الأحداث الشعبية، وأحدثت فيها تطور وتبديل أمام جمهور عريض من القراء و المتفرجين وقع في فخ أصحاب المصالح من إعلاميين و غيرهم، أين إستطاعـــت هذه الصحف التدخل من جديد لتبرير شرعية وملائمة حِواراتها. فتطور الأحداث عهِدَ من جديد إطار تساهمي يسمح بإمكانية اللجوء إلى طريقة جديدة لإعادة توزيع إلتزامات عوامل الأحداث الجارية.

تُمهِد وسائل الإعلام والإعلانات الصحافية بصفة خاصة لمجادلة «حرب كلامية» حول الأحداث التي صُوِرت في آن واحد بعدة أساليب، تحت العديد من التِكرارات والتقديمات. فتغطية الهيجان الشعبي بـــ VAULX EN

[105] GOFFMAN Erving, *1991, Evénement et sens de l'immigration,* in raisons Pratiques, n° 11, Paris.
[106] Tuchman Gaye, 1978, *Making News: A Study in the Construction of Reality,* the free presse, London

VELIN أين عبرت تصرفات المُخَربين عن علامات خيبتهم كمهاجرين، بعد رفض الدولة بناء مشروع مسجد بمدينة ليون، فكان الخراب ناتج بعد فشل كل الطلبات الرسمية و المساعي السلمية، و كذا إلحاح الفئة المسلمة على بنائه، كونه وسيلة تلاحم و إئتلاف ومأوى كامل للإندماج الشعائري و روح التسامح ورمز الحضارة الشرقية. إلا أن العمل الصحفي عمل على إشهار الحدث كحدث عام فعلي، و كان ككل المرات قاسيا على المسلمين دون الإلتفات و لو لمرة واحدة للإنشغالات العامة لهذه الأقلية التي فجرت غضبها في بناء مسيرة (La Marche des beurs) عام 1983 بباريس و كذا أحداث باريس و الظواحي عام 2005.

ما نريد إظهاره في واقع الأمر هو الزيادة الفائقة في حجم بعض الأحداث و تضخيمها بعدة عناوين مختلفة لحدث يتحقق بطريقة لها معنى واحد بسبب واحد و هدف واحد، فالتعميم على كل أفراد الأقلية في هذا المعنى، و الصعود في تطور المسألة هو إعادة صنع الحدث. و النابض الوحيد لإعادة صنع الأحداث هو الصحافة المكتوبة بلا شك، فهي لا تورط كل أفراد الأقلية فحسب، بل كل الدوائر الشعبية المحتمل دخولها في شبكتها، و الإقتراب من المناطق التي تجري فيها الأحداث. لأن بهذه الدوائر الشعبية تستطيع الصحافة التدخل لتبرير ملائم في معالجة الحدث بإحتلالها موقعا إستراتيجيا.

6.4. الهجرة المغاربية في الحوار الإعلامي:

مما سبق فأن كل المسائل المتعلقة بالهجرة أصبحت رهان شعبي واسع في فرنسا، إذ خلقت إضطرابات فكرية، جعلتنا نطرح تساؤلات على جميع المستويات :كيف يُصْدم المهاجر بالحوار الإعلامي ؟ وكيف يتغير عقد التسمية مع تَعرُج السياسة؟

الحوار الصحافي حول الهجرة يتنوع حسب المضمون الإجتماعي، الوضع الإقتصادي، الجو السياسي و البسيكولوجي وكذا الظرف الزمني. غُيِّر لفظ المصطلحات المستعملة وكذا معناه، حيث عرفت إنزلاقات في علم الدلالة على ضوء المراحل الإعلامية التي مرت بها ظاهرة الهجرة. فكيف تستطيع الكلمات مُرافَقة المعطيات الحقيقية ؟. كيف تتغير التسميات في ضوء التَحوُلات التي

عرفتها ظاهرة الهجرة؟.

تعاني معطيات العوامل الإعلامية في فرنسا فيما يخص الهجرة والمهاجرين من غموض واضح، وكذا تناقضات متفاوتة من وسيلة إعلام إلى أخرى. فرغم حصول المهاجرين على جنسية البلد المضيف أو وثائق تبرر إقامتهم فهم يعيشون في وضعية غير قانونية في نظر البعض إن لم نقل الكثيرين، هذا بغض النظر عن الجيل الثاني للمهاجرين المغاربة الذين يعتبرون كأجانب في نظر الفرنسيين وكذا وسائل الإعلام العامة، مع أنهم فرنسيين بِأتم معنى الكلمة أمام كل هياكل وأجهزة الدولة (العدالة، الشرطة....).

أصبح الغموض كبير بين مهاجر «مدمج» قد تحصل على الجنسية الفرنسية و ذاك الذي ينتمي إلى الجيل الثاني أو الثالث للمهاجرين، و المهاجر في إطار الدراسة أي الذي يُتابع دراساته في مدارس عمومية، و كذا المهاجر غير الشرعي...إلخ. كل هذه الظروف التي مر بها المهاجر إستُثمِرت كسلع إعلامية سياسية، لأن الحوار السياسي في مضمون التعبئة، كان في حاجة لتدعيم وتحريض المشاعر ومُعرض بإستحضار المواضيع التي تمس الحياة اليومية كالشغل، الغطاء الإجتماعي، الأمن... الخ.

كل هذه اللهجات تشكلت بصفة متطورة حول الكلام عن المهاجرين غير الشرعيين الذين هم في تزايد مستمر، المهاجرين الذين وجدتهم الصحافة المكتوبة موضوعا حساسا بنت عليه موضوعاتها وأثرتها بصفة خاصة، عممت فيها كل أصناف المهاجرين. في حين توظيف المصطلحات المأساوية مثل «مواطن غير شرعي» « مواطن غريب» التي تزرع الخوف بالأخذ بعين الإعتبار الخطر الذي يمكن أن تصنعه هذه الفئات في عدم الإستقرار وأمن المجتمع الفرنسي المضياف، مثلما رأينا فموضوع الهجرة فرض نفسه شيئا فشيئا في الحقل الإعلامي، ومنذ منتصف السبعينات، مراقبة الهجرة «مراقبة دخول وخروج الأجانب» قادت إلى تغييرات شرعية وكذا تغيرات في مصطلحات التسمية، في حقل الإعلام عامة والصحافة المكتوبة خاصة . درس BONNAFONS[107] الصحافة الوطنية خلال

[107] Bonnafous Simone, 1991, *L'immigration prise aux mots*, Kimé.

فترة (1980 – 1970) فلاحظ توظيف غير مغاير للمصطلحات التي تخص الأجانب (غريب، غرباء) (مهاجر، مهاجرين) هذه التسميات أو المصطلحات دوما مستعملة كمُرادِفات لم تطرأ إلى تغيير.

مسألة الهجرة المتطرفة كانت مفهومة وواضحة في الصحافة المكتوبة وكذا في الحوارات والخطابات السياسية بالنظر في مسألة العمل مثلا كعبارة «عمال أجانب» فهي في حقيقة الأمر غالبة حتى منتصف الثمانينات غير أن عبارات «الهجرة»، « مهاجر»، « الهجرة غير قانونية» و « مهاجر بدون وثائق قانونية» استعملت بداية عام 1980. و في أعوام الثمانينات أخذت هذه العبارات بعين الإعتبار، وأصبح لها معنى قانوني في حقل الإعلام بإدراك التواتر بالتغيرات الشرعية.

7.4. نظرة تجريدية حول تحليل الرسائل المكتوبة:

بيّنَت البحوث العلمية في دراستها لمسيرة موضوعات الصحافة المكتوبة عدد كبير من النقد، نقد يحوم حول تقديمات الشعب سليل الهجرة المغاربية، و وصولت إلى إستنتاجات جد متشائمة، فؤُسْنِدت هذه المعالجات الاعلامية إلى نظرة بنيوية تحوم حول تحليل الموضوع. نظرة تبناها العديد من الباحثين من قبل، للفحص في تقديم الشعب المهاجر من طرف الصحافيين. فهي تأخذ يوميا طابع تقديمات القصور العرقي. سمحت طريقة تحليل المضمون (وأيضا تحليل الخطابات) في الصحافة المكتوبة بتحليل موضوعي، لأي ملف كان أو لكل منتوج إعلامي أو ثقافي[108]. و مجموعة كبيرة من كُتَّاب و باحثين مختصين في دراسات هذه الطبيعة أسسوا أبحاثهم على ما توصل اليه TEUN VAN DIJK (باحث هولندي) بأعمال بناء الصورة. فقام هذا الأخير بتفسير تركيبي لشريط إعلامي ركز حول ما يُمثّل في الواجهة (المرآة) وحول معنى الثرثرة (المضمون). درس عدد من الباحثين طيلة أعوام الثمانينات موضوع تقديم القصور العرقي من طرف وسائل الإعلام والصحافة المكتوبة. ليلخص

[108] TEUN VAN DIJK, 1991, *Racisme and the presse*, Routledge, london

المؤلف VAN DIJK كل ما توصلت إليه الأبحاث السابقة في كتابه (عنصرية وصحافة - Racisme et médias) و يسطر دور الإعلام في خلقه لمشكل التمييز العنصري و غرسه و تنميته في أوساط المجتمع الفرنسي بكل شرائحه . فكان للصحافة المكتوبة منذ وقت طويل، أفكار تخص العِرْق الذي هي من صنعها، إذ تعيد تصنيعه وتبديله بما يخدم مصالحها[109].

إذا كانت أعمال VAN DIJK تعود إلى أكثر من 10 سنوات فالباحثين بعيدين كل البعد عن التخلي عن هذه الطريقة (طريقة التحليل و تحليل مضمون الرسائل) كما تُبين العديد من الدراسات حول العلاقة بين وسائل الإعلام والأقليات المهاجرة، و عمل باحثين أمريكيين مختصين في الإعلام على تشخيص لهذه الآراء، فسطروا على صعوبات الإمتحان النظري و شبهوا التحليل المُنتَج من طرف وسائل الإعلام بالجبل الجليدي . من هنا نستطيع أن نفهم حقيقة التغطية الإعلامية للهجرة، كوننا لا نرى سوى الجزء الذي يطفو إن نحن نضرنا إلى جبل جليدي[110].

كما أشار AUGAIE[111] إلى أن الدراسات التي درست من قبل أعطت أهمية كبيرة للبحث اعتمادا على المنهج الوصفي الذي نادرا ما يعمق البحث إلى الأسباب الحقيقية لظاهرة معينة. و قد قسمت هذه النقطة وجهة نظر باحثين آخرين فأصبحوا شيئا فشيئا مدركين أن إبراز الأخطاء لا تسمح بالضرورة إلى حل المشكل. و أجرى FIL[112] خلال الأعوام الأخيرة بحثا لتجاوز هذين النوعين من التحليل للوصول إلى قرار حاسم في العلاقة بين القصور الشرعي والصحافة المكتوبة، لكن دون الوصول إلى جدوى.

بعض الباحثين والمختصين في الصحافة المكتوبة بدؤا التخلي عن

---

[109] Stuart Hall, 1981, *The whites of their eyes: racist ideologies and the media*, in George Bridges and Rosalind Brunt (eds), Silver Linings: Some Strategies for the Eighties, Lawrence & Wishart, London

[110] Ferguson Robert Eric, 1998, *Representing-Race: Ideology, Identity and the Media*, Arnold, London.

[111] Augaie Fleras, 1995, *Please adjust your set: medias and minorities in a multicultural society*, Communication in Canadian society, 4eme éd, Toronto, Nelson canada.

[112] Fraser Fil, 1994, *the participation of aboriginal and other cultural minorities in cultural development*, Canadian journal of communication, vol 19, n° 3.

الطريقة المُتبَعَة سابقا والمتمثلة بكل بساطة في الإشاعة، بذكر أمثلة في غياب التقديمات المقدمة من طرف الصحافة المكتوبة لمحاولة فهم مدى إصطناعية الصور ومضمونها التسامحي، يتعلق الأمر بنظريات علماء المنظر التي تحرض الباحثين على عدم تمثيل وتكويم الأرقام المتعلقة. فرسائل أخصائيي الرسائل الفرنسية المكتوبة هي رسائل مفتقرة للأصالة، إذ وجدوا كل الأسباب و المبرعادة بث حوار التمييز العنصري على حد قول STUART HALL. و في هذا الإطار نتطرق إلى إستجواب عينة من أخصائيين الصحافة المكتوبة على المستوى الوطني، الإقليمي و المحلي، بإعتبارهم منبع الرسائل ومحتواها .

الفصل الخامس:

النتائج العامة للدراسة

الفصل الخامس:
النتائج العامة للدراسة

1.5. واقع االمهاجرين و أحداث باريس في جريدة (Le Figaro)

1.1.5. تحليل مؤشر مراكز الاهتمام.

2.1.5. تحليل مؤشر القيم.

3.1.5. تحليل مؤشر موضوعات العناوين.

2.5. الموضوعية في جريدة (Le Figaro)

1.2.5. تحليل مؤشر منشأ الحدث.

2.2.5. تحليل مؤشر الفاعلين.

3.2.5. تحليل مؤشر الاتجاه و اتجاه المضمون.

4.2.5. تحليل المقابلات.

3.5. خصائص جريدة (Le Figaro)

1.3.5. تحليل مؤشر المصادر.

2.3.5. تحليل مؤشر القوالب.

4.5. النتائج العامة للدراسة.

5.5. الخلاصة.

6.5. الملخص باللغة الفرنسية.

7.5. الملخص باللغة الانجليزية.

8.5. الملاحق.

تحليل مؤشر الاتجاه و اتجاهات وضيفة المضمون

ثمة أشياء كثيرة مخفية في كواليس الصحافة الفرنسية، ومن حسن حظ المتتبعين لشأن الفئات المهاجرة إلى فرنسا ذو الأصول المغاربية، أن الصحافة الفرنسية المكتوبة والرائجة كثيراً بفضل كبر المجتمع المستهلك لها. أصبحت مسرحاً لصراعات النخب السياسية و السلطة الحاكمة وكذا النخب المالكة للصحافة، بين مؤيد و معارض، و بين متعاطف و معاد... إذ يكفي متابعتها باستمرار، وقراءة ما بين السطور، والأهم هو معرفة اتجاهات مديري و مالكي هذه الصحف وطبيعة تحالفاتهم مع أجنحة السلطة الحاكمة لمعرفة طبيعة الصراعات ومن هم المستهدفون ومن قبل من.

من خلال اتجاهات نشر الأخبار، نرى أن بعض الصحف تبني منهجها على الصدق، والتأكد من صحة الخبر قبل نشره، وبعضها يبني منهجه على ما يسمى بالسبق الصحفي، حتى ولو ضحى في سبيل ذلك بصحة الخبر من عدمه. وكل من المنهجين يستند إلى حقيقة نفسية عند القراء، فأصحاب السبق الصحفي يراهنون على الفضول البشرى، والرغبة في الاستطلاع، ومعرفة الأسرار والمفاجآت إشباعاً للغرور، أو ترضية للهفة البشرية. فيما يكون منهج التأكد من صحة الخبر أكثر جدية في الصحافة المكتوبة، و أكثراحتراماً لرسالتها، بل واحتراماً للقراء، خاصة إذا كان الجمهور المقصود، هو المجتمع الفرنسي المعروف بحبه للتطلع، إذ نعتبره من اكبر المجتمعات المستهلكة للإعلام بصفة عامة و الصحافة المكتوبة بصفة خاصة. وأصحاب هذا المنهج الأخير لا يرون، في صحفهم مجرد أداة للإعلام و الإعلان فحسب، بل سجلاً للتاريخ، ومن ثم قد لا يأنفون من نشر خبر، سبق أن نشرته صحف أخرى، وإن كان بعضها لا يضع مثل هذه الأخبار السابقة في الأماكن البارزة، من الصحيفة، ولا في صفحاتها الرئيسة. و هذا ما لا نجده في الإعلام الفرنسي. إذ تتداول كل قنوات التلفزيون و جل الجرائد الخبر نفسه، باتجاهات مختلفة. لكن إذا تعلق الأمر بالجالية المغاربية فتتوحد كل الاتجاهات الإعلامية و الصحفية لتعالج موضوعات الهجرة و المغاربيين بنفس الاتجاه.

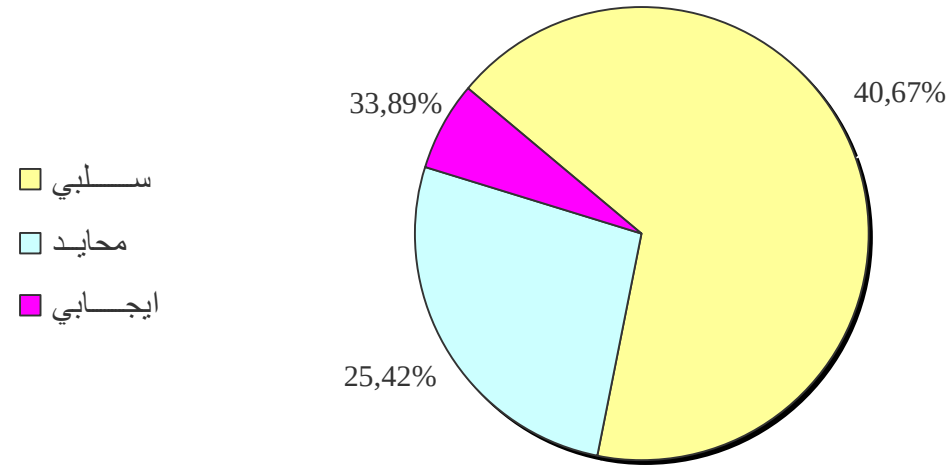

بيان رقم 11: اتجاه المضمون في موضوعات أحداث الهجرة المغاربية

من خلال تحليلنا للجريدة تبين لنا انه بدلاً من التثبت الصحفي والحياد في الاتجاه اختارت جريدة Le Figaro السبق الصحفي، و عدم احترام القارئ، في حين أن الأفضل هو الجمع بين السبق الصحفي، والتأكد من صحة الخبر، مع اعتماد الحياد في المعالجة الصحافية كلما استطاع الصحفي إلى ذلك سبيلاً، وإذا لم يكن بد من الاختيار، فربما كان، من الأصح أخلاقياً وإنسانياً، تفضيل الاتجاه الايجابي عن السلبي، خاصة إذا تعلق الأمر بأقلية طالما همشتها ثقافة المجمع المضياف، كون ثقة القراء واحترامهم رأس مال أدبي كبير للصحافة المكتوبة.

و في تغطيته الإخبارية وهي العملية، التي يحصل خلالها، الصحفي على معلومات، عن التفاصيل، والتطورات، والجوانب المختلفة لحدث، أو واقعة، أو تصريح ما. أو بمعنى آخر، يجيب على كل الأسئلة التي قد تتبادر إلى ذهن القارئ، في شأن هذه الواقعة، ثم يقيِّم هذه المعلومات ليحررها بأسلوب صحفي مناسب، وفي شكل صحفي مناسب، و خاصة باتجاه مناسب، لا عنصري و لا معاد. لكن في معالجته لأحداث المهاجرين المغاربيين كان لصحافي جريدة Le Figaro اتجاه متحيز، إذ، ركز الصحفي على جانب معين من الخبر، وقد حذف بعض الوقائع، فيما بالغ في كثير منها، مُـشوها إياها، وقد اخلط وقائع الخبر

برأيه الشخصي و الصورة التي طُــلب منه إيصالها إلى الرأي العام، و الهدف واحد، و هو تشويه و إقصاء جاليتنا المغاربية.

في حين كادت تنعدم المعالجة بالاتجاه المحايد في مواضيع الهجرة المغاربية، إذ كان الأجدر بالصحافي تقديم الحقائق دون تحريفها، أي تقديم إخبارا موضوعية لا خالية نابعة من عنصره الذاتي الشخصي، خالية من التحيز، عارضا فيها الحقائق الأساسية، والمعلومات المتعلقة بالموضوع، دون التعميق الهادف إعطاء الموضوع أبعاد جديدة، أو تقديم خلفيات، أو محاولة توجيه الرأي العام، أو مزج الوقائع بوجهات النظر الشخصية، الشيء الذي لم يتحلى به صحافيو جريدة Le Figaro.

جدول رقم 29: اتجاه المضمون نحو السلطة السياسة الحاكمة

الاتجاه الأعداد	سلبي	محايد	ايجابي	∑
1	-	7	-	7
2	-	1	1	2
3	-	2	-	2
4	-	4	5	9
5	-	-	3	3
6	22	1	2	25
7	2	-	2	4
8	-	-	3	3
9	-	-	1	1
10	-	-	-	-
11	-	-	-	-
12	-	-	3	3
∑	24	15	20	59
٪	40.67	25.42	33.89	100

31-30

فنحو السلطة السياسة الحاكمة، جاء اتجاه المضمون متعادل تقريبا بين سلبيته (40.67%) و إيجابيته (33.89%) فكان الاتجاه محايد نوعا ما رغم سلبيته الطفيفة (حسب الجدول 29). لكن اتجاه المضمون بالنسبة للمهاجرين ذو الأصول المغاربية و كما أبرزه الجدول رقم (30) فكان سلبي إلى أقصاه، إذ بلغت نسبة سلبيته الـــ (90.78%) مقابل (1.75%) اتجاهات ايجابية و (7.45%) إتجاهات محايدة. و كان نفس الشأن في اتجاهات المضمون نحو الحركات و الجمعيات المغاربية، إذ بلغت السلبية نسبة (40.62%) مقابل (9.37%) و (50%) اتجاهات محايدة، كما جاء في الجدول رقم (31). و لعل هذه القراءة في نسب اتجاهات المضمون بين الطرف المغاربي المهاجر و السلطة الفرنسية الممثلة للنخب الفرنسية، لخير دليل على سلبية صورة الفرنسي ذوي الأصول المغاربية عند الفرنسيين و غيرهم من أفراد المجتمع الفرنسي.

1.5. واقع االمهاجرين و أحداث باريس في جريدة (Le Figaro)

تضمن العمل التحليلي للبحث، سبعة موضوعات تم التطرق إليها في صلب تناول الأحداث، بحيث انه من الطبيعي أن يؤدي التعامل مع هذا المؤشر إلى الكشف عن اهتمامات الجريدة بجوانب معينة من موضوع المادة المنشورة و تركيزها عليه. و يفيد أيضا في معرفة أداء الجريدة في كيفية بناء صورة عن الواقع، كنموذج معرفي يبني تموقع المتلقي إزاء هذه الأحداث، أو إزاء الأطراف الفعالة فيها. و من الواضح أن هذا المؤشر يتمركز في صلب الوظيفة الإعلامية و ما يتعلق بها. و أيضا كنموذج بناء صورة خيالية، تجرد الواقع بواسطة جملة من المفاهيم المستخدمة في العرض و التقديم.

1.1.5. تحليل بيانات مؤشر مراكز الاهتمام:

معلوم أن الإعلام عموما يؤدي هذا الدور جراء عمليات ترتيب اهتمامات الجمهور، بواسطة حصر الموضوعات التي يراها جديرة بالنشر و الإذاعة، و تغييب موضوعات أخرى أو تأخيرها وفقا للمعالجة الإعلامية المتبعة.

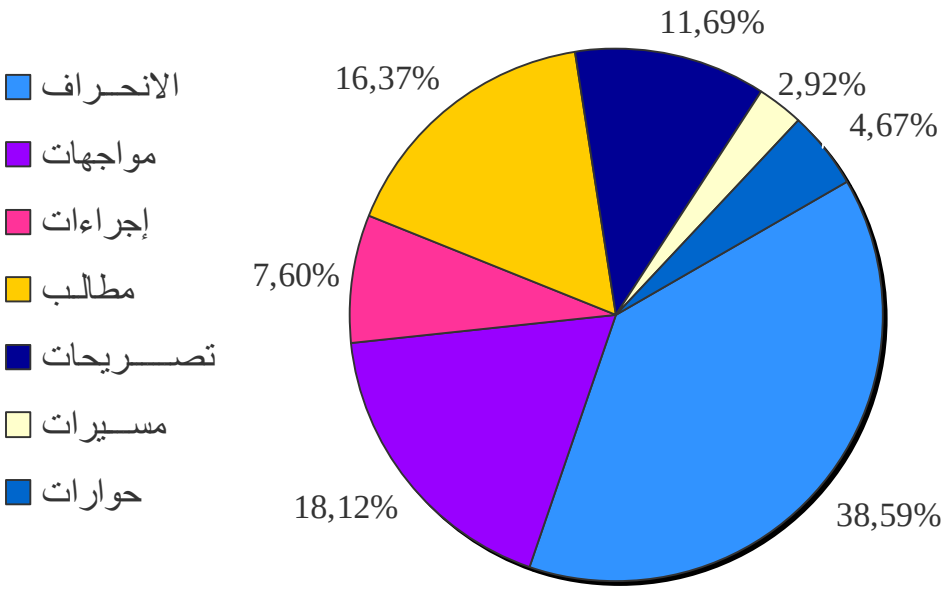

بيان رقم 02: موضوعات الهجرة المغاربية

فمن خلال البيان رقم (02) المبرز للمحاور التي دارت عليها الأحداث المتناولة في الجريدة، يظهر لنا جليا تباينا في تناول الموضوعات وفقا لكثافة التكرار و الإهتمام، حيث نلاحظ طغيان أربعة موضوعات (الإنحراف و اللاأمن، المواجهات، الإجراءات)، و بشكل أقل (الحوارات، المطالب، التصريحات و المسيرات)، حيث أن الموضوعات الأولى كانت تدور في معظم أعداد العينة، بينما الأخرى جاءت متباينة في نشرها على أعداد قليلة.

فقد جاءت مواضيع الإنحرافات بنسبة (38.59 %) ثم المواجهات بنسبة (18.12 %) ثم الإجراءات بنسبة (7.60%) ثم المطالب بنسبة (16.37%) ثم التصريحات بنسبة (11.69 %) ثم تليها المسيرات بنسبة (2.92%) و أخيرا الحوارات بنسبة (4.67 %).

هذه البيانات لا تظهر سوى تباين تناول الموضوعات بالنسبة لبعضها، لكننا إذا عمقنا قراءتنا، فنجد الموضوعات مرتبطة ببعضها، فموضوعي الإنحرافات بما فيها العنف، اللا أمن، السطو، السرقة، تعاطي المخذرات... إلخ، و المواجهات و التي تمثلت أساسا في مواجهة شباب المغاربيين لرجال الأمن كانا طاغيين و بصفة مطلقة على غيرهما من الموضوعات، الشيء الذي إستنتجناه من خلال القراءة التفصيلية لموضوعات العينة و التي مثلناها في بيانات الجداول التي تناولت بوصف فئات الموضوع.

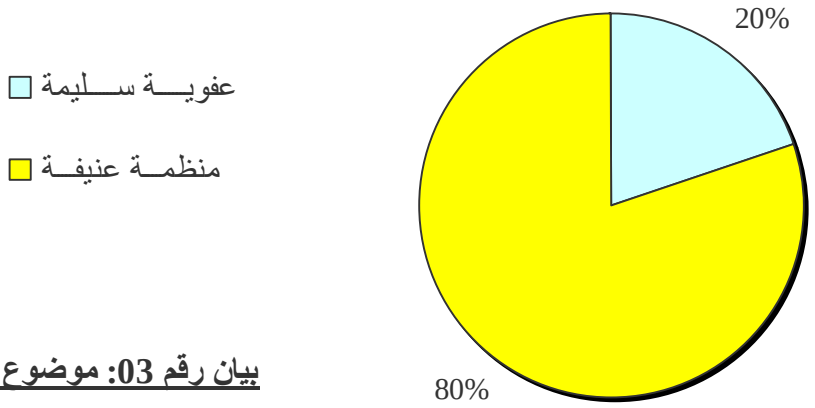

بيان رقم 03: موضوع المسيرات

ففي البيان رقم (03) الذي تناول موضوعات المسيرات و التجمعات، نلاحظ إنعدام التطرق للمسيرات السلمية و توزعت المسيرات العفوية السليمة بنسبة (20%)، و قد أحرزت المسيرات المنظمة العنيفة على أكبر حصة تتمثل بنسبة (80%)، ما نلاحظه في نتائج هذا الجدول التباين الكبير بين المسيرات المنظمة العنيفة و العفوية السليمة، إذ طغت الأولى كون طبعها كان عنيفا متسببا في حرق السيارات، قطع الطرق، و تدمير الممتلكات العامة، و في هذا السياق يجدر بنا أن نشير أن معظم المسيرات عفوية و سليمة في طبعها، لكن كل مرة و نتيجة لاستفزاز رجال الأمن للمشاركين في هذه المسيرات، إذ كان الأمر ينتهي في كل مرة بأحداث الشغب. إضافة إلى ذلك، يجدر بنا الإشارة إلى تجاهل المسيرات السلمية من طرف الجريدة محل الدراسة، إذ نُــظمت في فترة الدراسة، أكثر من ثلاث مسيرات ذات طابع سلمي.

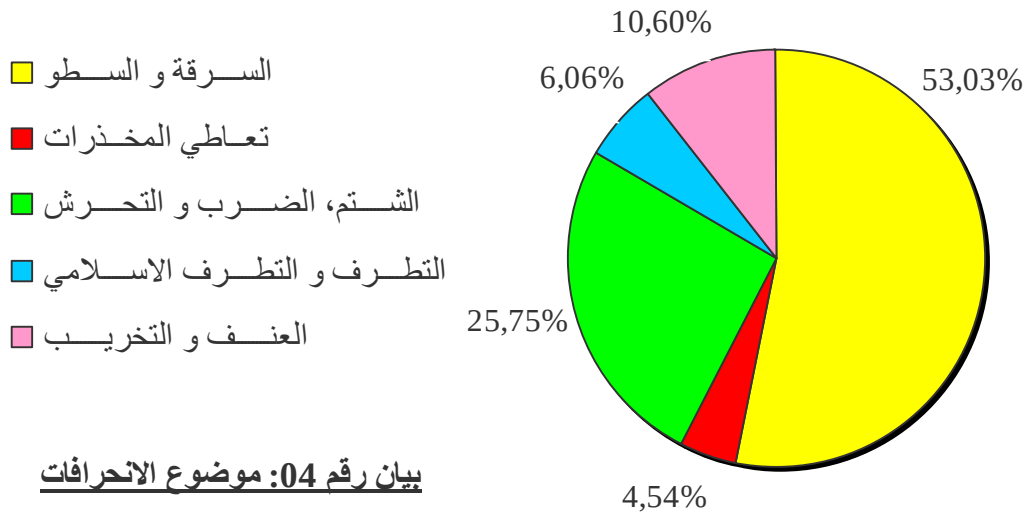

بيان رقم 04: موضوع الانحرافات

يبين البيان رقم (04) و الذي يعني بوصف موضوعات الإنحراف، إستحواذ السرقة و السطو على باقي الموضوعات إذ تمثل بنسبة (53.03%)، حيث و من خلال تصفحنا ليس فقط لصفحات جريدة Le Figaro، و إنما

لمُعضم صفحات الجرائد الوطنية و المحلية، نلاحظ ارتباط الانحراف بالجالية المغاربية من غيرها، و كان مغاربيو فرنسا هم المسؤول الأول و الأخير عن الانحراف و ما ينتج عنه من آفات اجتماعية. في حين أن هذه الظاهرة الاجتماعية المرضية، تمس كل الفئات الاجتماعية الفرنسية من سود (أفارقة)، جاليات أوروبا الشرقية، الأتراك و الغجر خاصة. في حين أن الشتم، الضرب و التحرش بمصالح الأمن و كذا المواطنين الفرنسيين جاء في المرتبة الثانية بنسبة (25.75 %). يليه بعد ذلك، العنف و التخريب بنسبة (10.60%)، ثم موضوع التطرف الثقافي و كذا التطرف الإسلامي بنسبة (6.06 %)، ليليه بعد ذلك تعاطي المخذرات و التجارة بها، بنسبة (4.54%).

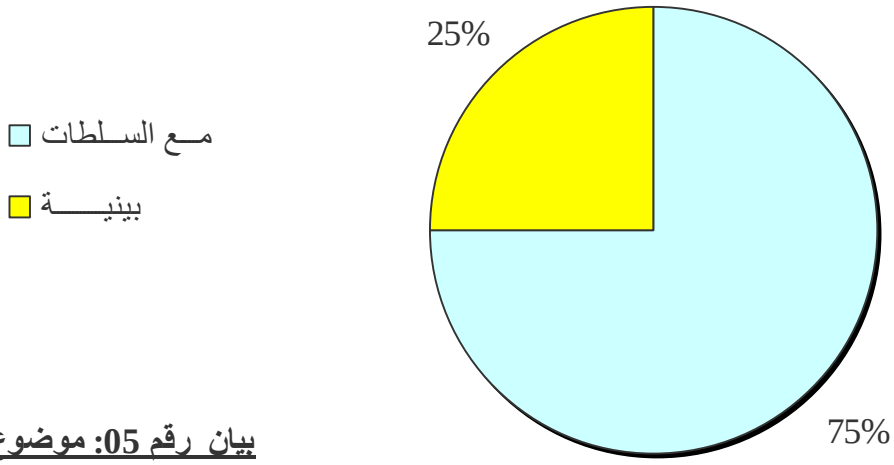

بيان رقم 05: موضوع الحوارات

ما عن موضوع الحوارات، فقد إنقسم إلى حوارات بينية تمت بين أفراد الجارية المغاربية فيما بينهم أو بينهم و بين الجمعيات الممثلة لهم أو المدافعة عن حقوقهم. و حوارات مع السلطة الفرنسية، سواء كانت مع الحكومة و أعضائها أو بصفة مباشرة مع رئيس الجمهورية، حيث يبين البيان (05) طغيان الحوارات مع السلطة على نظيرتها البينية، إذ جاءت الأولى بنسبة (75%)، أما البينية بنسبة (25%). إذ ما لاحظناه، هو المساحة و التكرار القليلين الذي خصتهما الجريدة لموضوع الحوارات، خاصة إذا علمنا

أن فرنسا معروف عليها الاعتماد على الحوارات لحل الأزمات، محاولة منها لسماع كل الجهات قصد تشخيص المشكل و كذا محاولة لإرضاء كل الأطراف.. لكن، للأسف، لم تنتهج فرنسا الحوار قصد معالجة ما يعانيه مغاربة فرنسا، و إن كانت هناك حوارات، فهي شكلية لا غير.

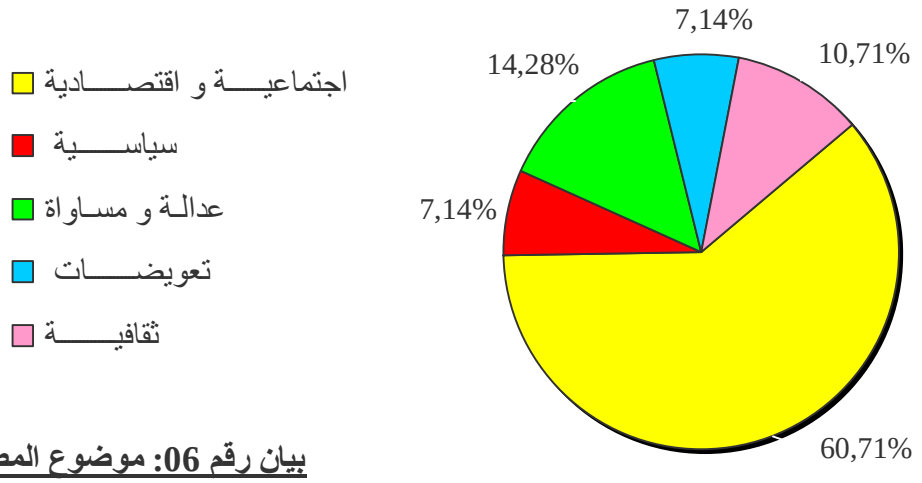

بيان رقم 06: موضوع المطالب

بين البيان رقم (06) تكرار و مساحة موضوعات المطالب، إذ كانت معظم المطالب إقتصادية و إجتماعية (بنسبة60.71 بالمائة) هذا الجانب الذي طالما عانت منه الفئات المهاجرة عموما و المغاربية خاصة، إذ تعيش هذه الأخيرة ظروفا إجتماعية جد مزرية تبلورت في حالة السكنات المتدهورة بنسيجها الإجتماعي الذي كان دائما مقصى من طرف السلطات الفرنسية، الشيء الذي ولد معظم الآفات الإجتماعية من إنحراف مخذرات، تطرف، سرقة... إلخ. و من الناحية الإقتصادية فتعيش الفئات المهاجرة في مستوى دون الفقر. إذ لم يكن بوسع أي هيأة، حكومية كانت أم غير حكومية، بما فيها كل وسائل الإعلام كافة، إخفاء هذا الواقع المر، لكن كان بوسع السلطات تجاهله. و من خلال الجدول جاءت مطالب العدالة و المساواة في الصف الثاني بنسبة (14.28%)، إذ يعاني المغاربة من اللامُـساواة و الإقصاء. تليها بعد ذلك المطالب السياسية و المطالب بالتعويضات بنسبة متساوية تتمثل في

(7.14%). و كانت أحداث باريس و الضواحي ورقة رابحة للفئات المهاجرة بفرنسا، إذ ضغط المهاجرون على السلطة بأعمال الشغب و العصيان المدني كي تلتفت هذه الأخيرة لهم، و بالتالي تحسن من وضعيتهم من خلال تحقيق مطالبهم التي لم تكن لا خيالية و لا تعجيزية.

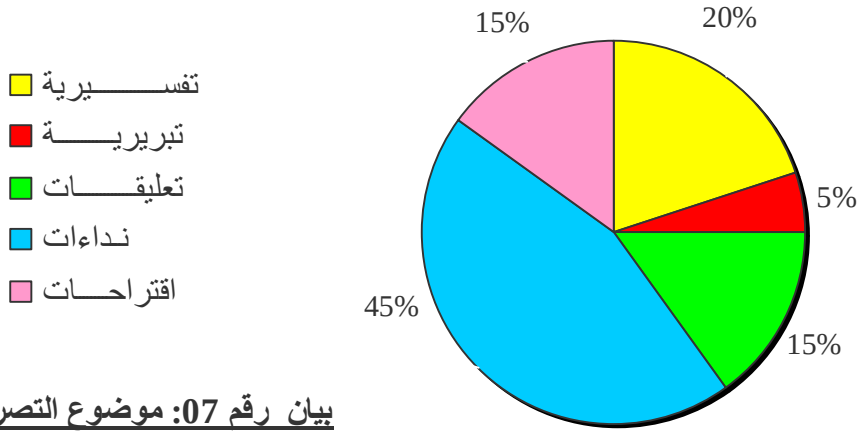

بيان رقم 07: موضوع التصريحات

مثلت التصريحات نسبة (11.69%) من إجمالي المواضيع السبع و بمساحة إجمالية تقدر نسبتها المئوية بـــ (13.48%) و تباينت إلى تصريحات تفسيرية، تبريرية، تعليقات، نداءات و إقتراحات، إذ جاءت (كما يبينه البيان رقم 07) النداءات بنسبة (45%) لتليها التصريحات التفسيرية بنسبة (20%) و جاءت التعليقات و الإقتراحات بنسبة متساوية تتمثل بنسبة (15%) و في الأخير جاءت التصريحات التبريرية بنسبة (05%). المواضيع التي تناولتها التصريحات انقسمت إلى خمسة مواضيع رئيسية، جاءت المواجهات في الصف الأول و بنسبة (45%)، لتليها المطالب بنسبة (25%)، ثم الإجراءات (15%)، المقاطعة (10%) و أخيرا الحوارات (5%) (كما أبرزه الجدول رقم (09))، إذ تطرقت الجريدة للمواجهات بنسبة تقارب النصف و هي نسبة جد مرتفعة، و نفسر هذا الارتفاع بتركيز الجريدة على سلبيات المغاربيين من احداث لا يرغب فيها القراء، و وردت المواجهات بين المغاربيين و رجال

الأمن و المواجهات العرقية بين المهاجرين فيما بينهم (جزائريين-مغاربة) (تونسيين-جزائريين)، إلا أن الأخيرة كانت جد قليلة مقارنة بالأولى. أما المطالب فكانت متعددة الأطراف من حيث أصحابها، مرة الفرنسيين و مرة المغاربيين و ذلك بنسب متكافئة تقريبا. و أُهملت الحوارات من المواضيع التي تطرقت لها التصريحات.

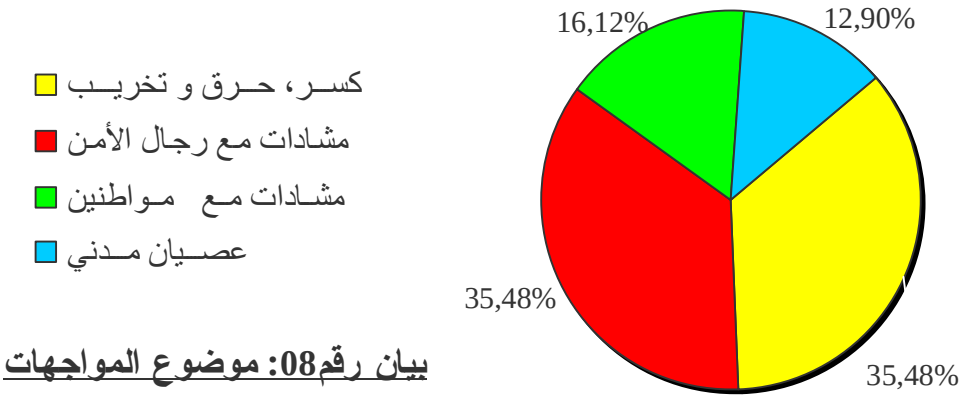

بيان رقم08: موضوع المواجهات

تحليل بيانات البيان رقم (08) و المبين لتكرار و مساحة موضوع المواجهات و الذي اخذ نسبة مئوية من حيث تكراره تقدر بـــ (18.12%) و كذا بمساحة إجمالية تقدر نسبتها المئوية بـــ (16.85 %). إذ جاء موضوع المواجهات في الصف الثاني (بعد موضوع الانحراف) من إجمالي المواضيع السبعة المعالجة و المتعلقة بالمهاجرين المغاربيين بفرنسا. إذ اخذ العنف بشتى صوره حصة الأسد من المعالجة الإعلامية للمهاجرين المغاربيين بفرنسا. فجاء كسر و حرق و تخريب الممتلكات العمومية و الخاصة بنسبة مئوية متساوية مع المشادات مع رجال الأمن و المقدرة بـــ (35.48%)، و ما لاحظناه هو تطرق الجريدة من حيث التكرار و المساحة، للمشادات مع رجال الأمن، أكثر في الأعداد الصادرة أثناء و بعد أحداث باريس و الضواحي، إذ في كل مرة تتطرق الجريدة لأحداث الكسر و التخريب إلا و تطرقت لمشادات

مع رجال الأمن، سواء كانت مشادات جسدية كان فيها الاحتكاك مباشر (كالضرب و المطاردة و الاعتقال بالقوة) أو غير مباشر كمداهمات التفتيش و المراقبة القانونية للوثائق. ثم و في موضوع المواجهات دائما، جاءت المشادات مع المواطنين بنسبة (16.12%) ، ثم العصيان المدني و الذي تزامن مع أحداث باريس حين بلغت أوّجها، بنسبة(90.12%).

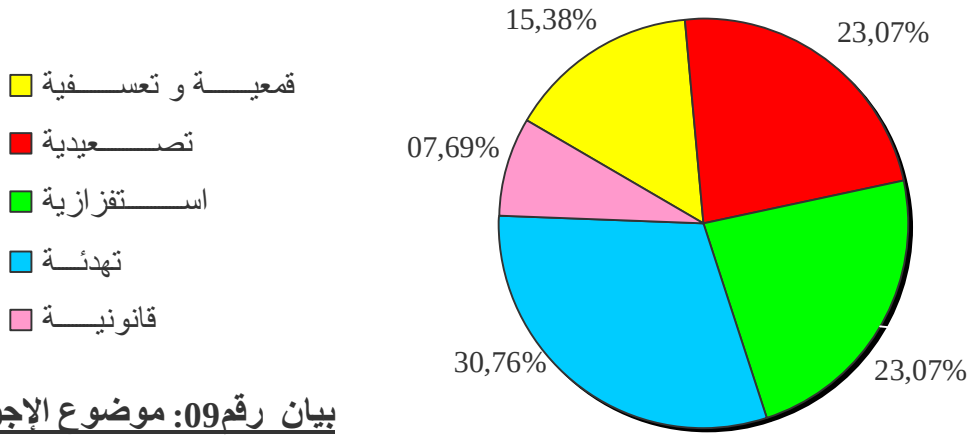

بيان رقم09: موضوع الإجراءات

و في الأخير بين البيان رقم (09) تكرار و مساحة موضوع الإجراءات و التي جاء تكرارها بنسبة(7.60%) و مساحتها بنسبة(11.15%)، و تباينت الإجراءات من خلال الفاعلين، إذ كانت استفزازية (23.07%) و قمعية، تعسفية (15.38%) خاصة من طرف رجال الشرطة، و أعوان الأمن. و بالمقابل جاءت الإجراءات التصعيدية و التي كانت من طرف الجاليات المغاربية و الإفريقية و حتى من بعض الفرنسيين، بنسبة (23.07%)، و بتدخل العقلاء و بعض الشخصيات المشهورة كرئيس مسجد باريس، جاءت إجراءات التهدئة بنسبة (30.76%)، لتليها الإجراءات القانونية بنسبة (7.69%) التي أصدرتها السلطات الفرنسية كإقرار حالة الطوارئ.

1.5. واقع االمهاجرين و أحداث باريس في جريدة (Le Figaro)

تضمن العمل التحليلي للبحث، سبعة موضوعات تم التطرق إليها في صلب تناول الأحداث، بحيث انه من الطبيعي أن يؤدي التعامل مع هذا المؤشر إلى الكشف عن اهتمامات الجريدة بجوانب معينة من موضوع المادة المنشورة و تركيزها عليه. و يفيد أيضا في معرفة أداء الجريدة في كيفية بناء صورة عن الواقع، كنموذج معرفي يبني تموقع المتلقي إزاء هذه الأحداث، أو إزاء الأطراف الفعالة فيها. و من الواضح أن هذا المؤشر يتمركز في صلب الوظيفة الإعلامية و ما يتعلق بها. و أيضا كنموذج بناء صورة خيالية، تجرد الواقع بواسطة جملة من المفاهيم المستخدمة في العرض و التقديم.

1.1.5. تحليل بيانات مؤشر مراكز الاهتمام:

معلوم أن الإعلام عموما يؤدي هذا الدور جراء عمليات ترتيب اهتمامات الجمهور، بواسطة حصر الموضوعات التي يراها جديرة بالنشر و الإذاعة، و تغييب موضوعات أخرى أو تأخيرها وفقا للمعالجة الإعلامية المتبعة.

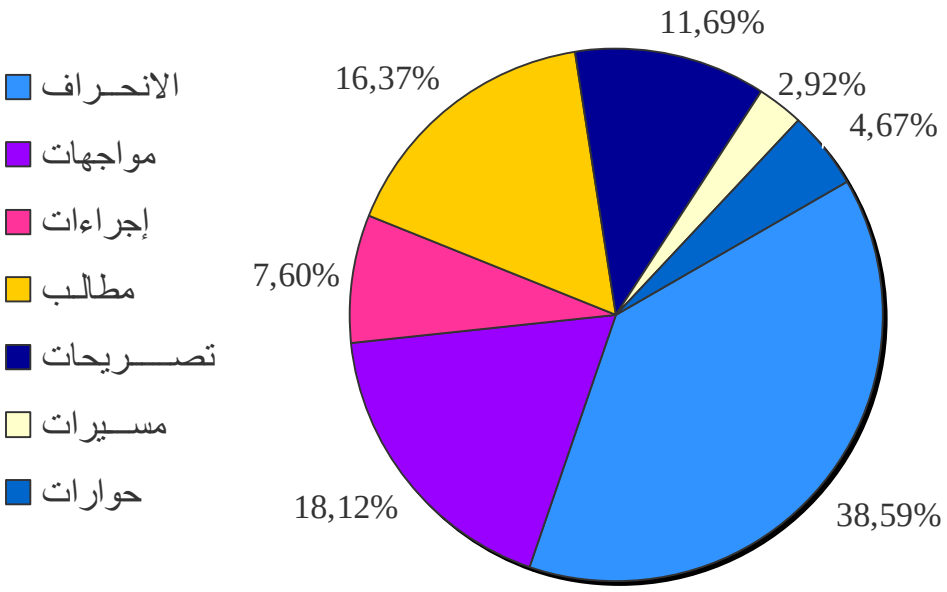

بيان رقم 02: موضوعات الهجرة المغاربية

فمن خلال البيان رقم (02) المبرز للمحاور التي دارت عليها الأحداث المتناولة في الجريدة، يظهر لنا جليا تباينا في تناول الموضوعات وفقا لكثافة التكرار و الإهتمام، حيث نلاحظ طغيان أربعة موضوعات (الإنحراف و اللاأمن، المواجهات، الإجراءات)، و بشكل أقل (الحوارات، المطالب، التصريحات و المسيرات)، حيث أن الموضوعات الأولى كانت تدور في معظم أعداد العينة، بينما الأخرى جاءت متباينة في نشرها على أعداد قليلة.

فقد جاءت مواضيع الإنحرافات بنسبة (38.59 %) ثم المواجهات بنسبة (18.12 %) ثم الإجراءات بنسبة (7.60%) ثم المطالب بنسبة (16.37%) ثم التصريحات بنسبة (11.69 %) ثم تليها المسيرات بنسبة (2.92%) و أخيرا الحوارات بنسبة (4.67 %).

هذه البيانات لا تظهر سوى تباين تناول الموضوعات بالنسبة لبعضها، لكننا إذا عمقنا قراءتنا، فنجد الموضوعات مرتبطة ببعضها، فموضوعي الإنحرافات بما فيها العنف، اللا أمن، السطو، السرقة، تعاطي المخذرات... إلخ، و المواجهات و التي تمثلت أساسا في مواجهة شباب المغاربيين لرجال الأمن كانا طاغيين و بصفة مطلقة على غيرهما من الموضوعات، الشيء الذي إستنتجناه من خلال القراءة التفصيلية لموضوعات العينة و التي مثلناها في بيانات الجداول التي تناولت بوصف فئات الموضوع.

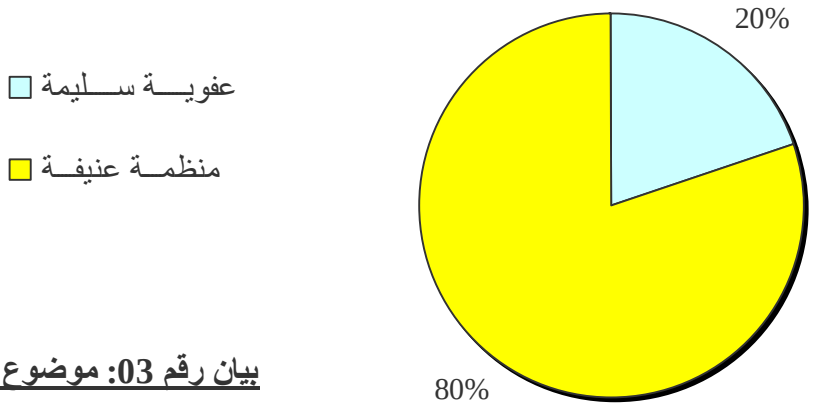

بيان رقم 03: موضوع المسيرات

ففي البيان رقم (03) الذي تناول موضوعات المسيرات و التجمعات، نلاحظ إنعدام التطرق للمسيرات السلمية و توزعت المسيرات العفوية السليمة بنسبة (20%)، و قد أحرزت المسيرات المنظمة العنيفة على أكبر حصة تتمثل بنسبة (80%)، ما نلاحظه في نتائج هذا الجدول التباين الكبير بين المسيرات المنظمة العنيفة و العفوية السليمة، إذ طغت الأولى كون طبعها كان عنيفا متسببا في حرق السيارات، قطع الطرق، و تدمير الممتلكات العامة، و في هذا السياق يجدر بنا أن نشير أن معظم المسيرات عفوية و سليمة في طبعها، لكن كل مرة و نتيجة لاستفزاز رجال الأمن للمشاركين في هذه المسيرات، إذ كان الأمر ينتهي في كل مرة بأحداث الشغب. إضافة إلى ذلك، يجدر بنا الإشارة إلى تجاهل المسيرات السلمية من طرف الجريدة محل الدراسة، إذ نُــظمت في فترة الدراسة، أكثر من ثلاث مسيرات ذات طابع سلمي.

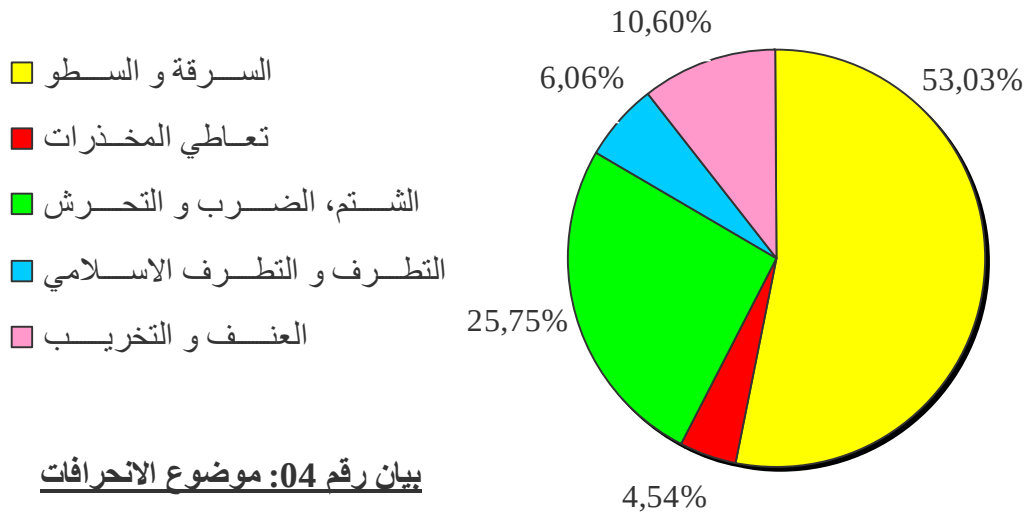

بيان رقم 04: موضوع الانحرافات

يبين البيان رقم (04) و الذي يعني بوصف موضوعات الإنحراف، إستحواذ السرقة و السطو على باقي الموضوعات إذ تمثل بنسبة (53.03%)، حيث و من خلال تصفحنا ليس فقط لصفحات جريدة Le Figaro، و إنما

لمُعضم صفحات الجرائد الوطنية و المحلية، نلاحظ ارتباط الانحراف بالجالية المغاربية من غيرها، و كان مغاربيو فرنسا هم المسؤول الأول و الأخير عن الانحراف و ما ينتج عنه من آفات اجتماعية. في حين أن هذه الظاهرة الاجتماعية المرضية، تمس كل الفئات الاجتماعية الفرنسية من سود (أفارقة)، جاليات أوروبا الشرقية، الأتراك و الغجر خاصة. في حين أن الشتم، الضرب و التحرش بمصالح الأمن و كذا المواطنين الفرنسيين جاء في المرتبة الثانية بنسبة (25.75 %). يليه بعد ذلك، العنف و التخريب بنسبة (10.60%)، ثم موضوع التطرف الثقافي و كذا التطرف الإسلامي بنسبة (6.06 %)، ليليه بعد ذلك تعاطي المخذرات و التجارة بها، بنسبة (4.54%).

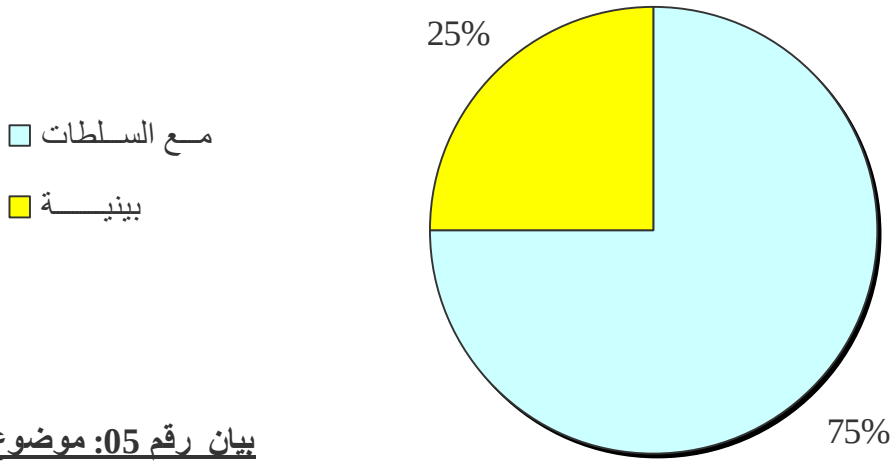

بيان رقم 05: موضوع الحوارات

ما عن موضوع الحوارات، فقد إنقسم إلى حوارات بينية تمت بين أفراد الجارية المغاربية فيما بينهم أو بينهم و بين الجمعيات الممثلة لهم أو المدافعة عن حقوقهم. و حوارات مع السلطة الفرنسية، سواء كانت مع الحكومة و أعضائها أو بصفة مباشرة مع رئيس الجمهورية، حيث يبين البيان (05) طغيان الحوارات مع السلطة على نظيرتها البينية، إذ جاءت الأولى بنسبة (75%)، أما البينية بنسبة (25%). إذ ما لاحظناه، هو المساحة و التكرار القليلين الذي خصتهما الجريدة لموضوع الحوارات، خاصة إذا علمنا

أن فرنسا معروف عليها الاعتماد على الحوارات لحل الأزمات، محاولة منها لسماع كل الجهات قصد تشخيص المشكل و كذا محاولة لإرضاء كل الأطراف.. لكن، للأسف، لم تنتهج فرنسا الحوار قصد معالجة ما يعانيه مغاربة فرنسا، و إن كانت هناك حوارات، فهي شكلية لا غير.

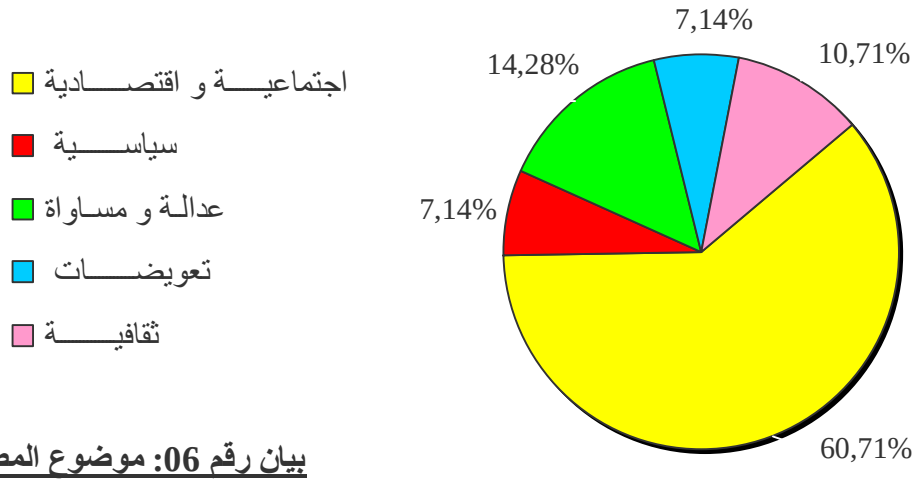

بيان رقم 06: موضوع المطالب

بين البيان رقم (06) تكرار و مساحة موضوعات المطالب، إذ كانت معظم المطالب إقتصادية و إجتماعية (بنسبة60.71 بالمائة) هذا الجانب الذي طالما عانت منه الفئات المهاجرة عموما و المغاربية خاصة، إذ تعيش هذه الأخيرة ظروفا إجتماعية جد مزرية تبلورت في حالة السكنات المتدهورة بنسيجها الإجتماعي الذي كان دائما مقصى من طرف السلطات الفرنسية، الشيء الذي ولد معظم الآفات الإجتماعية من إنحراف مخذرات، تطرف، سرقة... إلخ. و من الناحية الإقتصادية فتعيش الفئات المهاجرة في مستوى دون الفقر. إذ لم يكن بوسع أي هيأة، حكومية كانت أم غير حكومية، بما فيها كل وسائل الإعلام كافة، إخفاء هذا الواقع المر، لكن كان بوسع السلطات تجاهله. و من خلال الجدول جاءت مطالب العدالة و المساواة في الصف الثاني بنسبة (14.28%)، إذ يعاني المغاربة من اللامُـساواة و الإقصاء. تليها بعد ذلك المطالب السياسية و المطالب بالتعويضات بنسبة متساوية تتمثل في

(7.14%). و كانت أحداث باريس و الضواحي ورقة رابحة للفئات المهاجرة بفرنسا، إذ ضغط المهاجرون على السلطة بأعمال الشغب و العصيان المدني كي تلتفت هذه الأخيرة لهم، و بالتالي تحسن من وضعيتهم من خلال تحقيق مطالبهم التي لم تكن لا خيالية و لا تعجيزية.

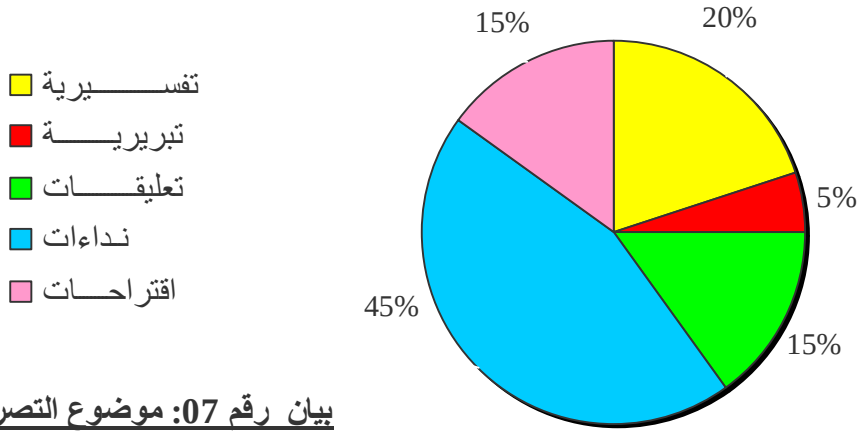

بيان رقم 07: موضوع التصريحات

مثلت التصريحات نسبة (11.69%) من إجمالي المواضيع السبع و بمساحة إجمالية تقدر نسبتها المئوية بـــ (13.48%) و تباينت إلى تصريحات تفسيرية، تبريرية، تعليقات، نداءات و إقتراحات، إذ جاءت (كما يبينه البيان رقم 07) النداءات بنسبة (45%) لتليها التصريحات التفسيرية بنسبة (20%) و جاءت التعليقات و الإقتراحات بنسبة متساوية تتمثل بنسبة (15%) و في الأخير جاءت التصريحات التبريرية بنسبة (05%). المواضيع التي تناولتها التصريحات انقسمت إلى خمسة مواضيع رئيسية، جاءت المواجهات في الصف الأول و بنسبة (45%)، لتليها المطالب بنسبة (25%)، ثم الإجراءات (15%)، المقاطعة (10%) و أخيرا الحوارات (5%) (كما أبرزه الجدول رقم (09))، إذ تطرقت الجريدة للمواجهات بنسبة تقارب النصف و هي نسبة جد مرتفعة، و نفسر هذا الارتفاع بتركيز الجريدة على سلبيات المغاربيين من احداث لا يرغب فيها القراء، و وردت المواجهات بين المغاربيين و رجال

الأمن و المواجهات العرقية بين المهاجرين فيما بينهم (جزائريين-مغاربة) (تونسيين-جزائريين)، إلا أن الأخيرة كانت جد قليلة مقارنة بالأولى. أما المطالب فكانت متعددة الأطراف من حيث أصحابها، مرة الفرنسيين و مرة المغاربيين و ذلك بنسب متكافئة تقريبا. و أُهملت الحوارات من المواضيع التي تطرقت لها التصريحات.

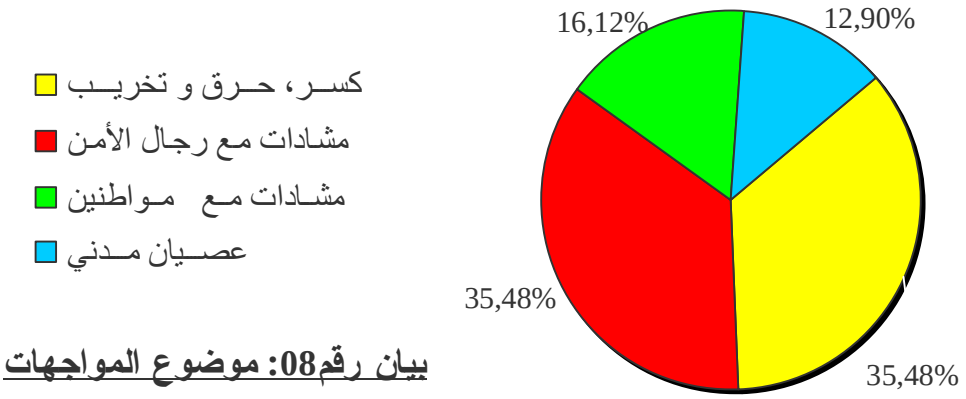

بيان رقم08: موضوع المواجهات

تحليل بيانات البيان رقم (08) و المبين لتكرار و مساحة موضوع المواجهات و الذي اخذ نسبة مئوية من حيث تكراره تقدر بـــ (18.12%) و كذا بمساحة إجمالية تقدر نسبتها المئوية بـــ (16.85 %). إذ جاء موضوع المواجهات في الصف الثاني (بعد موضوع الانحراف) من إجمالي المواضيع السبعة المعالجة و المتعلقة بالمهاجرين المغاربيين بفرنسا. إذ اخذ العنف بشتى صوره حصة الأسد من المعالجة الإعلامية للمهاجرين المغاربيين بفرنسا. فجاء كسر و حرق و تخريب الممتلكات العمومية و الخاصة بنسبة مئوية متساوية مع المشادات مع رجال الأمن و المقدرة بـــ (35.48%)، و ما لاحظناه هو تطرق الجريدة من حيث التكرار و المساحة، للمشادات مع رجال الأمن، أكثر في الأعداد الصادرة أثناء و بعد أحداث باريس و الضواحي، إذ في كل مرة تتطرق الجريدة لأحداث الكسر و التخريب إلا و تطرقت لمشادات

مع رجال الأمن، سواء كانت مشادات جسدية كان فيها الاحتكاك مباشر (كالضرب و المطاردة و الاعتقال بالقوة) أو غير مباشر كمداهمات التفتيش و المراقبة القانونية للوثائق. ثم و في موضوع المواجهات دائما، جاءت المشادات مع المواطنين بنسبة (16.12%) ، ثم العصيان المدني و الذي تزامن مع أحداث باريس حين بلغت أوّجها، بنسبة(90.12%).

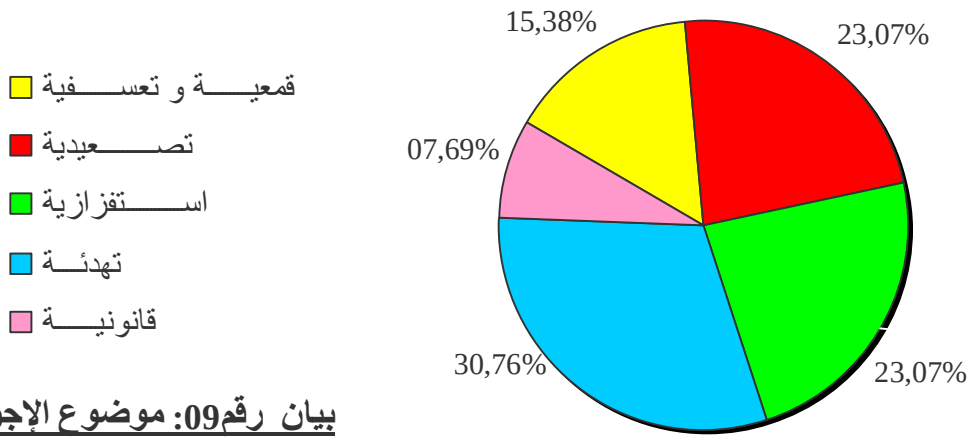

بيان رقم09: موضوع الإجراءات

و في الأخير بين البيان رقم (09) تكرار و مساحة موضوع الإجراءات و التي جاء تكرارها بنسبة(7.60%) و مساحتها بنسبة(11.15%)، و تباينت الإجراءات من خلال الفاعلين، إذ كانت استفزازية (23.07%) و قمعية، تعسفية (15.38%) خاصة من طرف رجال الشرطة، و أعوان الأمن. و بالمقابل جاءت الإجراءات التصعيدية و التي كانت من طرف الجاليات المغاربية و الإفريقية و حتى من بعض الفرنسيين، بنسبة (23.07%)، و بتدخل العقلاء و بعض الشخصيات المشهورة كرئيس مسجد باريس، جاءت إجراءات التهدئة بنسبة (30.76%)، لتليها الإجراءات القانونية بنسبة (7.69%) التي أصدرتها السلطات الفرنسية كإقرار حالة الطوارئ.

2.1.5. تحليل مؤشر القيم:

تُعرف القيم بأنها عبارة عن المعتقدات التي يحملها الفرد نحو الأشياء والمعاني وأوجه النشاط المختلفة، والتي تعمل على توجيه رغباته واتجاهاته نحوها، وتحدد له السلوك المقبول والمرفوض والصواب والخطأ، وتتصف بالثبات النسبي. فالقيم هي مجموعة المعايير المادية والذهنية التي على أساسها يتم تحويل الحدث إلى خبر صحفي، فهي الصفات التركيبية المرتبطة بالتفاعل بين الحدث والجمهور وهي التي تكشف عن جوهر الحدث وعن استخدامه الاجتماعي أي تحويله إلى موضوع للإطلاع والمعرفة والفهم.

للقيم الإخبارية مجموعة من العناصر التي تقوم عليها كي تجعل من الحدث يرتقي إلى مستوى الخبر الذي يهم الجمهور، وهذه العناصر تختلف يبن الباحثين في مجال الإعلام كما أن القيم الإخبارية هي من أغوص معاني البنيات في المجتمع المعاصر وذلك لما تحمله من معان إيديولوجية وذهنية، أي أن التمايز في الأنظمة الاجتماعية والسياسية و القيمية والإعلامية على مستوى العالم له أثر في إيجاد اختلاف للقيم الإخبارية التي يقدمها كل نظام. فدلالة القيم الإخبارية تدل على وجود بنية معقدة للخبر على أساس أبعاد القيمة المتعددة، نظرية أو نفعية، فكرية أو إيديولوجية أو دينية. و الفهم الدقيق للقيم الإخبارية يقوم على أساس فهم مغزى الحادثة التي ستنقل إلى الجمهور، وتفاعلها مع الوسيلة الإعلامية، فلكل وسيلة إعلامية قيمها الإخبارية الخاصة بها التي تنبع من طبيعتها.

العناصر المحددة للقيم التي اعتمدناها في جريدة Le Figaro

- التأثير: يقصد به إثارة اهتمام أكبر عدد من الناس. فمن الأخبار ما يمس جماعة قليلة من الناس في المجتمع فلا يؤبه له كثيراً في الصحف. و من الأخبار ما يمس أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع كاللامن و السرقة مثلا، أو يمس مرفقاً من أهم المرافق الحيوية في هذا المجتمع، أو يمس مشكلة من أكبر المشكلات السياسية أو الخلقية أو الاقتصادية التي تهم المجتمع الفرنسي كاندماج المهاجرين المغاربيين، أو الإسلام مثلا، و لذلك تخصص الصحافة المكتوبة لهذا الخبر الضخم مكاناً ظاهراً في صدرها. وعنصر الضخامة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدلالة الإعلامية، ومدى

اهتمام الناس بها. تقول القواعد الأولى في علم حساب الأخبـــار أن نبأ حادثة أصابت ألف شخص أهم من نبأ حادثة أخرى أصابت 100 وقرار قاض في المحكمة أو تفسيره لإحدى مواد القانون إجراء فني بحث، ولكنه في الوقت ذاته يؤثر في حياة الملايين ويستطيع الصحفي أن يكتب موضوعاً مثيراً يبين فيه نتائج القرار على حياة العامة. (و يجب التأكيد على تأثير الخبر لأنه قد لا يفهم الجمهور تأثيرات بعض الأخبار في بعض الأحيان لتشابك الموضوع أو لتداعياته التي تكون معقدة الفهم).

- الشهرة: يقال أن الأسماء تصنع الأخبار وأن الأسماء اللامعة تصنع الأخبار الهامة. وكل إنسان يحب الأبطال و الساسة البارزين في الهيئة الاجتماعية، وكذلك يحب الرياضيين والفنانين وملايين من الفرنسيين يقرؤون قصص أصحاب الشهرة من الفنانين ومغامرات أصحاب الملايين. وقد تكون الشهرة مؤقتة سواء كانت لأشخاص أو أماكن أو أشياء أو حوادث تثير اهتمام القراء، مثل المعركة الانتخابية لرئاسيات 2007 بفرنسا، أو أنفلونزا الطيور بأوروبا، وقد يستمر أثرها على الناس كون الملايين منهم سيصر على معرفة التفاصيل. مثلا معرفة حكم محاكمة الإمام الذي أباح ضرب الزوج لزوجته و كذا تعدد الزوجات. لكننا في المقابل لا ينبغي أن نسلم بالمبدأ القائل أن الأسماء تصنع الأخبار، لأنه ليست كل أفعال الشخصية الشهيرة تعد أخبار ولكن يجب وجود عناصر أخرى من عناصر القيمة الخبرية.
- الصراع: هناك مثل هولندي شائع يقول أن الأخبار الجيدة تمشي والأخبار السيئة تجري. وكهذا بالنسبة للصحافة الفرنسية المكتوبة، اذ تتبع دوما الأخبار التي تتمتع بالسلبية وخصوصا إذا وجد الصراع بين جهتين أو أكثر، كما أصبحت ظاهرة الهجرة و الهجرة السرية، تتصدر اهتمامات وسائل الإعلام بمختلف أشكالها وأنواعها... فرضت مواضيع ظاهرة الهجرة نفسها وأصبحت اللغة الأكثر تداولاً في العالم تماما كظاهرة الإرهاب، وأصبحت ظاهرة الهجرة من القيم الخبرية التي تعتمدها الجرائد والمجلات ومختلف وسائل الإعلام الفرنسية و العالمية، كما أصبحت الجرائد تتفنن في تقديم صور مختلفة عن المهاجرين التي أصبحت تنشر يوما بعد يوم في دول عديدة من العالم.. وبالنسبة لمعظم وسائل الإعلام الغربية

وخاصة تلك التي تركز على الإثارة وعلى بيع الغرابة والعنف والجريمة فإن الهجرة تعتبر مادة دسمة مربحة تساعد المؤسسة على زيادة المبيعات وجني أرباح طائلة، فالهجرة و بفعل الصحافة الفرنسية المكتوبة أصبحت لغة هذا القرن بفرنسا.

- التداول: وهذا العنصر يمثل خاصية الاستمرار في تداول الخبر حتى يأخذ جدارته وأهميته الصحفية ويجعل من المجتمع يتغير تجاه قضية ما كانت تبدو صغيرة. و ذلك بقيم رجال الإعلام الأكثر نفوذا، ولكن مع الاستمرارية في تداول هذا الموضوع يصبحا حدثا هاما بالنسبة للجمهور.
- الغرابة: إن كل ما هو غريب و طريف لا يمكن أن يُــهمل بمجرد اختفاء العناصر الإخبارية الأخرى، بل يكفي أن يكون غريباً لكي يكون خبراً، ذلك أن مثل خبر تعدد الزوجات أو إباحة ضرب الرجل لزوجته، قد يعيش في أذهان جمهور القراء أكثر مما يعيش خبر استقالة موظف كبير بسبب خلافه مع بعض زملائه في العمل، وتذهب صحيفة Le Figaro إلى أن عناصر التسويق و الإثارة والطرافة و الروعة من أهم سمات الخبر الجيد.
- التماثل: هذا يعني درجة التقاء الأحداث مع توقعات الجمهور وتنبؤاته. إذ أن الأخبار لا تنشر إلا بما يخدم قيم الصحافي الذي يكتبها، و كذا قيم الجريدة التي يكتب فيها. و المقصود بالتماثل هنا، هو عدم الخروج عن التماثل الذهني و العقائدي و الديني للمجتمع الفرنسي. و تكمن أهمية الخبر هنا بمجرد خروجه عن هذا التماثل العقائدي الفرنسي.

القيم الإخبارية و القيم الإيديولوجية:

إذا انطوت الأخبار على قيم ما فإنها تنطوي على الإيديولوجية، ومع ذلك فإن الإيديولوجية حاصل جزئي فقط عبر كامل القيم التي هي ليست لا بالمنسجمة تماما ولا بالمندمجة كليا. و معنى ذلك أن القيم الإخبارية هي عبارة عن قيم موافقة للإيديولوجية. ولكي يصبح الحدث في مستوى الخبر ليذاع أو ينشر عبر الصحافة و وسائل الإعلام عامة، يجب أن يتضمن قيمه الإيديولوجية والفكرية أي أن تأثير الإيديولوجية يبرز في عملية اتخاذ القرار بشأن الأحداث التي يجب تغطيتها، وهذه

العملية تكون في أيدي رؤساء التحرير والناشرين والمحررين وحتى المخبرين أثناء جمع الأخبار، وتكون لديهم غالبا أفكار محددة في الطريقة الواجب إتباعها أثناء التحرير، وحتى وإن كان القائم بالاتصال يتمتع بالحرية والاستقلالية إلا أن هناك طريقة ما للتعرض لإيديولوجية ما، كما أن مبدأ الحرية في حد ذاته إيديولوجية أي أن القائم بالاتصال قد تأثر بإيديولوجية الليبرالية، إضافة إلى أن الحرية الإعلامية تؤدي بالشخص لإبداء رأيه بحرية ولا يمكن أن يكون رأي القائم بالاتصال بعيدا عن إيديولوجيته.

أن الإعلام اليوم أصبح أداة أصحاب المال و النفوذ المهيمنة في الحقل الإيديولوجي، فالقيم الصحافية تكتسي القيم الإيديولوجية. كما أن القيم الإخبارية تختلف من صحيفة إلى أخرى باختلاف القيم الإيديولوجية. إذ أن لكل مؤسسة إعلامية ولها قيمها الإخبارية التي تعكس قيمها الإيديولوجية والاجتماعية والفكرية والثقافية والاقتصادية. كما أن لكل وسيلة إعلامية أهدافها التي تراعي القيم الإيديولوجية ولها إعلامها الذي يختلف عن الإعلام الآخر بتحكم الإيديولوجيات المختلفة. فالقيم إذا عبارة عن بنية قيمية وإيديولوجية وذهنية وليست عبارة عن رصد أحداث وقعت أو عناصر إخبارية لا تعكس مضمون القيمة التي يحملها الخبر، نفهم أن الأحداث يجب أن تتضمن قيمة إيديولوجية كي تصبح في مستوى الأخبار الممكن إذاعتها أو نشرها، هذه الإيديولوجية هي فكر المؤسسة الإعلامية أو السلطة السياسية أو المالكين الخواص والممولين.

القيم الإخبارية و القيم المجتمعية.

انه من العبث محاولة الفصل بين القيم الصحافية، القيم الإخبارية والقيم العامة في أي مجتمع، فالقيم الصحافية تتكون بنفس العملية التي تتكون بمقتضاها قيم المجتمع، وما يستنتج من هذا القول أن هناك علاقة ديناميكية جدلية بين القيم الصحافية الإخبارية و الاجتماعية، فنشاط الأولى في أي مؤسسة إعلامية لها أساسها ومرجعيتها في قيم المجتمع كما يمكن أن نجدها متضمنة في الأخبار. وإذا قلنا بأن القيم الصحافية جزء من قيم المجتمع فهذا يعني أن نشاطها لا يكون إلا ضمن وعاء القيم الاجتماعية، فعندما تصطدم تلك القيم الموجودة في الأخبار، قيم المجتمع

العامة، يؤدي ذلك إلى التجلي أو عدم التجلي، التجلي إذا عكست القيم الموجودة في المجتمع وعدم التجلي إذا لم تعكسها، و لا يمكننا أن نتصور أن الصحافة الفرنسية المكتوبة يمكن أن تعادي النظام الاجتماعي الذي تنتمي إليه، والاختلاف يمكن أن يكون في الشكل أو في الأسلوب أو في الدرجة، لكن الاتفاق في الهدف موجود ودائما.

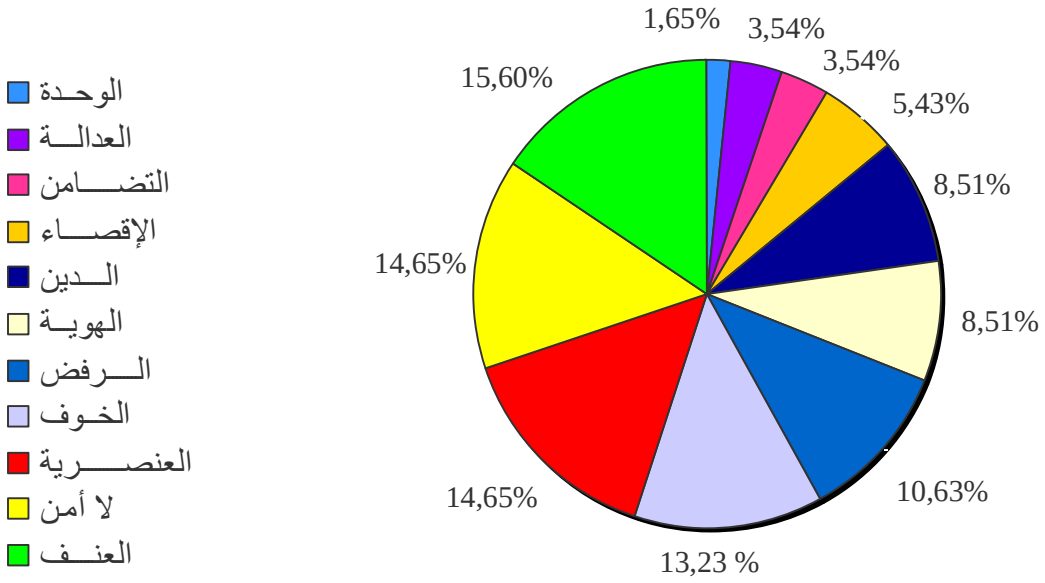

بيان رقم 10: القيم في موضوع الهجرة المغاربية

ان كانت القيم الصحافية تابعة لقيم المجتمع، فإن القيم الصحافية الفرنسية تحاول ضبط قيم المجتمع في المواضيع المتعلقة بالهجرة المغاربية، و ذلك من خلال الصورة التي ترسمها الصحافة للمجتمع المستهلك لها. و باعتبار أن الأحداث المتعلقة بالهجرة أحداث عـــرضية بالنسبة للصحافة الفرنسية المكتوبة، فهي تمارس تأثيرها على قيم الأخبار المتعلقة بها. الشيء الذي ادى إلى بروز المصلحة الذاتية في الأخبار دون مراعاة لقيم المجتمع، ويكون ذلك عند وجود مصلحة عامة للمجتمع أو السلطة أو ذاتية لصاحب الرسالة الإعلامية أو الممول. فالتمايز بين الأنظمة الاجتماعية عل مستوى العام يفرض وجود تمايز على مستوى السياسات الإعلامية وعلى مستوى طبيعة القيم الإخبارية و الصحافية التي تقدم في

كل نظام. و منه فالفهم الدقيق للقيم الصحافية في أي مؤسسة إعلامية يخضع إلى فهم طبيعة النظام الاجتماعي وطبيعة الحادثة أو الواقعة التي ستوصلها إلى الجمهور.

و مثلما يبرزه الرسم البياني رقم (10) المبين لتكرار القيم في موضوع الهجرة المغاربية، فقد جاءت القيم متباينة في نسبـــها المئوية كما أنها جد متقاربة إن لم نقل أنها متداخلة فيما بينها، فجاءت فيم العنف في المرتبة الاولى بنسبة مئوية تقدر بـــ (15.60%) ثم قيم عدم الإقرار و الإحساس بتواجد الأمن و كذا العنصرية في المرتبة الثانية بنسبة (14.65%)، تليها بعد ذلك قيم الخوف (13.23%)، الرفض(10.63%)، الهوية (08.51 %) و الدين(8.51%). في الخير كل من قيم الإقصاء (5.43%)، التضامن (3.54%)، العدالة (3.54 %) و الوحدة (1.65%). و ما نلاحظه في هذا التوزيع، هو سلبية معظم القيم، إذ ركزت الجريدة على أربع قيم أساسية في محتوى التحليل، هي قيم العنف، اللامن، العنصرية و الخوف. و جاءت هذه القيم تبعا لطريقة متابعة الأحداث المتعلقة بالمهاجرين المغاربيين، و التي كانت تعتمد على الخبر الذي تبني

عليه منشوراتها. و لكثرة القيم المتحصل عليها من خلال إفراغ البيانات، نخلص إلى أنها مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا، فالعنف يولد عدم الإحساس بالأمن و كذا العنصرية، و بالتالي الرفض و المطالبة بالعدالة و الإنصاف.. مما سبق، نخلص ان القيم جاءت في معضمها سلبية بمجموع سبع قيم من عشر. كما لحضناه في مؤشر مراكز الاهتمام، ركزت جريدة Le Figaro على الأحداث و الظواهر السلبية للمهاجرين المغاربيين. الشيء الذي جعل القيم سلبية في معضمها و بقوة كبيرة.

جدول رقم 13: تكرار القيم في موضوع المسيرات

القيم / الأعداد	الخوف	الرفض	الدين	العنف	∑
1	-	-	-	-	-
2	-	-	-	-	-
3	-	-	-	-	-
4	-	-	-	-	-
5	-	-	-	-	-
6	4	1	1	6	12
7	2	-	6	6	14
8	-	-	-	-	-
9	-	-	-	-	-
10	-	3	-	-	3
11	-	-	-	-	-
12	-	-	-	-	-
∑	6	4	7	12	29
٪	20.68	13.79	24.13	41.37	100

جاء تكرار القيم في موضوع المسيرات مثلما يبينه الجدول رقم (13) الخوف في المرتبة الثالثة و بنسبة(20.68%) ، إذ كانت معظم المسيرات معبرة عن خوف المغاربيين من استمرار ماساتهم و كذا الخوف من المصير المجهول الذي ينتظرهم. و كذا كان الفرنسيين يبدون خوفا كبيرا اتجاه المغاربيين و ما هم قادرين على فعله. و عبر كلاهما عن الرفض، رفض الفرنسيين للعنف و الدين معا، بينما رفض المغاربيون سياسة التهميش و اللامساوات. فجاءت قيم العنف في المرتبة الأولى و بنسبة (41.37%)، إذ و كما سبق ذكره، اخذ العنف الحصة الأكبر على كل الأصعدة. فيما جاءت قيم الدين بنسبة (24.13%)، و قيم الرفض بنسبة (13.79%).

جدول رقم 14: يبين توزيع القيم في موضوع الانحراف

القيم / الأعداد	العنف	الأمن	العنصرية	الخوف	التضامن	الوحدة	الرفض	∑
1	1	1	-	2	-	-	1	5
2	2	1	-	-	-	-	-	3
3	2	3	-	-	-	1	1	7
4	-	2	4	6	-	-	-	12
5	-	-	-	-	-	-	-	-
6	2	1	-	1	-	-	-	4
7	10	6	-	-	-	-	-	16
8	1	-	4	-	-	-	-	5
9	-	-	-	-	4	2	-	6
10	-	-	-	-	-	-	-	-
11	-	-	2	-	-	-	-	2
12	-	-	-	-	-	-	-	-
∑	18	14	10	9	4	3	2	60
٪	30	23.33	16.66	15	6.66	5	3.33	100

و في موضوع الانحراف يبين الجدول رقم (14) توزيع القيم فيه إذ جاءت فيم العنف في المرتبة الأولى بنسبة 30 بالمائة لتليها قيم الأمن بنسبة (23.33%)، ثم العنصرية بنسبة (16.66%) و الخوف (15%). و أخيرا قيم التضامن، الوحدة و الرفض بقيم نسبها المئوية ضعيفة جدا. و ما نلاحظه هنا هو الارتباط الوثيق بين هذه القيم، فلا عنف بلا خوف، و لا خوف بلا رفض، و لا وحدة بلا تضامن.. و هكذا. القيم الواردة في موضوع المواجهات و التي يبينها الجدول رقم (18)، جاءت تقريبا القيم المستخرجة في موضوع الانحراف، ذلك للتقارب الموضوعين، إذ كانا يُـعالجان دوما بنفس القيم، السمات و الاتجاهات. فنـُسِّبت قيم العنف، الأمن و العنصرية بنسب مئوية جد متقاربة تتمثل على التولي في (27.27)، (23.63) و (20%). و لم يخلو موضوع المواجهات من قيم الإقصاء(10.90%)، الرفض (7.27%)، الخوف (7.27%)، التضامن (3.63%)

جدول رقم 16: يبين توزيع القيم في موضوع المطالب

تكرار القيم في موضوع الحوارات كما جاء في الجدول رقم (15)، بين أن الحوارات بمختلفها، تضمنت قيمتين أساسيتيـــن الخوف (31.16%) و العنصرية (24.67%). إذ طغت العنصرية في حوارات المهاجرين، سواء كانت الحوارات بينية فيم بينهم أو مع مختلف الأطراف الأخرى، رسمية كانت أم غير رسمية، و إضافة إلى العنصرية، جاء في حواراتهم كل من القيم الدينية (16.88%) و قيم الهوية (11.68%)، و قيم الإقصاء(9.09%). و كانت قيم الخوف غالبة على حوارات الفرنسيين بمن فيهم من سلطات و أحزاب سياسية، حركات و جمعيات و المجتمع ككل. في حين جاءت قيم الرفض مشتركة و بنسبة (6.49 %).

القيم الأعداد	الهوية	الأمن	التضامن	العدالة	العنصرية	الرفض	الوحدة	∑
1	-	1	-	1	-	-	-	2
2	-	-	-	-	-	-	-	-

جدول رقم 17: يبين تكرار القيم في موضوع التصريحات

5	-	-	-	-	-	2	-	2
6	7	9	2	-	-	-	-	18
7	8	2	4	6	-	-	-	20
8	-	-	6	3	-	-	-	9
9	-	-	-	-	-	-	-	-
10	-	-	-	-	-	-	3	3
11	2	-	-	-	-	1	-	3
12	-	1	1	1	5	2	1	11
∑	17	13	13	11	5	5	4	68
٪	25	19.11	19.11	16.17	7.35	7.35	5.88	100

أما في موضوع المطالب و كما بينه الجدول رقم (16) المبين لتوزيع القيم فيها. فكانت قيم الهوية (25%) اكبر محتويات المطالب من حيث القيم، إذ طالب المهاجرين و الفرنسيين معا بهويتهما. فالمهاجرين الرافضين للانصهار طالبوا من السلطات الفرنسية و المجتمع الفرنسي بالاعتراف بهويتهم و قبولهم و إدماجهم في المجتمع بهويتهم العربية الإسلامية المغاربية، في حين طالب و تساءل الفرنسيين عن هوية مجتمعهم الذي يلم بأكثر من 70 جنسا بشريا و مهاجرين من أكثر من 130 دولة عبر العالم. بنسبة مئوية متساوية جاءت قيم كل من الأمن و التضامن (19.11%)، إذ طلب المهاجرين تضامن أبناء جنسهم على اختلاف وضعياتهم و مكاناتهم الاجتماعية بالتضامن معهم وتحقيق الوحدة في فيما بينهم، كما أنهم طالبوا الجميع بالوقوف إلى جانبهم قصد تحقيق قيم العدالة (16.17%)، و محاربية العنصرية (7.35%) و القضاء عليها.

القيم / الأعداد	الرفض	العنصرية	الأمن	العنف	الخوف	الهوية	الدين	∑
1	-	-	-	-	-	-	-	-
2	-	-	-	-	-	1	-	1
3	1	2	2	2	-	-	1	8
4	-	-	-	-	-	-	-	-
5	3	11	-	-	-	-	-	14
6	10	3	9	10	5	5	-	42
7	-	-	-	-	-	-	-	-
8	-	-	2	-	4	-	-	6
9	-	-	-	-	-	-	-	-
10	6	-	-	-	-	-	3	9
11	-	1	-	1	1	-	-	3
12	-	-	-	-	-	-	-	-
∑	20	17	13	13	10	6	4	83
٪	24.09	20.48	15.66	15.66	12.04	7.22	4.81	100

تحليلنا للجدول رقم (17) المبين لتكرار القيم في موضوع التصريحات، ابرز تقدم قيم الرفض (24.09%) و العنصرية (20.48%)، إذ عبَّرت معظم التصريحات و من معظم الجهات عن رفضها للحالة التي يعيشها المجتمع الفرنسي بما فيه من مغاربيين و أفارقة. في حين كانت قيم العنصرية بادية فقط في تصريحات المهاجرين و ممثليهم من حركات و جمعيات. و في التصريحات دائما جاءت قيم الأمن و العنف متكافئة و بنسبة (15.66%) فالكل كان يطالب بالأمن في تصريحاته و نبذ العنف وما لحظناه هنا في المعالجات الإعلامية للجريدة محل الدراسة، هو عدم تطرقها لتصريحات المهاجرين المضادين للعنف كوسيلة للتعبير و المطالبين برجوع الاستقرار الأمني بالعدول عن أعمال العنف و الشغب كما بينته معظم القنوات التلفزيونية الفرنسية آنذاك. لتليها بعد ذلك، قيم كل من الخوف (12.04%) و الهوية (7.22%) وأخيرا القيم الدينية بنسبة (4.81%).

2.5. الموضوعية في جريدة (Le Figaro)

1.2.5. تحليل مؤشر منشأ الحدث:

من خلال الجدول رقم (27) جاءت المدن الفرنسية اكبر ممثل للأحداث التي جرت بها أحداث المهاجرين المغاربيين طيلة الفترة الزمنية محل الدراسة، و ذلك بنسبة (40.50%) إذ جاءت الأحداث متفرقة من حيث منشأ الحدث بين مختلف المدن الفرنسية، و نخص بالذكر هنا أن معظم الأحداث المتناولة حدث في الأحياء ذات الكثافة السكانية المغاربية الكبيرة، أو ما يعرف بأحياء أطراف المدينة، أما في الصف الثاني و بنسبة (28.48%) جاءت ضواحي العاصمة الفرنسية باريس، إذ كانت هذه الأخيرة مسرحا لأولى أحداث الشغب بباريس و الضواحي نهاية شهر أكتوبر 2005، و عدا بعض الأحداث الأمنية و أحداث الانحراف، فقد أخذت ضواحي باريس حصة كبيرة من أحداث الشغب بباريس إذ ضلت الضواحي مسرحا لكل أحداث باريس ولمدة فاقت الثلاث أسابيع. و كانت الضواحي مسرح لكل ظواهر اللاامن، الشغب و المواجهات. أما باريس فجاءت في المرتبة الثالثة و بنسبة (13.29%) إذ و بالإضافة إلى أحداث الشغب، كانت باريس و باعتبارها العاصمة السياسية و الاقتصادية لفرنسا، منشأ كل الأحداث السياسية من اجتماعات، تصريحات، إجراءات، حوارات، و غيرها من الأحداث التي كانت لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بأزمة الضواحي الباريسية و كل ما يتعلق بالهجرة المغاربية عموما. و في الأخير كانت المدن الأوربية (غير الفرنسية) منشأ بعض الأحداث كالاجتماعات و الملتقيات التي انعقدت خارج التراب الفرنسي، و الهادفة لحل أزمة الضواحي الباريسية و المهاجرين القاطنين بها. و إضافة لذلك كانت اكبر المدن الأوربية مسرحا لأحداث شغب تزامنت و أحداث باريس و نذكر على سبيل ذلك، العاصمة البلجيكية (بروكسل)، العاصمة الهولندية (امستر دام) و عديد من المدن الألمانية و الإيطالية.

2.2.5. تحليل مؤشر الفاعلين

الصحافة الفرنسية المكتوبة فاعل أساسي في إقصاء و تهميش المغاربة و أدى تجاهلها لهم و لأوضاعهم المزرية التي يعانونها على جميع الأصعدة، إلى خلق أزمة تدخل باعتبارها في سياق أزمة مركّبة بين الإسلام والغرب ولها أبعاد أخرى غير دينية، و ما دام هذا المنطق سائدا فأننا سوف نظل نعيش في حلقة مفرغة من الصراع وسوء الفهم المتعمد بين المغاربيين و الفرنسيين. وهذا الأمر يؤكد أن هناك أزمة محتقنة في علاقات الجانبين باعتبارهم فاعلين أساسيين و مباشرين، وان أحد الأطراف الفاعلة وهو فرنسا، التي لا تستطيع أن تخفي عداءها للآخر كلما حانت لها الفرصة.

في ضوء هذه المشاهدات يمكن القول انه إن كانت نظرية صراع الحضارات أصبحت واقعاً معاشاً، وهناك الكثير من المؤشرات التي تؤكد ذلك، خاصة ان الأطراف المنتمية للثقافتين العربية الاسلامية و الغربية الفرنسية بها من يعملون على تفعيل هذه النظرية مدفوعين بمصالح ضيقة، مستعملين بذلك جل وسائل الإعلام بما فيها الصحافة المكتوبة. إلا أن الحقبة التي نعيشها حالياً ومنذ نهاية أحداث باريس و الضواحي، أفرزت تطورات متعددة على رأسها حضور الثقافة المغاربية العربية بدينها الإسلامي كعامل لا يمكن تجاهله في التفاعلات الإنسانية الفرنسية، وعلى رأسها بالطبع العلاقات الدولية، الأمر الذي جعل الفاعلين الدوليين التقليديين، أي الدول والمنظمات الدولية الرسمية، يضعون هذا العامل نصب أعينهم وهم يخططون لسياساتهم الخارجية.

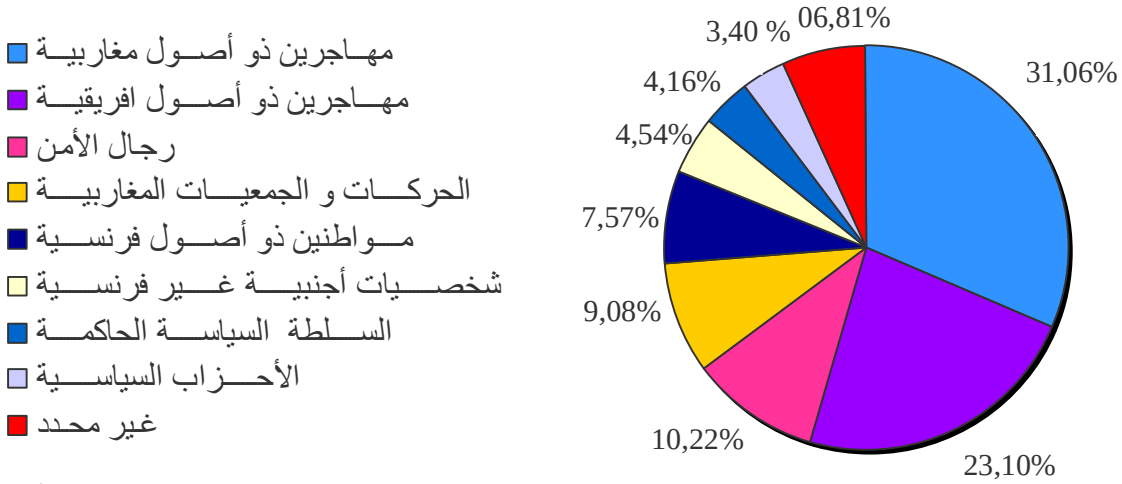

بيان الجدول (28): الفاعل في مواضيع الهجرة المغاربية بفرنسا

الفاعل في المواضيع المُعالجة للهجرة المغاربية بفرنسا، كان ممثلا في جريدة Le Figaro، في 9 أطراف، كما هو ممثل في الجدول رقم 28. و كان المهاجرين ذوي الأصول المغاربية و المهاجرين ذوي الأصول الإفريقية، اكبر الفاعلين في جل المواضيع، إذ طالما التقى الفئتين في أكثر من نقطة، ففي الواقع فان لكليهما نفس الثماثلات و العقائد و العادات، و كليهما يتميز عن باقي الفئات الاجتماعية الفرنسية أو غيرها من فئات مهاجرة إلى فرنسا. و كليهما غير مرغوب فيه بفرنسا، و خير دليل على ذلك التهميش و الإقصاء و انعدام فرص الشغل و غيرها من المشاكل التي يواجهها الأفارقة و المغاربيين. الشيء الذي ساعد الجريدة أثناء معالجتها الصحافية في وضع الفئتين في نفس البوتقة، فمثلت الفـــئتين أكثر من النصف (54.16%) من مجموع الفاعلين في المواضيع المتعلقة بالهجرة المغاربية، خاصة بعد أحداث باريس و الضواحي. فجاءت نسبة المهاجرين ذوي الأصول المغاربية (31.06%) أما المهاجرين ذوي الأصول الإفريقية (23.10%)، إذ نسبت إليهما كل الأفعال السلبية من: انحراف، سرقة، سطو، اعتداء، ضرب، شتم، عصيان مدني.. و غيرها. و ذلك كلما تطرقت الجريدة في مقالاتها إليهما. في حين جاءت النسبة الممثلة لرجال الأمن

(10.22%) و هي مقاربة جدا للنسبة الممثلة للحركات و الجمعيات المغاربية (9.08%). فكان الدور الأول الذي لعبه رجال الأمن (حسب الجريدة) هو إقرار الأمن و السهر على امن المواطنين و ممتلكاتهم، فكان هؤلاء أبطال حسب ما جاءت به مقالات الجريدة، لكن ما لم تتطرق إليه الجريدة هو استفزازهم للمهاجرين و الطريقة التي يعاملونهم بها، علما أن تحول كل المسيرات المنضمة و السلمية إلى أحداث دموية و أحداث شغب، كان سببه الأول و الأخير رجال الأمن، من خلال استفزاز المهاجرين و إهانتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. الشيء الذي كان يخرج مسار الأمور من مجاريها. و ما إشعال نار أحداث الشغب بباريس و ضواحيها نهاية عام 2005 من طرف رجال الأمن، لخير دليل على مسؤوليتهم كفاعلين سلبيين عن الهيجان الذي تعرفه الجالية المغاربية و الإفريقية بفرنسا. بنسب مئوية اقل جاء المواطنين ذو الأصول الفرنسية (7.57%)، إذ دوما وضعتهم الجريدة موضع الضحية، لتليهم الشخصيات الأجنبية غير فرنسية (4.54%) و السلطة السياسة الحاكمة (4.16%) و الأحزاب السياسية (3.40 %)، اذ حاول جميعهم تهدئة الوضعية و مناشدة الأمن و الطمأنينة من خلال اندماج أو بالأحرى انصهار الفئات المهاجرة في تركيبة المجتمع الفرنسي. عدا السلطة الحاكمة التي لعبت دور الفاعل السلبي حينما أمرت الشرطة بمداهمة منازل المهاجرين قصد التفتيش و الاحتجاز دون إذن قضائي لذلك، و كذا حملات التفتيش و التوقيف اللامشروطين، و إقرار حالة الطوارىء و حضر التجوال. و في الأخير نشير انه و في الجريدة جاء هناك فاعلين لم نستطيع تحديد هويتهم بنسبة (6.81%).

استحوذ المهاجرين ذوي الأصول المغاربية، ذوي الأصول الإفريقية و الفرنسيين الحصة الأكبر من مجموع الفاعلين في كل من مواضيع المسيرات الانحراف و المطالب، مع التقدم الكبير في نسب المهاجرين المغاربيين عن نظرائه.

جدول رقم 20: توزيع الفاعل في موضوع المسيرات

الفاعل / الأعداد	مهاجرين ذو أصول مغاربية	مهاجرين ذو أصول افريقية	مواطنين ذو أصول فرنسية	∑
1	-	-	-	-
2	-	-	-	-
3	-	-	-	-
4	-	-	-	-
5	1	-	-	1
6	-	-	-	-
7	3	2	3	8
8	-	-	-	-
9	-	-	-	-
10	1	1	-	2
11	-	-	-	-
12	-	-	-	-
∑	5	3	3	11
٪	45.45	27.27	27.27	100

جدول رقم 21: توزيع الفاعل على موضوع الانحراف

الفاعل / الأعداد	مهاجرين ذو أصول مغاربية	مهاجرين ذو أصول افريقية	الحركات و الجمعيات المغاربية	مواطنون ذو أصول فرنسية	∑
1	3	2	-	-	5
2	2	1	-	-	3
3	4	1	-	-	5
4	4	5	-	-	9
5	-	-	-	-	-
6	6	2	-	-	8
7	6	2	2	-	10
8	2	3	-	-	5
9	10	2	-	1	13
10	-	-	-	-	-
11	1	4	-	-	5
12	-	-	-	-	-
∑	38	22	2	1	63
٪	60.31	34.92	3.17	1.58	100

ففي موضوع المسيرات و كما يبرزه الجدول رقم (29) جاء المهاجرين ذوي الأصول المغاربية قي الصف الأول بنسبة (45.45%) مقابل (27.27%) لكل من مهاجرين ذو أصول افريقية و الفرنسيين، أما موضوع الانحراف و من خلال الجدول رقم (21)، فقد تصدر المهاجرين ذو الأصول المغاربية و بفارق كبير الفاعلين الاخرين، حيث بلغت نسبة توزيعهم (60.31%)، مقابل (34.92%) للمهاجرين ذو الأصول الإفريقية. و بنسب ضعيفة و متقاربة جاءت الحركات و الجمعيات المغاربية (3.17%) و المواطنين ذوي الأصول الفرنسية (1.58%). و في موضوع المطالب الذي يبين الجدول رقم (32) توزيع الفاعل فيه، فجاء المغاربيين بنسبة (27.58%) مقابل (20.68%) للأفارقة و(34.10%) للفرنسيين و(24.13%) للحركات و الجمعيات المغاربية و(17.24%) لفاعلين لم نستطيع تحديد هويتهم.

أعطيت الأولوية للشخصيات الأجنبية غير الفرنسية في الحوارات فجاءت بنسبة (28.56%) كما يبرزه الجدول رقم (22) لتلعب دور الحكم بين فرنسا و مهاجريها الذين لعبوا دور الفاعل فيها بنسبة (17.85%) لذوي الأصول المغاربية و (10.71%) لذوي الأصول الإفريقية، و كان كذلك للحركات و الجمعيات المغاربية (14.28%) دورا هاما كفاعل في الحوارات المتعلقة بالمهاجرين خاصة أثناء و بعد أحداث باري، إذ لم يكن خيار للسلطة السياسة الحاكمة (7.14%) سوى الحوار مع هذه الحركات و الجمعيات قصد تهدئة الوضع، كما يجدر بنا أن نشير أن السلطة و الأحزاب السياسية (7.14%) استعملت هذه الحركات و استغلتها كوسيلة لإطفاء نار المهاجرين بالوعود التي تبين أنها كاذبة مع مرور الوقت.

جدول22

جدول24-25

تقاسم دور الفاعل في موضوع المواجهات كل من رجال الأمن (33.33%)، مهاجرين ذو أصول افريقية (30.15%) و المهاجرين ذوي الأصول المغاربية (26.98%) بنسب متكافئة، كما يبينه الجدول رقم (25)، و لعب المهاجرين دور المجرم الشرير، و رجال الأمن دور البطل الذي انقذ فرنسا من حريق مهول على حد تعبير الجريدة. في حين جاء المواطنين ذوي الأصول الفرنسية بنسبة (6.34%) و الحركات و الجمعيات المغاربية بنسبة (1.58%). و في موضوع التصريحات كما جاء في جدول رقم (24) فقد لعبت الحركات و الجمعيات المغاربية دور الفاعل الأول بنسبة (22.22%) رفقة السلطة السياسة الحاكمة (13.88%) لما أدليا به من تصريحات و تبادل للتهم و جاء المغاربيين، الفرنسيين، شخصيات أجنبية غير فرنسية و الأحزاب السياسية بنفس النسبة المئوية كفاعلين في موضوعات التصريحات و هي (11.11%)، و أخيرا مهاجرين ذو أصول افريقية (5.55%). و أخيرا و في توزيع الفاعل على موضوع الإجراءات فجاء المهاجرين ذو الأصول المغاربية بنسبة (25%)، و الذي لم نفهمه هنا، هو ما الإجراءات التي اتخذها الشباب سليل الهجرة المغاربية حتى يأخذ كل هذا الحيز !! خاصة اذا كانت نسبتهم كفاعلين في موضوع الاجراءات تفوق نسبة الرجال الأمن و القدرة بـــ (18.75%)، و نسبة السلطة السياسة الحاكمة (12.5%). فيما عادت الأدوار الثانوية للأفارقة و الفرنسيين بـــ (9.37%).

2.1.5. تحليل مؤشر القيم:

تُعرف القيم بأنها عبارة عن المعتقدات التي يحملها الفرد نحو الأشياء والمعاني وأوجه النشاط المختلفة، والتي تعمل على توجيه رغباته واتجاهاته نحوها، وتحدد له السلوك المقبول والمرفوض والصواب والخطأ، وتتصف بالثبات النسبي. فالقيم هي مجموعة المعايير المادية والذهنية التي على أساسها يتم تحويل الحدث إلى خبر صحفي، فهي الصفات التركيبية المرتبطة بالتفاعل بين الحدث والجمهور وهي التي تكشف عن جوهر الحدث وعن استخدامه الاجتماعي أي تحويله إلى موضوع للإطلاع والمعرفة والفهم.

للقيم الإخبارية مجموعة من العناصر التي تقوم عليها كي تجعل من الحدث يرتقي إلى مستوى الخبر الذي يهم الجمهور، وهذه العناصر تختلف يبن الباحثين في مجال الإعلام كما أن القيم الإخبارية هي من أغوص معاني البنيات في المجتمع المعاصر وذلك لما تحمله من معان إيديولوجية وذهنية، أي أن التمايز في الأنظمة الاجتماعية والسياسية و القيمية والإعلامية على مستوى العالم له أثر في إيجاد اختلاف للقيم الإخبارية التي يقدمها كل نظام. فدلالة القيم الإخبارية تدل على وجود بنية معقدة للخبر على أساس أبعاد القيمة المتعددة، نظرية أو نفعية، فكرية أو إيديولوجية أو دينية. و الفهم الدقيق للقيم الإخبارية يقوم على أساس فهم مغزى الحادثة التي ستنقل إلى الجمهور، وتفاعلها مع الوسيلة الإعلامية، فلكل وسيلة إعلامية قيمها الإخبارية الخاصة بها التي تنبع من طبيعتها.

العناصر المحددة للقيم التي اعتمدناها في جريدة Le Figaro

- التأثير: يقصد به إثارة اهتمام أكبر عدد من الناس. فمن الأخبار ما يمس جماعة قليلة من الناس في المجتمع فلا يؤبه له كثيراً في الصحف. و من الأخبار ما يمس أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع كاللامن و السرقة مثلا، أو يمس مرفقاً من أهم المرافق الحيوية في هذا المجتمع، أو يمس مشكلة من أكبر المشكلات السياسية أو الخلقية أو الاقتصادية التي تهم المجتمع الفرنسي كاندماج المهاجرين المغاربيين، أو الإسلام مثلا، و لذلك تخصص الصحافة المكتوبة لهذا الخبر الضخم مكاناً ظاهراً في صدرها. وعنصر الضخامة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدلالة الإعلامية، ومدى

اهتمام الناس بها. تقول القواعد الأولى في علم حساب الأخبـــار أن نبأ حادثة أصابت ألف شخص أهم من نبأ حادثة أخرى أصابت 100 وقرار قاض في المحكمة أو تفسيره لإحدى مواد القانون إجراء فني بحث، ولكنه في الوقت ذاته يؤثر في حياة الملايين ويستطيع الصحفي أن يكتب موضوعاً مثيراً يبين فيه نتائج القرار على حياة العامة. (و يجب التأكيد على تأثير الخبر لأنه قد لا يفهم الجمهور تأثيرات بعض الأخبار في بعض الأحيان لتشابك الموضوع أو لتداعياته التي تكون معقدة الفهم).

- الشهرة: يقال أن الأسماء تصنع الأخبار وأن الأسماء اللامعة تصنع الأخبار الهامة. وكل إنسان يحب الأبطال و الساسة البارزين في الهيئة الاجتماعية، وكذلك يحب الرياضيين والفنانين وملايين من الفرنسيين يقرؤون قصص أصحاب الشهرة من الفنانين ومغامرات أصحاب الملايين. وقد تكون الشهرة مؤقتة سواء كانت لأشخاص أو أماكن أو أشياء أو حوادث تثير اهتمام القراء، مثل المعركة الانتخابية لرئاسيات 2007 بفرنسا، أو أنفلونزا الطيور بأوروبا، وقد يستمر أثرها على الناس كون الملايين منهم سيصر على معرفة التفاصيل. مثلا معرفة حكم محاكمة الإمام الذي أباح ضرب الزوج لزوجته و كذا تعدد الزوجات. لكننا في المقابل لا ينبغي أن نسلم بالمبدأ القائل أن الأسماء تصنع الأخبار، لأنه ليست كل أفعال الشخصية الشهيرة تعد أخبار ولكن يجب وجود عناصر أخرى من عناصر القيمة الخبرية.
- الصراع: هناك مثل هولندي شائع يقول أن الأخبار الجيدة تمشي والأخبار السيئة تجري. وكهذا بالنسبة للصحافة الفرنسية المكتوبة، اذ تتبع دوما الأخبار التي تتمتع بالسلبية وخصوصا إذا وجد الصراع بين جهتين أو أكثر، كما أصبحت ظاهرة الهجرة و الهجرة السرية، تتصدر اهتمامات وسائل الإعلام بمختلف أشكالها وأنواعها... فرضت مواضيع ظاهرة الهجرة نفسها وأصبحت اللغة الأكثر تداولاً في العالم تماما كظاهرة الإرهاب، وأصبحت ظاهرة الهجرة من القيم الخبرية التي تعتمدها الجرائد والمجلات ومختلف وسائل الإعلام الفرنسية و العالمية، كما أصبحت الجرائد تتفنن في تقديم صور مختلفة عن المهاجرين التي أصبحت تنشر يوما بعد يوم في دول عديدة من العالم.. وبالنسبة لمعظم وسائل الإعلام الغربية

وخاصة تلك التي تركز على الإثارة وعلى بيع الغرابة والعنف والجريمة فإن الهجرة تعتبر مادة دسمة مربحة تساعد المؤسسة على زيادة المبيعات وجني أرباح طائلة، فالهجرة و بفعل الصحافة الفرنسية المكتوبة أصبحت لغة هذا القرن بفرنسا.

- التداول: وهذا العنصر يمثل خاصية الاستمرار في تداول الخبر حتى يأخذ جدارته وأهميته الصحفية ويجعل من المجتمع يتغير تجاه قضية ما كانت تبدو صغيرة. و ذلك بقيم رجال الإعلام الأكثر نفوذا، ولكن مع الاستمرارية في تداول هذا الموضوع يصبحا حدثا هاما بالنسبة للجمهور.
- الغرابة: إن كل ما هو غريب و طريف لا يمكن أن يُــهمل بمجرد اختفاء العناصر الإخبارية الأخرى، بل يكفي أن يكون غريباً لكي يكون خبراً، ذلك أن مثل خبر تعدد الزوجات أو إباحة ضرب الرجل لزوجته، قد يعيش في أذهان جمهور القراء أكثر مما يعيش خبر استقالة موظف كبير بسبب خلافه مع بعض زملائه في العمل، وتذهب صحيفة Le Figaro إلى أن عناصر التسويق و الإثارة والطرافة و الروعة من أهم سمات الخبر الجيد.
- التماثل: هذا يعني درجة التقاء الأحداث مع توقعات الجمهور وتنبؤاته. إذ أن الأخبار لا تنشر إلا بما يخدم قيم الصحافي الذي يكتبها، و كذا قيم الجريدة التي يكتب فيها. و المقصود بالتماثل هنا، هو عدم الخروج عن التماثل الذهني و العقائدي و الديني للمجتمع الفرنسي. و تكمن أهمية الخبر هنا بمجرد خروجه عن هذا التماثل العقائدي الفرنسي.

القيم الإخبارية و القيم الإيديولوجية:

إذا انطوت الأخبار على قيم ما فإنها تنطوي على الإيديولوجية، ومع ذلك فإن الإيديولوجية حاصل جزئي فقط عبر كامل القيم التي هي ليست لا بالمنسجمة تماما ولا بالمندمجة كليا. و معنى ذلك أن القيم الإخبارية هي عبارة عن قيم موافقة للإيديولوجية. ولكي يصبح الحدث في مستوى الخبر ليذاع أو ينشر عبر الصحافة و وسائل الإعلام عامة، يجب أن يتضمن قيمه الإيديولوجية والفكرية أي أن تأثير الإيديولوجية يبرز في عملية اتخاذ القرار بشأن الأحداث التي يجب تغطيتها، وهذه

العملية تكون في أيدي رؤساء التحرير والناشرين والمحررين وحتى المخبرين أثناء جمع الأخبار، وتكون لديهم غالبا أفكار محددة في الطريقة الواجب إتباعها أثناء التحرير، وحتى وإن كان القائم بالاتصال يتمتع بالحرية والاستقلالية إلا أن هناك طريقة ما للتعرض لإيديولوجية ما، كما أن مبدأ الحرية في حد ذاته إيديولوجية أي أن القائم بالاتصال قد تأثر بإيديولوجية الليبرالية، إضافة إلى أن الحرية الإعلامية تؤدي بالشخص لإبداء رأيه بحرية ولا يمكن أن يكون رأي القائم بالاتصال بعيدا عن إيديولوجيته.

أن الإعلام اليوم أصبح أداة أصحاب المال و النفوذ المهيمنة في الحقل الإيديولوجي، فالقيم الصحافية تكتسي القيم الإيديولوجية. كما أن القيم الإخبارية تختلف من صحيفة إلى أخرى باختلاف القيم الإيديولوجية. إذ أن لكل مؤسسة إعلامية ولها قيمها الإخبارية التي تعكس قيمها الإيديولوجية والاجتماعية والفكرية والثقافية والاقتصادية. كما أن لكل وسيلة إعلامية أهدافها التي تراعي القيم الإيديولوجية ولها إعلامها الذي يختلف عن الإعلام الآخر بتحكم الإيديولوجيات المختلفة. فالقيم إذا عبارة عن بنية قيمية وإيديولوجية وذهنية وليست عبارة عن رصد أحداث وقعت أو عناصر إخبارية لا تعكس مضمون القيمة التي يحملها الخبر، نفهم أن الأحداث يجب أن تتضمن قيمة إيديولوجية كي تصبح في مستوى الأخبار الممكن إذاعتها أو نشرها، هذه الإيديولوجية هي فكر المؤسسة الإعلامية أو السلطة السياسية أو المالكين الخواص والممولين.

القيم الإخبارية و القيم المجتمعية.

انه من العبث محاولة الفصل بين القيم الصحافية، القيم الإخبارية والقيم العامة في أي مجتمع، فالقيم الصحافية تتكون بنفس العملية التي تتكون بمقتضاها قيم المجتمع، وما يستنتج من هذا القول أن هناك علاقة ديناميكية جدلية بين القيم الصحافية الإخبارية و الاجتماعية، فنشاط الأولى في أي مؤسسة إعلامية لها أساسها ومرجعيتها في قيم المجتمع كما يمكن أن نجدها متضمنة في الأخبار. وإذا قلنا بأن القيم الصحافية جزء من قيم المجتمع فهذا يعني أن نشاطها لا يكون إلا ضمن وعاء القيم الاجتماعية، فعندما تصطدم تلك القيم الموجودة في الأخبار، قيم المجتمع

العامة، يؤدي ذلك إلى التجلي أو عدم التجلي، التجلي إذا عكست القيم الموجودة في المجتمع وعدم التجلي إذا لم تعكسها، و لا يمكننا أن نتصور أن الصحافة الفرنسية المكتوبة يمكن أن تعادي النظام الاجتماعي الذي تنتمي إليه، والاختلاف يمكن أن يكون في الشكل أو في الأسلوب أو في الدرجة، لكن الاتفاق في الهدف موجود ودائما.

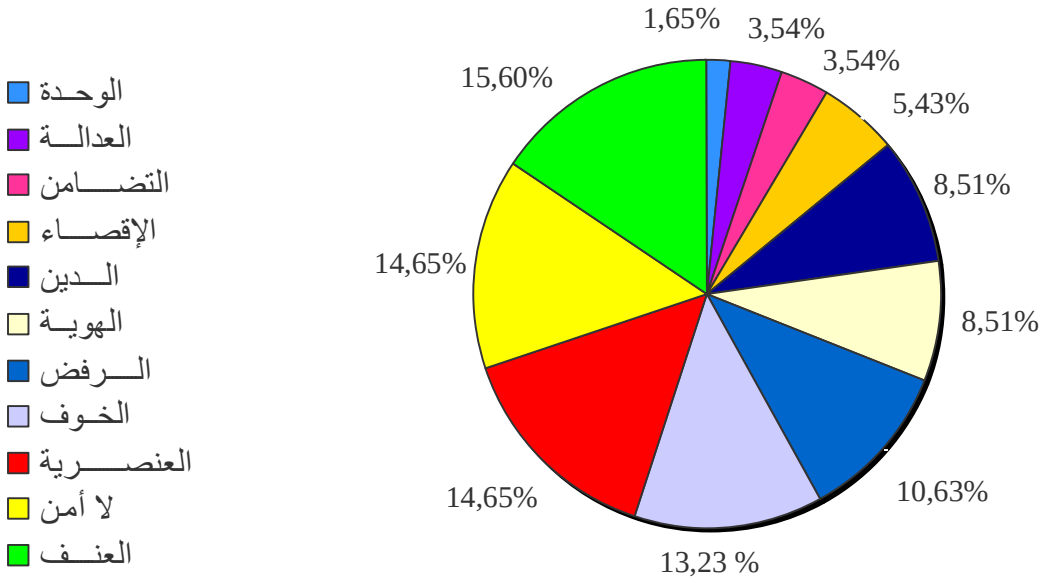

بيان رقم 10: القيم في موضوع الهجرة المغاربية

ان كانت القيم الصحافية تابعة لقيم المجتمع، فإن القيم الصحافية الفرنسية تحاول ضبط قيم المجتمع في المواضيع المتعلقة بالهجرة المغاربية، و ذلك من خلال الصورة التي ترسمها الصحافة للمجتمع المستهلك لها. و باعتبار أن الأحداث المتعلقة بالهجرة أحداث عرضية بالنسبة للصحافة الفرنسية المكتوبة، فهي تمارس تأثيرها على قيم الأخبار المتعلقة بها. الشيء الذي ادى إلى بروز المصلحة الذاتية في الأخبار دون مراعاة لقيم المجتمع، ويكون ذلك عند وجود مصلحة عامة للمجتمع أو السلطة أو ذاتية لصاحب الرسالة الإعلامية أو الممول. فالتمايز بين الأنظمة الاجتماعية عل مستوى العام يفرض وجود تمايز على مستوى السياسات الإعلامية وعلى مستوى طبيعة القيم الإخبارية و الصحافية التي تقدم في

كل نظام. و منه فالفهم الدقيق للقيم الصحافية في أي مؤسسة إعلامية يخضع إلى فهم طبيعة النظام الاجتماعي وطبيعة الحادثة أو الواقعة التي ستوصلها إلى الجمهور.

و مثلما يبرزه الرسم البياني رقم (10) المبين لتكرار القيم في موضوع الهجرة المغاربية، فقد جاءت القيم متباينة في نسبـــها المئوية كما أنها جد متقاربة إن لم نقل أنها متداخلة فيما بينها، فجاءت فيم العنف في المرتبة الاولى بنسبة مئوية تقدر بـــ (15.60%) ثم قيم عدم الإقرار و الإحساس بتواجد الأمن و كذا العنصرية في المرتبة الثانية بنسبة (14.65%)، تليها بعد ذلك قيم الخوف (13.23%)، الرفض(10.63%)، الهوية (08.51 %) و الدين(8.51%). في الخير كل من قيم الإقصاء (5.43%)، التضامن (3.54%)، العدالة (3.54 %) و الوحدة (1.65%). و ما نلاحظه في هذا التوزيع، هو سلبية معظم القيم، إذ ركزت الجريدة على أربع قيم أساسية في محتوى التحليل، هي قيم العنف، اللامن، العنصرية و الخوف. و جاءت هذه القيم تبعا لطريقة متابعة الأحداث المتعلقة بالمهاجرين المغاربيين، و التي كانت تعتمد على الخبر الذي تبني

عليه منشوراتها. و لكثرة القيم المتحصل عليها من خلال إفراغ البيانات، نخلص إلى أنها مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا، فالعنف يولد عدم الإحساس بالأمن و كذا العنصرية، و بالتالي الرفض و المطالبة بالعدالة و الإنصاف.. مما سبق، نخلص ان القيم جاءت في معضمها سلبية بمجموع سبع قيم من عشر. كما لحضناه في مؤشر مراكز الاهتمام، ركزت جريدة Le Figaro على الأحداث و الظواهر السلبية للمهاجرين المغاربيين. الشيء الذي جعل القيم سلبية في معضمها و بقوة كبيرة.

جدول رقم 13: تكرار القيم في موضوع المسيرات					
القيم / الأعداد	الخوف	الرفض	الدين	العنف	∑
1	-	-	-	-	-
2	-	-	-	-	-
3	-	-	-	-	-
4	-	-	-	-	-
5	-	-	-	-	-
6	4	1	1	6	12
7	2	-	6	6	14
8	-	-	-	-	-
9	-	-	-	-	-
10	-	3	-	-	3
11	-	-	-	-	-
12	-	-	-	-	-
∑	6	4	7	12	29
٪	20.68	13.79	24.13	41.37	100

جاء تكرار القيم في موضوع المسيرات مثلما يبينه الجدول رقم (13) الخوف في المرتبة الثالثة و بنسبة(20.68%) ، إذ كانت معظم المسيرات معبرة عن خوف المغاربيين من استمرار ماساتهم و كذا الخوف من المصير المجهول الذي ينتظرهم. و كذا كان الفرنسيين يبدون خوفا كبيرا اتجاه المغاربيين و ما هم قادرين على فعله. و عبر كلاهما عن الرفض، رفض الفرنسيين للعنف و الدين معا، بينما رفض المغاربيون سياسة التهميش و اللامساوات. فجاءت قيم العنف في المرتبة الأولى و بنسبة (41.37%)، إذ و كما سبق ذكره، اخذ العنف الحصة الأكبر على كل الأصعدة. فيما جاءت قيم الدين بنسبة (24.13%)، و قيم الرفض بنسبة (13.79%).

جدول رقم 14: يبين توزيع القيم في موضوع الانحراف

القيم / الأعداد	العنف	الأمن	العنصرية	الخوف	التضامن	الوحدة	الرفض	∑
1	1	1	-	2	-	-	1	5
2	2	1	-	-	-	-	-	3
3	2	3	-	-	-	1	1	7
4	-	2	4	6	-	-	-	12
5	-	-	-	-	-	-	-	-
6	2	1	-	1	-	-	-	4
7	10	6	-	-	-	-	-	16
8	1	-	4	-	-	-	-	5
9	-	-	-	-	4	2	-	6
10	-	-	-	-	-	-	-	-
11	-	-	2	-	-	-	-	2
12	-	-	-	-	-	-	-	-
∑	18	14	10	9	4	3	2	60
٪	30	23.33	16.66	15	6.66	5	3.33	100

و في موضوع الانحراف يبين الجدول رقم (14) توزيع القيم فيه إذ جاءت فيم العنف في المرتبة الأولى بنسبة 30 بالمائة لتليها قيم الأمن بنسبة (23.33%)، ثم العنصرية بنسبة (16.66%) و الخوف (15%). و أخيرا قيم التضامن، الوحدة و الرفض بقيم نسبها المئوية ضعيفة جدا. و ما نلاحظه هنا هو الارتباط الوثيق بين هذه القيم، فلا عنف بلا خوف، و لا خوف بلا رفض، و لا وحدة بلا تضامن.. و هكذا. القيم الواردة في موضوع المواجهات و التي يبينها الجدول رقم (18)، جاءت تقريبا القيم المستخرجة في موضوع الانحراف، ذلك للتقارب الموضوعين، إذ كانا يُـعالجان دوما بنفس القيم، السمات و الاتجاهات. فنـُسِّبت قيم العنف، الأمن و العنصرية بنسب مئوية جد متقاربة تتمثل على التولي في (27.27)، (23.63) و (20%). و لم يخلو موضوع المواجهات من قيم الإقصاء(10.90%)، الرفض (7.27%)، الخوف (7.27%)، التضامن (3.63%)

جدول رقم 15: يبين تكرار القيم في موضوع الحوارات

القيم / الأعداد	الخوف	العنصرية	الدين	الهوية	الإقصاء	الرفض	∑
1	-	-	-	-	-	-	-
2	2	2	-	-	1	-	5
3	-	2	1	1	-	3	7
4	-	-	-	-	-	-	-
5	-	-	-	-	-	-	-
6	12	7	2	4	-	2	27
7	10	2	10	4	5	-	31
8	-	2	-	-	-	-	2
9	-	-	-	-	-	-	-
10	-	4	-	-	1	-	5
11	-	-	-	-	-	-	-
12	-	-	-	-	-	-	-
∑	24	19	13	9	7	5	77
٪	31.16	24.67	16.88	11.68	9.09	6.49	100

تكرار القيم في موضوع الحوارات كما جاء في الجدول رقم (15)، بين أن الحوارات بمختلفها، تضمنت قيمتين أساسيتيـــن الخوف (31.16%) و العنصرية (24.67%). إذ طغت العنصرية في حوارات المهاجرين، سواء كانت الحوارات بينية فيم بينهم أو مع مختلف الأطراف الأخرى، رسمية كانت أم غير رسمية، و إضافة إلى العنصرية، جاء في حواراتهم كل من القيم الدينية (16.88%) و قيم الهوية (11.68%)، و قيم الإقصاء(9.09%). و كانت قيم الخوف غالبة على حوارات الفرنسيين بمن فيهم من سلطات و أحزاب سياسية، حركات و جمعيات و المجتمع ككل. في حين جاءت قيم الرفض مشتركة و بنسبة (6.49 %).

جدول رقم 16: يبين توزيع القيم في موضوع المطالب

القيم الأعداد	الهوية	الأمن	التضامن	العدالة	العنصرية	الرفض	الوحدة	∑
1	-	1	-	1	-	-	-	2
2	-	-	-	-	-	-	-	-
3	-	-	-	-	-	-	-	-
4	-	-	-	-	-	-	-	-
5	-	-	-	-	-	2	-	2
6	7	9	2	-	-	-	-	18
7	8	2	4	6	-	-	-	20
8	-	-	6	3	-	-	-	9
9	-	-	-	-	-	-	-	-
10	-	-	-	-	-	-	3	3
11	2	-	-	-	-	1	-	3
12	-	1	1	1	5	2	1	11
∑	17	13	13	11	5	5	4	68
٪	25	19.11	19.11	16.17	7.35	7.35	5.88	100

أما في موضوع المطالب و كما بينه الجدول رقم (16) المبين لتوزيع القيم فيها. فكانت قيم الهوية (25%) اكبر محتويات المطالب من حيث القيم، إذ طالب المهاجرين و الفرنسيين معا بهويتهما. فالمهاجرين الرافضين للانصهار طالبوا من السلطات الفرنسية و المجتمع الفرنسي بالاعتراف بهويتهم و قبولهم و إدماجهم في المجتمع بهويتهم العربية الإسلامية المغاربية، في حين طالب و تساءل الفرنسيين عن هوية مجتمعهم الذي يلم بأكثر من 70 جنسا بشريا و مهاجرين من أكثر من 130 دولة عبر العالم. بنسبة مئوية متساوية جاءت قيم كل من الأمن و التضامن (19.11%)، إذ طلب المهاجرين تضامن أبناء جنسهم على اختلاف وضعياتهم و مكاناتهم الاجتماعية بالتضامن معهم وتحقيق الوحدة في فيما بينهم،

كما أنهم طالبوا الجميع بالوقوف إلى جانبهم قصد تحقيق قيم العدالة (16.17%)، و محاربية العنصرية (7.35%) و القضاء عليها.

جدول رقم 17: يبين تكرار القيم في موضوع التصريحات

القيم الأعداد	الرفض	العنصرية	الأمن	العنف	الخوف	الهوية	الدين	∑
1	-	-	-	-	-	-	-	-
2	-	-	-	-	-	1	-	1
3	1	2	2	2	-	-	1	8
4	-	-	-	-	-	-	-	-
5	3	11	-	-	-	-	-	14
6	10	3	9	10	5	5	-	42
7	-	-	-	-	-	-	-	-
8	-	-	2	-	4	-	-	6
9	-	-	-	-	-	-	-	-
10	6	-	-	-	-	-	3	9
11	-	1	-	1	1	-	-	3
12	-	-	-	-	-	-	-	-
∑	20	17	13	13	10	6	4	83
٪	24.09	20.48	15.66	15.66	12.04	7.22	4.81	100

تحليلنا للجدول رقم (17) المبين لتكرار القيم في موضوع التصريحات، ابرز تقدم قيم الرفض (24.09%) و العنصرية (20.48%)، إذ عبَّرت معظم التصريحات و من معظم الجهات عن رفضها للحالة التي يعيشها المجتمع الفرنسي بما فيه من مغاربيين و أفارقة. في حين كانت قيم العنصرية بادية فقط في تصريحات المهاجرين و ممثليهم من حركات و جمعيات. و في التصريحات دائما جاءت قيم الأمن و العنف متكافئة و بنسبة (15.66%) فالكل كان يطالب بالأمن في تصريحاته و نبذ العنف وما لحظناه هنا في المعالجات الإعلامية للجريدة محل الدراسة، هو عدم تطرقها لتصريحات المهاجرين المضادين للعنف كوسيلة للتعبير و

المطالبين برجوع الاستقرار الأمني بالعدول عن أعمال العنف و الشغب كما بينته معظم القنوات التلفزيونية الفرنسية آنذاك. لتليها بعد ذلك، قيم كل من الخوف (12.04%) و الهوية (7.22%) وأخيرا القيم الدينية بنسبة (4.81%).

2.3.5. تحليل مؤشر القوالب

الرسالة الصحفية هي الإدارة الصحفية التي تعبر بشكل مباشر عن سياسة الصحيفة وعن آراء كتابها في الأحداث اليومية الجارية، وفي القضايا التي تشغل الرأي العام المحلي أو الدولي. و تقوم الرسالة الصحفية بهذه الوظيفة من خلال شرح وتفسير الأحداث الجارية والتعليق عليها بما يكشف عن أبعادها ودلالاتها المختلفة. و تكون الرسالة في قوالب عديدة.

كان مضمون المواضيع المُــعالجة للهجرة المغاربية موزع على سبعة قوالب الصحفية كما هو ممثل في الجدول رقم (42)، جاء التقرير الخبري في الصف الأول و بنسبة مئوية تقدر بـــ (27.27%)، يليه بعد ذلك كل من الخبر (20%) التحقيق الصحفي (18.18%) و الصورة (16.36 %). و أخيرا في الصف الاخير، التحليل، الحوارات و الآراء و العمود.

جدول رقم 32: يبين توزيع المضمون على القوالب الصحفية

القوالب الأعداد	الخبر	التقرير الخبري	التحقيق الصحفي	آراء و حوارات	التحليل	عمود	صورة	∑
1		2	-	-	1	-	-	3
2	2	3	-	-	-	-	-	5
3	1	1	-	-	-	-	-	2
4	-	-	-	-	-	-	3	3
5	3	-	-	-	-	-	-	3
6	2	6	7	3	5	1	4	28
7	1	3	3	-	-	-	-	7
8	2	-	-	-	-	-	-	2
9	-	-	-	-	-	-	-	-
10	-	-	-	-	-	-	2	2
11	-	-	-	-	-	-	-	-
12	-	-	-	-	-	-	-	-
∑	11	15	10	3	6	1	9	55
٪	20	27.27	18.18	5.45	10.90	1.81	16.36	100

الخبر:

قد يكتف الخبر الصحفي بمعلومة يتم نشرها، هي في الأساس، معلومة لا تحتاج إلى متابعة خبرية، وإنما يأتي النشر بنهاية المعلومة. وقد تكون معلومة الخبر بسيطة، وتنتهي مع نهاية الحدث، وقد لا تكون بسيطة وتحتاج إلى متابعة لفنون تحريرية أخرى أوسع من التناول الخبري، مثل(التحقيقات، الحوارات، والتقارير)، كما أنه ليس ضرورياً عند صياغة الخبر أن يتم عرض التساؤلات السابقة بالترتيب السابق، فقد يكون عنصر المكان (أين) هو أبرز العناصر في أحد الأخبار، أو يكون هو اسم الشخصية التي يدور حولها الحدث (مَنْ) وقد تكون الواقعة أو الحدث ذاته (ماذا) هو محور الاهتمام، وقد يكون عنصر الوقت والزمن هو المهم (متى) وهكذا.

الخبر الصحفي من حيث مضمونه، نوعان. الأخبار البسيطة: وهى نوعية الأخبار التي تدور حول واقعة واحدة مهما تعددت تفاصيلها، ولا تحتاج إلى تفسيرات من جانب المحرر لكونها بسيطة ومعلومات موجزة، والنوع الثاني هو الأخبار المركبة: وهي الأخبار التي تتضمن أكثر من واقعة في الخبر الواحد وتسود هذه النوعية في الأخبار التي ترتبط بالأزمات والكوارث والانقلابات والحروب تماما مثل الذعر الذي أصاب فرنسا و الدول الغربية، بل و العالم ككل، بعد اتساع المنطقة الجغرافية لأحداث الشغب التي انطلقت بباريس، حيث حمل هذا الخبر مضامين عديدة منها أسباب حدوثه، انتشاره إلى المدن الفرنسية، ثم انتشاره في ألمانيا و بلجيكا و باقي الدول الأوربية، ثم ظهور نفس الأحداث في الذكرى الأولى لأحداث باريس، وتقرير لمركز دراسات أوربي يؤكد خطورة المغاربيين و كذا المسلمين على سكان أوربا و الدول الغربية، و أن المتوقع هو كارثة في النظام الاجتماعي الفرنسي خلال العشر سنوات القادمة إن فرنسا لم تجد حلول للشباب سليل الهجرة المغاربية، ثم اتهام التيارات الإسلامية بأنها وراء انتشار هذه الحركات في أوربا. و جاء الخبر في الصف الثاني و بعد التقرير الخبري، و بنسبة (20%). و غلب الخبر المركب على الخبر البسيط. لكن في غالبيته لم يكن خبر الجريدة المتعلق بالمغاربيين بالخبر الموضوعي، إذ لم يحمل الخبر تفاصيل الواقعة أو الحادثة دون زيادة أو نقصان، كما انه لم ينشر كل التفاصيل الخاصة بأحداث الهجرة المغاربية. و كغالبية الصحف في

فرنسا اتسم الخبر في عينات دراستنا، بإرتفاع نسبة عناصر الإثارة، التشويق، الغرابة والضخامة في موضوعات الهجرة المغاربية.

التقرير الخبري:

يقوم التقرير الخبري على شرح وتفسير القيم الإخبارية بالقصة الخبرية المرتبطة بالحدث أو الواقعة، وهو يعنى بتقديم معلومات وبيانات عن خبر أو حدث لم يستطع الخبر الصحفي تناولها، حيث قد تكون هذه المعلومات لها دلالة ثـقافية أو دينية أو اجتماعية، أو تناولها من خلال آراء خبراء ومتخصصين في الموضوع المطروح، وقد يكون هذا التقرير يومياً حيث يلبى احتياجات القراء في التعرف على الخلفيات والتفاصيل التي لم يتسنى نشرها في الأخبار، فهو يقدم معلومات إضافية عن الحدث أو الواقعة. و إستحوذ التقرير الخبري على النسبة الأكبر من مجموع القوالب التي عالجت مغاربيو فرنسا، إذ جاء في الصف الأول و بنسبة (27.27 %). و اتسمت التقارير الخبرية في جريدة Le Figaro بالسطحية و الاستناد إلى أراء خبراء و محللين و شخصيات سياسية معادية للهجرة المغاربية في فرنسا و كذا شخصيات معادية للديانة الإسلامية، في حين انه كان بوسع الجريدة الأخذ بعين الاعتبار أراء محللين و خبراء جزائريين أو تونسيين ذوي وزن علمي عالمي.

التحقيق الصحفي:

يعتبر من أهم الفنون التحريرية في الصحافة الحديثة، فن التحقيق الصحفي، فهو من أحدث الفنون التحريرية في الصحافة وأشملها، فهو يشتمل على بقية الفنون الصحفية الأخرى، كالخبر، الحديث، الرأي، الاستقصاء، أو البحث. فنعني بالتحقيق الصحفي: التحري والبحث والاستقصاء في واقعة أو حادثة أو قضية أو مشكلة، تهم الجمهور أو بعضا منه، ومعرفة الأسباب والدوافع الخاصة بها، والاستماع إلى كل الآراء في هذه الواقعة أو الحادثة أو القضية محور التحقيق، والاستعانة بالمصادر المختلفة المتصلة بالموضوع، سواء كانت حية أم غير حية، وإجراء سلسلة من اللقاءات، والبحث في الوثائق والتقارير والملفات وقد يصل

المحقق الصحفي من خلال عرض مختلف الآراء إلى إصدار حكم في النهاية أو إيجاد حل للمشكلة، وقد يكتفي بعرض جوانب هذه الواقعة أو الحادثة أو القضية فقط.

و مثل التحقيق الصحفي ما تــعادل نسبته (18.18%) من مجموع القوالب الصحفية المعالجة للهجرة المغاربية في جريدة Le Figaro ، إذ كانت المصادر البشرية هي الأساس في مادة التحقيق الصحفي في صحف العينة، و إتضح القصور في إستخدام الحياة اليومية التي يعيشها المهاجر المغاربي كمصدر من مصادر التحقيق، الحياة المشبعة بالأزمات و العراقيل على اختلافها، اجتماعية كانت، سياسية، اقتصادية أو ثقافية. وعدم استغلال المعلومات المنشورة من طرف مصالح الأمن، العدالة و كذا تقارير المستشفيات، إلا بما كان سلبي و مُــبالغ فيه. كما اتسمت تحقيقات صحف الدراسة بالمعالجة الناقصة والقصور في تناول جوانب التحقيق المختلفة.

آراء و حوارات

تقوم الحوارات الصحفية على الحوار بين المحرر الصحفي وشخصيته من الشخصيات، وهو يستهدف الحصول على أخبار أو معلومات أو آراء، أو شرح وجهة نظر معينة. و قد يتم إجراؤه مع شخص واحد فقط، وقد يجرى مع عدة أشخاص. وقد عرفت الصحافة المكتوبة الحوار الصحفي مع مطلع القرن التاسع عشر غير أنه لم يستخدم بشكل عام كفن من الفنون الصحفية إلا مع بداية القرن العشرين، ثم أخذ مكانه في تزايد حتى أصبح واحداً من فنون العمل الصحفي التي لا تستطيع الصحافة أن تقوم بدونه.

جاءت الحوارات و الآراء في جريدة Le Figaro بنسبة (5.45%) من مجموع القوالب. و كانت كل الحوارات، حوارات رأي. حيث يقوم هذا النوع و على عكس الحوارات الإخبارية، باستعراض وجهات نظر لشخصيات بارزة في قضايا الهجرة المغاربية. مثال ذلك إجراء حديث مع وزير الداخلية السابق لفرنسا (رئيس الجمهورية حاليا) حول موقفه من أحداث الشغب عام 2005 و كيفية التعامل معها. أو حديث مع أستاذ بكلية العلوم الاجتماعية (جامعة باريس 08) و رئيس مسجد

باريس حول الإسلام و المغاربيين و فرنسا. اذ يقوم هذا النوع من الأحاديث على الاهتمام بآراء الشخص الذي يجرى معه الحديث الصحفي أكثر من الاهتمام بشخصه، وبالتالي فقد يتضمن الحديث آراء بعضها قد يتفق مع البعض الآخر، والبعض قد يأتي مختلفاً، بما يعنى أن هناك الرأي، والرأي الآخر. و لعل الراي الاخر هو سبب قلة الحوارات و الآراء في الجريدة. اذ ما لحضناه في الحوارات القليلة، هو عدم جمع المعلومات المُــلمة بالهجرة المغاربية و جذور أزمتها المترامية الأطراف، في حين كان الاختلاف واضح و كبير في آراء الشخصيات المغاربية و الفرنسية و كذا أصحاب القرار.

التحليل:

ينقسم الخبر الصحفي من حيث القالب إلى نوعان من الأخبار، منها ما هو مُــفسر ولا يحتاج إلى متابعة تقريرية أو إضافة تحليلية، وهو ذاك الخبر الذي يتم الاكتفاء بنشره دون تحليل أو تفسير أو ذكر تفاصيله أو خلفيات الحدث نفسه هو ما نسميه بالخبر المجرد.

أما النوع الثاني وهو ذاك الخبر متعدد العناصر و الأطراف المتداخلة فيه، و يحتاجهذا النوع من الاخبار إلى تحليلات قبل نشره، حيث تؤدى المعلومات الواردة من خلال تحليل عناصره إلى الإحاطة الشاملة بكل ما يمكن أن يثار في أذهان القراء من تعليقات. وعلى هذا فإن هذه الأخبار تحتاج إلى متابعات و تحليلات تفصيلية لإشباع فضول القراء، وخاصة إذا كانت الأخبار تحظى بأهمية كبيرة، إذ يصبح نشرها في قالب تحليلي من الأمور المهمة لأي صحيفة، والتحليل عمل صعب ويحتاج إلى جهد متواصل ولكنه الشرط اللازم لصنع صحيفة ناجح. و جاءت نسبة التحليلات في جريدة Le Figaro بـــ (10.90%)، و هي نسبة قليلة بالمقارنة مع نظيراتها من القوالب من حيث أهميتها، و كانت التحليلات شانها شان التحقيقات الصحفية من حيث كيفية معالجتها لموضوعات الهجرة المغاربية. و كان من الصعب علينا معرفة أو تمييز هذا القالب عن غيره، إذ أن تحليلات الجريدة للمواضيع غير المتعلقة بالمهاجرين المغاربيين يكون جد دقيق و معمق، يعتمد فيه الصحافي على كل ما

يستطيع كي يكون تحليله يستوفي و يلم بكل أطراف و عناصر الإشكالية المطروحة، بل في غالب الأحيان يذهب هذا الأخير إلى إيجاد حلول الإشكالية (سياسية، اقتصادية، اجتماعية.. و غيرها)، محاولا بذلك تقريب طرفي النزاع. لكن عندما تعلق الأمر بالمغاربيين، كانت معظم التحليلات تفتقر إلى الصدق والموضوعية و الدقة و اتسمت ببعدها عن الاهتمامات الإنسانية، أي محاولة معالجة حالة مرضية اجتماعية، كما أنها تميزت بالضخامة. فزادت تحليلات الجريدة تعقيدا في أمور الهجرة المغاربية بين فرنسيين، مغاربيين و السلطات.

العمود:

هو مساحة محدودة معينة ثابتة في مكان محدد، وفي وقت محدد تعطيها الصحيفة لأحد كتابها الكبار، وتكون ذات عنوان ثابت ولا بد أن يحمل توقيع كاتبه. وليس من الضروري أن يلتزم كاتب العمود الصحفي بسياسة الصحيفة واتجاهاتها، وإن كان متعارفاً على ألا يكون معارضاً لها. فكاتب العمود الصحفي له الحرية في تناول ما يريد من موضوعات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية فيها، يهم الرأي العام ويشغل تفكيره. و كانت للمواضيع المتعلقة بالهجرة المغاربية بفرنسا، نسبة (1.81%) من إجمالي المواضيع التي تناولها العمود كقالب صحفي في جريدة Le Figaro. و تميزت بالغموض و التعقيد الشائك، إذ لم يكن فهمها بالشيء السهل. و تتضح لنا جليا في العموديات المُــيولات الصحافية الشخصية لكتابها و كذا ميولات و اتجاهات الجريدة ككل من الهجرة المغاربية بفرنسا.

الصورة:

لقد سُــمي عصرنا بعصر الصورة في مجالات الإعلام و الاتصال، لاحتلالها موقعا متميزا بين وسائل الاتصال، فهي تستمد تأثيرها في الصحافة المقروءة بفضل عناصرها وبوصفها علامة مباشرة تنقل معلومات وأخبارا وتوثق أحداثا و مواقف إلى قطاعات عريضة من القراء. فهي التي توضح النص وتدعمه بتقديم البرهان الذي يغني النص بعناصر إضافية إعلامية وتعبيرية، ولذا فإن تأثيرها

قد يكون أعمق بكثير من المادة الإعلامية المكتوبة، فتسهم بالتأثير في اتجاهات الرأي العام. و تقوم الصورة الصحفية بدور اتصالي ثنائي فهي رسالة ووسيلة معاً، إذ إنها متاحة للجميع بغض النظر عن مستوياتهم الثقافية والعلمية، كونها لغة عالمية يفهمها الجميع رغم تعدد الأمم والشعوب. وتمتاز الصورة الصحفية كوسيلة اتصالية بسرعة أكبر في لفت نظر القراء واستيعابهم مضمونها وبالتالي تحقيق التأثير المطلوب من خلال الوضوح في التفاصيل والبساطة في المضمون، إضافة إلى مقدرتها الإقناعية، فهي أصدق أدوات الصحف، إلى جانب دورها في إثراء المحتوى من خلال تسجيلها الأحداث ودعمها المادة التحريرية وإضافة الجديد إليها.

الصورة ضمن إطار الاتصال الجماهيري عبارة عن وسيلة اتصال تنقل الرسالة إلى المتلقي بأقل قدر من التحريف والخطأ، فهي تشارك المادة التحريرية وتتفاعل معها لتقديم خدمة صحفية متكاملة لقارئ لا يقنع بالقراءة عن الأحداث وإنما يريد معايشتها. و في إطار العملية الاتصالية، فإنه يتم النظر إلى الصورة بوصفها شكلاً يقوم بدور في جذب انتباه القارئ أو إثارة اهتمامه، ولكن يتم النظر إلى تكوينها وما يحمله من أفكار أو معانٍ، أو يجسد معالم أو أبعاداً، أو يركز على فئات أو شخصيات في إطار الأهداف الاتصالية للمصور والناشر معاً.

ومن هنا فإن الاتصال المصور أصبح في السنوات الأخيرة النموذج الإتصالي الأمثل، وذلك لأن البعد البصري قادر على إثراء الكلمة وإيضاح التفاصيل أكثر من الكلمة المكتوبة والمسموعة.

مثلت الصورة (16.36%) من مجموع القوالب الصحفية التي تطرقت فيها الجريدة لمواضيع الهجرة المغاربية، و لأهميتها و الدور الذي تلعبه، لم تتردد جريدة Le Figaro في استعمالها (الصورة الفوتوغرافية) ضمن الوسائل الساخنة لجلب اكبر عدد من القراء، و تعبئة الجماهير الفرنسية المتعطشة لأخبار الهجرة المغاربية (خاصة أثناء أحداث باريس)، فصور السيارات المشتعلة، الممتلكات العامة و الخاصة المخربة، الشباب سلسل الهجرة المغاربية يضرم النار في كل شيء و الدخان المتصاعد من مختلف الضواحي الباريسية، حثت على سلبية كل المهاجرين (رغم

تورط قلة من المشاغبين منهم في الأحداث)، فصورة النار و الدمار التي جاءت بها الجريدة، دفعت لخدمة نظام سياسي معين.

صورة الجريدة المعالجة لأحداث المغاربيين، و رغم أنها تخاطب حاسة واحدة من حواس الإنسان و هي حاسة البصر، قدمت ما تعجز عن فعله آلاف الكلمات، في تكوين الرأي العام في المجتمع الفرنسي والتأثير على اتجاهاته بالسلب اتجاه الهجرة المغاربية المقيمة بفرنسا.

4.5. النتائج العامة للدراسة:

أثبتت نتائج الدراسة صحة الفرضيتين السالف طرحهما في بحثنا هذا، إذ تقدم الصحافة الفرنسية صورة مشوهة للمهاجرين عبر المعالجة الإعلامية، و كذا تركز الصحافة الفرنسية في معالجتها الإعلامية على السلبيات الصادرة عن المهاجرين أكثر بكثير من الإيجابيات.

أما عن نتائج الدراسة فكانت كالتالي:

- بنسبة سلبية تقدر بـــ (66.84%) من مجموع الاتجاهات في المعالجات الصحفية لمواضيع الهجرة المغاربية، تستخدم جريدة Le Figaro كباقي الصحافة الفرنسية قوتها الضخمة و نفوذها الواسع فقط لخدمة مصالح مُلاكها، الذين يُـــروجون لوجهات نظرهم الخاصة، خاصة في السياسة والاقتصاد، في حين يُهملون وجهات النظر المعارضة، أو يقللون من شأنها. إذ كانت المعالجة الإعلامية للهجرة المغاربية و احد من أهم الظواهر إثارة على الساحة، فجعلت منه حدث إثارة بالنسبة للمجتمع الفرنسي، و بإثارة الحدث في أعدادها تضمن الجريدة مبيعات اكبر و بالتالي دخل أوفر.

- تقاوم جريدة Le Figaro التغيير و تعمل على استمرار الوضع الراهن، كما روجت لأحداث باريس. فتكرار و مساحة مواضيع الهجرة المغاربية في الأعداد المتزامنة مع أحداث باريس 2005 (العدد 6 و 7 من العينة) زاد من اتساع رقعة الشغب بباريس و خارجها، لتمس أكثر من 300 مدينة فرنسية، بل تعدت الأحداث حدود الجمهورية الفرنسية لتنتقل إلى ألمانيا، بلجيكا، هولندا و غيرها.

- من خلال المحاور التي دارت عليها الأحداث المتناولة في الجريدة، يظهر لنا جليا وفقا لكثافة التكرار و الإهتمام، طغيان موضوعين جد سلبيين بالنسبة للمهاجرين المغاربيين هما الإنحراف و اللاأمن بنسبة (38.59%) و المواجهات بنسبة (18.12%)، فاهتمت جريدة Le Figaro ، في تغطيتها للأحداث المتعلقة بالهجرة عموما و المتعلقة بالهجرة المغاربة خصوصا، بالأمور السطحية والمثيرة، أكثر من اهتمامها بالأمور المهمة. إذ دوما تطرقت إلى الفئات

المهاجرة من منظور سلبي هادف للإثارة، قصد جلب اهتمام الرأي العام مع محاولة توجيهه. وتقدم الجريدة الترفيه في مادة تفتقر إلى المضمون، وتعوزها القيمـــة الخبرية.

• تنتهك الصحافة الفرنسية ممثلة بجريدة Le Figaro حياة الأفراد الخاصة وتحط من كرامتهم، وليست الصعوبة، التي يلاقيها بعض المتهمين المغاربيين في الحصول على محاكمة عادلة بسبب تسبيقات الصحافة في النشر، سوى وجه لهذه المشكلة. فتسبيقات الصحافة الفرنسية المكتوبة عقدت مشاكل المغاربيين، و أقصتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من المجتمع الفرنسي.

• إن أفراداً من طبقة اجتماعية واقتصادية و عرقية واحدة يسيطرون على صحيفة Le Figaro الفرنسية، و لعل سيطرة اليهود على الأغلبية الساحقة لوسائل الإعلام لخير دليل على ذلك، ونتيجة لذلك، يتعرض كل من هو معادي و معارض (دينيا، ثقافيا، إيديولوجيا أو حتى فكريا..) لهذه الفئة المالكة و المسيطرة لوسائل الإعلام لخطر الإقصاء، التهميش و التمييز. و كذا سوق المعلومات المفتوحة والحرة ككل.

• ترسخ جريدة Le Figaro الفرنسية بعقيدة تؤمن بالبروز الفائق و الحكم العاجل للظواهر، و يتجلى ذلك في تسبيقات الحكم على أحداث الهجرة المغاربية، إذ لسرعان ما تختلق و كباقي الصحافة الفرنسية حدثا لتجعل منه قضية رأي عام، و سرعان ما تصدر أحكاما بحق الفئات المهاجرة في فرنسا، دون حتى معالجة الأحداث معالجة كافية و لامَة بمسبباتها. و بترسيخها للحكم في ذهن المجتمع الفرنسي المستهلك للصحيفة، تقود في الوقت نفسه (الصحيفة) الفرد المحكوم عليه إلى الاعتقاد بأن لا جدوى من المعارضة أو الشكوى دافعة إياه إلى التحدي، وبأن الديمقراطية لا لزوم لها كون الحكم صار نهائي و مطلق.

• إن حضور الصحافة في مسرح الأحداث التي تغطيها، يخلق مزيداً من الأخبار، الأخبار التي تتفنن في معالجة الحدث من صحافي لآخر، و من جريدة لأخرى، لكن الكل يتفق على إقصاء و تهميش الفرنسيين ذوي الأصول المغاربية و الإفريقية.

• أسهمت جريدة Le Figaro و ساهمت في زيادة حجم المعاناة الاجتماعية و الاقتصادية للفئات المهاجرة المغاربية، إذ نادرا ما تطرقت إلى أسباب التي دفعت بالشباب سليل الهجرة المغاربية إلى الانحراف و المواجهات و غيرها من أمراض اجتماعية و اقتصادية، أو حتى محاولة التطرق لجذور هذه الأمراض، ونرجح سبب تفاقم التوتر إلى تفاقم تدهور الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية المغاربية، إذ كانت المطالب الإقتصادية و الإجتماعية بنسبة (60.71%) من إجمالي مطالب المغاربيين. الشيء الذي زاد من ظاهرة شعور الفرد المغاربي بالغربة و الانفصال عن المجتمع الفرنسي أي « الشعور بالاغتراب»، فالمغاربي عضو في مجتمعه الفرنسي بجسده، ولكنه بعيد كل البعد في شعوره بالانتماء إلى هذا المجتمع، فقلبه وعقله في واد آخر مع «الحلم أو الوهم» الذي خلقته وسائل الإعلام عموما. و هنا خلقت جريدة Le Figaro و الصحافة عموما هوة كبيرة في الهوية و الشعور بالانتماء إلى المجتمع الفرنسي، و لن نبالغ أن نستنتج أن الصحافة هي أهم عامل أدى إلى أزمة الهوية بالنسبة المغاربيين، إذ دوما في معالجاتها نضرت إليهم على انهم أجانب دخلاء على المجتمع الفرنسي، الشيء المناقض لأسس الجمهورية الفرنسية، و مبادىء الإعلام الفرنسي الذي يدعي أن كل جهوده إزاء المغاربة هي محاولة إدماجهم في المجتمع الفرنسي.

• باعتمادها على المراسلين كمصادر بنسبة (28.20%)، قنوات التلفزيون بنسبة (17.94%) و صحافيو الجريدة بنسبة (15.38%). لم تكن صحيفة Le Figaro دقيقة في معالجاتها الصحافية للمهاجرين المغاربيين إذ اتسمت المعالجات المعتمدة على المصادر سالفة الذكر بالذاتية و التحيز، فكانت منشورة بوجهات نظر اصحابها، عدا الأخبار المستندة إلى مصادر رسمية التي اتسمت الموضوعية، إذ جاءت تحمل في مجملها تفاصيل واقعة أو حادثة دون زيادة أو نقصان، ونشرت الجريدة كل تفاصيلها كما نُــشِرت في باقي الصحف و القنوات التلفزيونية. ما يجدر بنا ذكره هنا، هو أن جريدة Le Figaro و كباقي الصحف الفرنسية، أفسدت مصادرها والمتعاملين معها بالرشوة و الهدايا التي تدفعها مقابل الحصول على المعلومات. ففي قراءاتنا المدققة لهذه المواضيع إتضحت لنا جليا تناقضات عديدة في الحوارات و الشهادات التي نقلتها الجريدة في تغطيتها لمواضيع

المغاربيين عامة و أحداث باريس على وجه الخصوص. فكل شيء كان مفتعل قصد إثارة أحداث المواضيع.

• نستطيع القول أن الصحافة الفرنسية قضت على نفسها، إذ قضت على الثقافة الرفيعة الحقيقية، «المكتوبة المطبوعة»، لتحل محلها ثقافة خفيفة سطحية هي «المسموعة المرئية»، ولا تستطيع هذه الأخيرة، بسبب الضغوط الاقتصادية و جمهورها العريض، التعمق في أو التحليل في شتى المواضيع و التدقيق فيها، بل أصبحت تقدم المعلومة السريعة العابرة و المثيرة. عدا مواضيع الهجرة المغاربية إذ تفننت في معالجتها و وصفها بما يحلو لها.

• من خلال المقابلات التي أجريناها مع رجال الصحافة الفرنسية، استنتجنا أنها تتصرف بغير مسؤولية، رغم الحرية الضخمة المتاحة لمعظمها. إذ كل الصحافيين التي تمت مقابلتهم، يتحلون بالحياد اتجاه المغاربيين، بل قالوا أنهم يسعون جاهدين لإدماج هذه الأقليات، لكن إن قرأنا المقالات التي يكتبها هؤلاء الصحافيين، نفهم أن لا ضمير مهني لهم، و لا روح مسؤولية. و هنا نستنتج أن الصحافة الفرنسية أسهمت في صنع «فجوة مصداقية»، بين المجتمع الفرنسي القارئ وبين قادة مؤسساته المختلفة، من خلال توظيف القيم الصحفية المثيرة، الاستعراضية وغير الإيجابية، القائمة على قيم الشذوذ والتطرف والغرابة، مثل: «الخبر أن يعض رجل كلباً وليس كلباً يعض رجلاً»، «الأسماء تصنع الأخبار»...

• سادت السياسة الاستعمارية على الصحافة الفرنسية المكتوبة و هذا ما تأكده جريدة Le Figaro في ما حملته في طياتها ما يسمى بـــ: المُسْتَعْمِرْ وَ المُسْتَعْمَرْ و ذلك رغم تباين شتى مجالات المعالجة الإعلامية للهجرة المغاربية في فرنسا، إذ كانت نظرة الصحافة الفرنسية لجاريتنا المغاربية نظرة مواطنوا درجة ثانية.

• إنها بتدخلها غير المبرر أحياناً في بعض قضايا المغاربيين، ومطاردتها لسلوك بعضهم، قد تتدخل في سير الأحداث و توجيهها وتعطل العمل وتربك سيران العمل، حكومي كان أم خاص، ويصل الأمر في بعض الحالات إلى أن

تتحول عملية التغطية الإخبارية الاستقصائية، إلى نوع من الابتزاز الذي تمارسه الصحيفة لحساب جهة أخرى منافسة للجهة المستهدفة.

• من خلال جريدة Le Figaro، لم تحاول الصحافة الفرنسية المكتوبة استقصاء الحقائق المتعلقة بالهجرة المغاربية، و إن هي فعلت ذلك، فهي تخضع دوما لضغوطات خفية من أصحاب القرار، كما جاء على لسان احد الصحافيين الذين قابلناهم، الضغوط التي تمارسها سلطات سيادية (مثل وكالة الاستخبارات المركزية في الحكومة الفرنسية) لمنع نشر بعض الأخبار أو لتوجيه الأخبار وجهة معينة، أو لتوظيف الصحيفة أو الوسيلة الإعلامية ورجالها لجمع المعلومات، لحساب هذه الجهات دون نشرها. فبالكم الذي يتحدث عنه الفرنسيين عن حرية الصحافة، فالصحافة لا حرية لها على الإطلاق، إن مست مواضيعها نظام السلطة السياسية الحاكمة.

• لم تعد الصحافة الفرنسية، تصنع نجوم الفن والرياضة والتسلية فقط، بل أصبحت كذلك تصنع المجرمين و غير المرغوب فيهم، بل صوت الفئات التي كان يجب على المجتمع الفرنسي إقصاؤها، و كل هذا بفعل ملاكها الذين هم من صنعوا نجوم السياسة و حكام الغد، من خلال إظهارهم في نمط معين وتخطيط حملات إعلامية وإعلانية للتأثير على الرأي العام لقبولهم.

• كون جريدة Le Figaro مؤسسة اقتصادية بحتة، يمكننا اعتبار الصحافة الفرنسية أداة من أدوات النظام السياسي، تتوازى أهميتها، مع الاقتصاد الوطني الفرنسي، إذ أن كل المؤسسات الصحافية هي مؤسسات اقتصادية بحتة، لا تهمها العدالة في معالجاتها الصحافية بقدر ما تهمها الأرباح التي تأتي بكثرة المبيعات، الشيء الذي يتطلب إثارة الأحداث، و كانت الهجرة المغاربية و الهجرة السرية أهمها.

• من خلال تحليل بيانات مؤشر مراكز الاهتمام، و القيم و الاتجاهات، جريدة Le Figaro في تغطيتها الإخبارية تركز على الأخبار السلبية المتعلقة بالهجرة المغاربية، و تحث بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على إقصاء و معارضة المغاربيين في فرنسا، و جعلت من هذه الأخبار، أخبار روتينية، لا تعكس سوى

توجهات ملاك هذه المؤسسات الإعلامية و الصحافية، بينما تخفي ايجابيات هذه الفئات.

- إنها مازالت تحجب الكثير من الأخبار والوقائع اليومية التي تحدث داخل بلادها، وفي دول العالم المختلفة، متناسية أن المواطن الفرنسي و اكثر من غيره يستطيع الحصول عليها من مصادر أخرى، خاصة من شبكة الانترنت و الإذاعات العالمية و القنوات الفضائيات.

- تجاهلت الصحافة الفرنسية حقوق هذه الأقليات و الجماعات التي تعتبر جزء لا يتجزأ من تركيبة المجتمع الفرنسي.

- تتسم الصحافة الفرنسية من خلال جريدة Le Figaro بالتجهم والعبوس والخطابية والمبالغة في الترهيب و ليس الترغيب، أو الهزلية الزائدة عن الحد، وإن كان هذا لا يمنع من أن مضمون الرسائل الصحافية فيها اقل عمقاً وجدية، وأكثر اهتماماً بنقل التراث الاجتماعي، من جيل إلى جيل، من خلال رؤية معادية لمغاربيي فرنسا.

3.5. خصائص جريدة (Le Figaro):

1.3.5. تحليل مؤشر المصادر:

الخبر الصحفي من حيث الجهة التي تصدره، نوعان، فهناك الأخبار ذات الطابع الرسمي (الحكومي) وهو ذاك الخبر التي يحمل الطابع الرسمي، باعتباره قول أو تصريح، أو تأكيد من جانب مسئول بالجهاز الحكومي لقضية أو معلومة تحظى باهتمامات القراء. وهناك الأخبار التي تخضع لآراء ووجهات نظر أفراد لا يعملون في الجهاز الإداري للدولة إذ ذاك الخبر الذي يبتعد تماماً عن الحكومة والسلطة، فهي ليست جهة إنتاجه، وإنما جاءت عملية إنتاجه عن طريق مسئولين في هيئات ومنظمات وجمعيات وأحزاب، أو حتى شهود عيان، أو أي عمل وظيفي لا يرتبط صاحبه بمنصب حكومي.. و إجمالاً فإن هذا التقسيم السابق هو تقريباً كل ما يمكن أن يصادف المحرر الصحفي.

الخبر الصحفي من حيث إنتاجه نوعان كذلك، حيث منها ما هو جاهز و هو الخبر الذي يحصل عليه المحرر الصحفي من خلال المصادر المتاحة دون بذل أي جهد في الحصول عليه مثل أخبار الهيئات والوزارات والأحكام القضائية وافتتاحات المسئولين للمواقع المختلفة وتأتى غالباً من نشرات ومطبوعات العلاقات العامة بتلك الهيئات، وعليه أن كل وسائل الإعلام بما فيها السمعية و البصرية و المكتوبة تحصل على الخبر نفسه. ومن الأخبار ما هو مُــخترع إذ أن المحرر الصحفي أساس تكوينه، حيث تكمن أهمية الخبر المبدع في طريقة الحصول عليه، وأسلوب صياغته، حيث يقوم المحرر بالمتابعة والبحث حتى يصل لحقيقة الخبر، ثم يعيد بعد ذلك صياغته على النحو الذي يراه و بالاتجاه الذي يناسب الناشر.

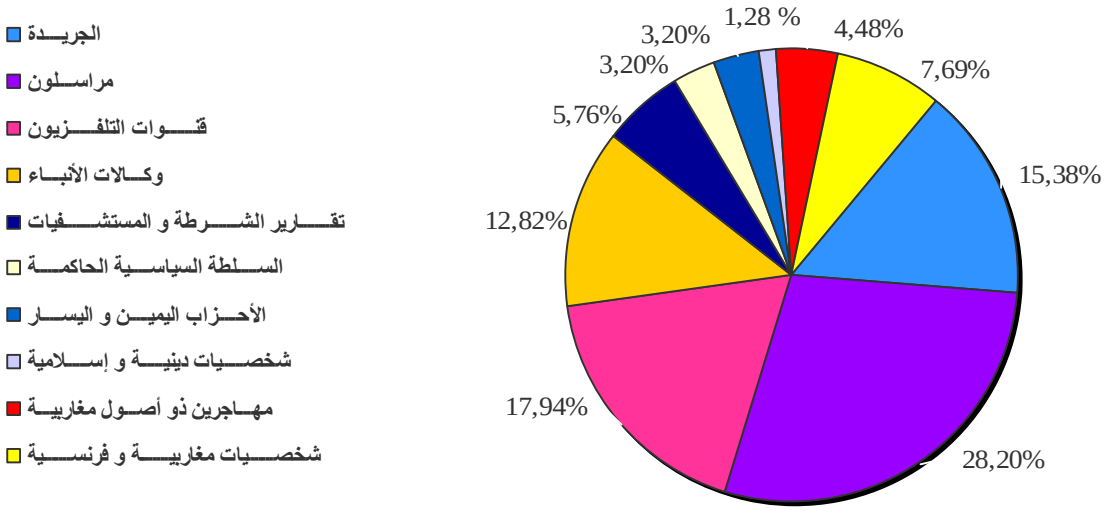

بيان الجدول رقم(42): المصادر المستعملة في موضوعات الهجرة المغاربية

كانت الاخبار المستندة إلى مصادر رسمية في جريدة Le Figaro أخبارا نستطيع وصفها بالموضوعية، إذ جاءت تحمل في مجملها تفاصيل واقعة أو حادثة من أحداث الهجرة المغاربية دون زيادة أو نقصان، ونشرت الجريدة كل التفاصيل الخاصة بها كما نُـــشِرت في باقي الصحف و القنوات التلفزيونية. و اعتمدت الجريدة هنا على مصدرين أساسيين(حسب جدول رقم (42): المصادر المستعملة في موضوعات الهجرة المغاربية) جاءا حسب ترتيب نسبهما المئوية من مجموع المصادر كالتالي: تقارير الشرطة و المستشفيات (5.76%)، السلطة السياسية الحاكمة (3.20%)، و يعتبر مجموعها (8.96%) ضئيل مقارنة بالمصادر غير الرسمية. و إن كان مقياس مصداقية الجريدة كبير في نقل الأخبار الصادرة عن المصادر الرسمية، فهل مقياس مصداقية هذه الأخيرة مرتفع أم لا مصداقية لها؟ إذ إذا عدنا مثلا إلى الأحداث التي منها اشتعلت أحداث الشغب بباريس، فالشرطة كمصدر رسمي أكدت أن لا دور لها في مقتل الشابين المغاربيين لا من قريب و لا من بعيد، في حين أكدت كثير من المصادر غير الرسمية، من مهاجرين ذو أصول مغاربية و افريقية و فرنسيين شهود، على أن مصرع الشابين أتى بسبب مطاردة الشرطة لهما بوحشية كبيرة إلى أن دخلا حاوية المولد الكهربائي قصد حماية أنفسهما من يد الشرطة، و هناك لقيا مصرعهما. وما هذا الا مثالا من الكثير، ناهيك عن البالغة و التضخيم.

الاخبار المستندة إلى مصادر غير رسمية، تضمنت تفاصيل اكثر عن الوقائع و الأحداث. و كان لهذه المعلومات مصادر عديدة و كثيرة، تمثلت و نسبها المئوية في شخصيات فرنسية (7.69%)، مهاجرين ذو أصول مغاربية (4.48 %)، شخصيات دينية و إسلامية (1.28%)، الأحزاب اليمين و اليسار(3.20%)، وكالات الأنباء الفرنسية و العالمية (12.82%)، قنوات التلفزيون (17.94%)، مراسلون (28.20%)، و صحافيو الجريدة (15.38%). و في غالب الأحيان كانت المعلومات هنا غير محددة و متناقضة في كثير منها.

3.1.5. تحليل مؤشر موضوعات العناوين:

يستمد العنوان الصحفي خصائصه من ظروف نشأته وتطوره، ويرتبط بطبيعة المجتمع الجماهيري الذي ينطوي على كتل بشرية غير متجانسة فيما بينها. و مع تطور صناعة الصحافة أصبحت الحاجة ملحة إلى وجود العناوين لتساعد القارئ على اختيار الموضوعات التي تهمه، وتلبية حاجات القارئ وإشباع رغبته في المعرفة السريعة لطبيعة الأحداث التي تجرى من حوله. حيث أن صفة الجاذبية في العنوان تساعد على كسر جمود مادة النص الصحفي المصاحب له العنوان.

جدول رقم(37): التصنيف التحريري للعناوين

التصنيف التحريرى / الأعداد	العنوان الوصفي	العنوان النقدي	العنوان المقتبس	العنوان الإخباري	العنوان التساؤل	∑
1	-	1	-	1	-	2
2	4	-	1	1	-	6
3	-	-	1	2	-	3
4	2	-	1	-	-	3
5	-	1	-	-	2	3
6	3	-	-	1	-	4
7	5	1	2	1	4	13
8	-	2	2	-	3	7
9	-	1	1	-	-	2
10	1	1	1	-	-	3
11	-	1	3	1	1	6
12	1	-	-	2	1	4
∑	16	8	12	9	11	56
٪	28.57	14.28	21.42	16.07	19.64	100

و العناوين التحريرية أنواع، منها العنوان الإخباري، العنوان المقارن، العنوان التساؤل، العنوان الوصفي، العنوان المثل أو الحكمة و الطريف وغيرها، وعن عناوين جريدة Le Figaro في معالجتها لمواضيع الهجرة المغاربية، و كما جاء في الجدول رقم (37) المبين للتصنيف التحريري للعناوين، فقد جاءت متنوعة و غلب عليها العنوان الوصفي الذي جاء بنسبة (28.57%)، إذ قام على رسم صورة وصفية للمغاربيين في ذهن القارئ الفرنسي، بحيث كانت العناوين جذابة للقارىء لقراءة الموضوع، و استخدمت الجريدة في هذا النوع الألفاظ القوية التي تدعو القارئ إلى القراءة. و في الصف الثاني جاء العنوان المقتبس بنسبة 21.42 بالمائة، و كانت العناوين مقتبسة من تصريحات رئيس الحكومة، وزير الداخلية و بعض الشخصيات التي تم إجراء الحوار معها في حوارات الجريدة. و جاء العنوان التساؤل بنسبة (19.64%)، و كان هذا النوع على شكل سؤال هام ومثيرلاهتمامات الجمهور، أما عن العنوان النقدي فقد جاء بنسبة (% 14.28) و اتخذت العناوين النقدية موقفا جد سلبيا من غالبية أحداث المغاربيين، و إستخدمت خاصة في التحقيقات و الآراء و الحوارات. و في الاخير جاء العنوان الإخباري بنسبة (16.07%) و اتسمت هذه العناوين بالحياد، اذ قدمت في العموم معلومات جديدة متصلة مباشرة بالخبر.

غلبت السلبية في عناوين جريدة Le Figaro المُــحَرَّرة لموضوعات الهجرة المغاربية، و كانت ألفاظ العناوين لا تعطى أكثر من دلالة، إذ جاءت العناوين في اسطر مستقلة دون عناوين فردية. و تبرُز أهمية عناوين الجريدة في استخدامها للكلمات المألوفة والقصيرة، و تجنبها الإطالة فيها مبتعدة بذلك عن الألفاظ المعقدة و الغريبة. وساعدت عناوين الجريدة على الترويج والتسويق لها، و ساهمت بقدر كبير في تحديد شخصيتها و ميولاتها السياسية، فأعطت لها جاذبية من خلال تقديم أهمية المواضيع المتعلقة بالهجرة و المغاربيين و فتح شهية القراء لقراءة هذه المواضيع باستمالتهم إليها، كما أنها قدمت فكرة سريعة ومركزة

للقارئ المتعجل و إثارة حسه الفني، و ساهمت في بناء الصفحة، وتحديد هيكلها العام في الأعداد المتزامنة مع أحداث باريس.

و عن صياغة العناوين الصحفية و تحريرها، فعلى عكس الاتجاه العربي الذي يرى أن يقوم كاتب المحرر بتحرير عناوينه باعتباره هو الأجدر على استخلاص أهم قيم الخبر، ترى المدرسة الأوربية و الأمريكية أن رئيس التحرير أو المخرج الصحفي هو من يجب عليه أن يحرر العناوين. أما جريدة Le Figaro، فوضعت محرر متخصص في العناوين، مهمته قراءة الموضوعات و وضع عناوين لها. و لأهميتها في جلب عدد اكبر من القراء، ساعدت عناوين جريدة Le Figaro بشكل كبير من جعلها جريدة عالمية. و كان دور كبيرا في هذا لمهارات محرر عناوين الجريدة.

جدول رقم 25: توزيع الفاعل في موضوع المواجهات

الفاعل / الأعداد	رجال الأمن	مهاجرين ذو أصول افريقية	مهاجرين ذو أصول مغاربية	مواطنين ذو أصول فرنسية	الحركات و الجمعيات المغاربية	الاحزاب السياسية	∑
1	1	1	-	-	-	-	2
2	-	-	1	-	-	-	1
3	-	-	-	-	-	-	-
4	-	-	-	-	-	-	-
5	-	-	-	-	-	-	-
6	9	8	6	-	-	-	23
7	10	3	6	3	-	-	22
8	-	-	-	-	-	-	-
9	-	-	-	-	-	-	-
10	-	-	-	-	-	-	-
11	-	2	1	-	-	-	3
12	1	5	3	1	1	1	12
∑	21	19	17	4	1	1	63
٪	33.33	30.15	26.98	6.34	1.58	1.58	100

تقاسم دور الفاعل في موضوع المواجهات كل من رجال الأمن (33.33%)، مهاجرين ذو أصول افريقية (30.15%) و المهاجرين ذوي الأصول المغاربية (26.98%) بنسب متكافئة، كما يبينه الجدول رقم (25)، و لعب المهاجرين دور المجرم الشرير، و رجال الأمن دور البطل الذي انقذ فرنسا من حريق مهول على حد تعبير الجريدة. في حين جاء المواطنين ذوي الأصول الفرنسية بنسبة (6.34%) و الحركات و الجمعيات المغاربية بنسبة (1.58%). و في موضوع التصريحات كما جاء في جدول رقم (24) فقد لعبت الحركات و الجمعيات المغاربية دور الفاعل الأول بنسبة (22.22%) رفقة السلطة السياسة الحاكمة (13.88%) لما أدليا به من تصريحات و تبادل للتهم و جاء المغاربيين، الفرنسيين، شخصيات أجنبية غير فرنسية و الأحزاب السياسية بنفس النسبة المئوية كفاعلين في موضوعات التصريحات و هي

(11.11%)، و أخيرا مهاجرين ذو أصول افريقية (5.55%). و أخيرا و في توزيع الفاعل على موضوع الإجراءات فجاء المهاجرين ذو الأصول المغاربية بنسبة (25%)، و الذي لم نفهمه هنا، هو ما الإجراءات التي اتخذها الشباب سليل الهجرة المغاربية حتى يأخذ كل هذا الحيز !! خاصة اذا كانت نسبتهم كفاعلين في موضوع الاجراءات تفوق نسبة الرجال الأمن و القدرة بـــ (18.75%)، و نسبة السلطة السياسة الحاكمة (12.5%). فيما عادت الأدوار الثانوية للأفارقة و الفرنسيين بـــ (9.37%).

4.2.5. تحليل المقابلات

ما يمكن استخلاصه من تحليل مقابلات عينة من إعلاميي الصحافة المكتوبة الفرنسية أن هذه الاخيرة، و من خلال موقفها المهني و الأخلاقياتي، لا تتدخل بصفة إضطهادية، عدوانية او أحادية مباشرة في معالجتها الإعلامية لحوادث الفئات المهاجرة من أصول مغاربية. لكن العنصرية و العداء الذي تخفية الصحافة الفرنسية ظهرت فعاليته و اثاره في المجتمع الفرنسي. سمحت لنا هذه المقاربة بتوضيح موقف هذه الاخيرة ومدى تأثيرها على الراي العام الفرنسي، و كان مبرر العينة المقابلة هو حقها في حرية التعبير المقيد بالترويج لمالك الجريدة، سياسيا، اجتماعيا او اقتصاديا، مع مراعات موقف السلطات العمومية و المجتمع الفرنسي بكل شرائحه، لكن ما لم تاخذه الصحافة بعين الاعتبار، هو الشباب سليل الهجرة المغاربية و الوضعية السلبية التي بها ينم تقديمه للمجتمع الفرنسي.

من هنا يمكننا القول أن لكل صحيفة منطقها الخاص في معالجة احداث الهجرة المغاربية، و الشيء المشترك الوحيد بينها هو سعيها لتحقيق اكبر ما يمكن تحقيقه من مبيعات و مداخيل، فكانت احداث الهجرة المغاربية بمثابة صفحات إشهارية، تعود بالربح الوفير على الجريدة، ومن ثمة فموقف الصحافة الفرنسية المكتوبة يتحدد بما تمليه «قوانين السوق»، فهي إذن مقيدة بمنطق السوق الذي يسيطر عليه رجال المال و الأعمال، ومن ثمة فموضوعية و مصداقية

مضمون مواضيع احداث المغاربيين ليس له اهية كبيرة بالنسبة لها، بل تعدى الامر باحد الصحفيين المقابلين الى تاكيده على ان المواضيع التي تعالج المغاربيين لا تجلب مقروئية كبيرة و لا مداخيل مالية إلا عندما يتعلق الأمر بأحداث العنف، السرقة، السطو و ما شابهها، اين تتنافس الصحف الفرنسية على سرعة نشرها ومعالجتها بالكيفيات المؤثرة و المروعة.

باعتمادها المنهج «التجاري» (marketing) والتنافسي، تقدم الصحافة الفرنسية المكتوبة صورة جد سلبية و متشائمة لجاليتنا المغاربية، فتحليلنا للمعطيات الملتقطة من المقابلات اضهر ان تماثلات المغاربيين في الصحافة الفرنسية المكتوبة جاء نتيجة تناقضات بين الأهداف التجارية للجريدة من جهة، و الأهداف المدنية الوطنية للمجتمع الفرنسي (objectifs civiques) من جهة اخرى و كذا عدم تحلي الصحافيين الموضوعية (objectivité).

فالعنصورية و كره المغاربيين لم يكن علني، عدا بعض الحالات المنعزلة التي تظهر فيها الصحافة المكتوبة المحلية على وجه الخصوص، تمييز عرقي واضح قد يعطي إحساس بالتباغض العنصري، و تماثلات المهاجرين في الصحافة من شأنها أنها تغذي الإقصاء و الكراهية اتجاه الجالية المغاربية حيث تسير تماثلاتها و مثاليتها (représentativité) على ما يبدو بين حجب و تهميش، الشيء الذي جرنا إلى طرح اسئلة حول كيفية معالجة و بناء الصورة و النص قيما يتعلق بالمغاربيين، و هنا يستوقفنا ذكر الأصل العرقي و الديني للمغاربيين بانتظام، حيث أنه اصبح احد خصوصيات التغطية الصحفية المتعلقة بالمغاربيين، حتى في الحالات التي لا تستوجب ذكر الأصل لفهم الخبر أو الحدث. و لاحظنا كذلك، أن الصحافة المكتوبة نادرا ما تظهر للعيان الجوانب الإيجابية المرتبطة بالفئات المهاجرة، وعلى عكس ذلك فإنها تعمل عن قصد على تضخيم كلما نسبت التقديمات السلبية إلى المغاربة (العنف، الجريمة، الإنحراف، التطرف...) سيما إلى الشباب الذين تلصق لهم دوما عبارات «العنف المدني» و «عنف الشباب» أو «عنف الضواحي» و هم على ما يبدو معرضون أكثر من غيرهم لنفس التشويهات. و في الاخير نشير اننا وضفنا كل ما استخلصناه من المقابلات في تحليل البيانات.

4.5. النتائج العامة للدراسة:

أثبتت نتائج الدراسة صحة الفرضيتين السالف طرحهما في بحثنا هذا، إذ تقدم الصحافة الفرنسية صورة مشوهة للمهاجرين عبر المعالجة الإعلامية، و كذا تركز الصحافة الفرنسية في معالجتها الإعلامية على السلبيات الصادرة عن المهاجرين أكثر بكثير من الإيجابيات.

أما عن نتائج الدراسة فكانت كالتالي:

- بنسبة سلبية تقدر بـــ (66.84%) من مجموع الاتجاهات في المعالجات الصحفية لمواضيع الهجرة المغاربية، تستخدم جريدة Le Figaro كباقي الصحافة الفرنسية قوتها الضخمة و نفوذها الواسع فقط لخدمة مصالح مُلاكها، الذين يُـــروجون لوجهات نظرهم الخاصة، خاصة في السياسة والاقتصاد، في حين يُهملون وجهات النظر المعارضة، أو يقللون من شأنها. إذ كانت المعالجة الإعلامية للهجرة المغاربية و احد من أهم الظواهر إثارة على الساحة، فجعلت منه حدث إثارة بالنسبة للمجتمع الفرنسي، و بإثارة الحدث في أعدادها تضمن الجريدة مبيعات اكبر و بالتالي دخل أوفر.

- تقاوم جريدة Le Figaro التغيير و تعمل على استمرار الوضع الراهن، كما روجت لأحداث باريس. فتكرار و مساحة مواضيع الهجرة المغاربية في الأعداد المتزامنة مع أحداث باريس 2005 (العدد 6 و 7 من العينة) زاد من اتساع رقعة الشغب بباريس و خارجها، لتمس أكثر من 300 مدينة فرنسية، بل تعدت الأحداث حدود الجمهورية الفرنسية لتنتقل إلى ألمانيا، بلجيكا، هولندا و غيرها.

- من خلال المحاور التي دارت عليها الأحداث المتناولة في الجريدة، يظهر لنا جليا وفقا لكثافة التكرار و الإهتمام، طغيان موضوعين جد سلبيين بالنسبة للمهاجرين المغاربيين هما الإنحراف و اللاأمن بنسبة (38.59%) و المواجهات بنسبة (18.12%)، فاهتمت جريدة Le Figaro ، في تغطيتها للأحداث المتعلقة بالهجرة عموما و المتعلقة بالهجرة المغاربة خصوصا، بالأمور السطحية والمثيرة، أكثر من اهتمامها بالأمور المهمة. إذ دوما تطرقت إلى الفئات

المهاجرة من منظور سلبي هادف للإثارة، قصد جلب اهتمام الرأي العام مع محاولة توجيهه. وتقدم الجريدة الترفيه في مادة تفتقر إلى المضمون، وتعوزها القيمـــة الخبرية.

• تنتهك الصحافة الفرنسية ممثلة بجريدة Le Figaro حياة الأفراد الخاصة وتحط من كرامتهم، وليست الصعوبة، التي يلاقيها بعض المتهمين المغاربيين في الحصول على محاكمة عادلة بسبب تسبيقات الصحافة في النشر، سوى وجه لهذه المشكلة. فتسبيقات الصحافة الفرنسية المكتوبة عقدت مشاكل المغاربيين، و أقصتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من المجتمع الفرنسي.

• إن أفراداً من طبقة اجتماعية واقتصادية و عرقية واحدة يسيطرون على صحيفة Le Figaro الفرنسية، و لعل سيطرة اليهود على الأغلبية الساحقة لوسائل الإعلام لخير دليل على ذلك، ونتيجة لذلك، يتعرض كل من هو معادي و معارض (دينيا، ثقافيا، إيديولوجيا أو حتى فكريا..) لهذه الفئة المالكة و المسيطرة لوسائل الإعلام لخطر الإقصاء، التهميش و التمييز. و كذا سوق المعلومات المفتوحة والحرة ككل.

• ترسخ جريدة Le Figaro الفرنسية بعقيدة تؤمن بالبروز الفائق و الحكم العاجل للظواهر، و يتجلى ذلك في تسبيقات الحكم على أحداث الهجرة المغاربية، إذ لسرعان ما تختلق و كباقي الصحافة الفرنسية حدثا لتجعل منه قضية رأي عام، و سرعان ما تصدر أحكاما بحق الفئات المهاجرة في فرنسا، دون حتى معالجة الأحداث معالجة كافية و لامَة بمسبباتها. و بترسيخها للحكم في ذهن المجتمع الفرنسي المستهلك للصحيفة، تقود في الوقت نفسه (الصحيفة) الفرد المحكوم عليه إلى الاعتقاد بأن لا جدوى من المعارضة أو الشكوى دافعة إياه إلى التحدي، وبأن الديمقراطية لا لزوم لها كون الحكم صار نهائي و مطلق.

• إن حضور الصحافة في مسرح الأحداث التي تغطيها، يخلق مزيداً من الأخبار، الأخبار التي تتفنن في معالجة الحدث من صحافي لآخر، و من جريدة لأخرى، لكن الكل يتفق على إقصاء و تهميش الفرنسيين ذوي الأصول المغاربية و الإفريقية.

• أسهمت جريدة Le Figaro و ساهمت في زيادة حجم المعاناة الاجتماعية و الاقتصادية للفئات المهاجرة المغاربية، إذ نادرا ما تطرقت إلى أسباب التي دفعت بالشباب سليل الهجرة المغاربية إلى الانحراف و المواجهات و غيرها من أمراض اجتماعية و اقتصادية، أو حتى محاولة التطرق لجذور هذه الأمراض، ونرجح سبب تفاقم التوتر إلى تفاقم تدهور الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية المغاربية، إذ كانت المطالب الإقتصادية و الإجتماعية بنسبة (60.71%) من إجمالي مطالب المغاربيين. الشيء الذي زاد من ظاهرة شعور الفرد المغاربي بالغربة و الانفصال عن المجتمع الفرنسي أي « الشعور بالاغتراب»، فالمغاربي عضو في مجتمعه الفرنسي بجسده، ولكنه بعيد كل البعد في شعوره بالانتماء إلى هذا المجتمع، فقلبه وعقله في واد آخر مع «الحلم أو الوهم» الذي خلقته وسائل الإعلام عموما. و هنا خلقت جريدة Le Figaro و الصحافة عموما هوة كبيرة في الهوية و الشعور بالانتماء إلى المجتمع الفرنسي، و لن نبالغ أن نستنتج أن الصحافة هي أهم عامل أدى إلى أزمة الهوية بالنسبة المغاربيين، إذ دوما في معالجاتها نضرت إليهم على انهم أجانب دخلاء على المجتمع الفرنسي، الشيء المناقض لأسس الجمهورية الفرنسية، و مبادىء الإعلام الفرنسي الذي يدعي أن كل جهوده إزاء المغاربة هي محاولة إدماجهم في المجتمع الفرنسي.

• باعتمادها على المراسلين كمصادر بنسبة (28.20%)، قنوات التلفزيون بنسبة (17.94%) و صحافيو الجريدة بنسبة (15.38%). لم تكن صحيفة Le Figaro دقيقة في معالجاتها الصحافية للمهاجرين المغاربيين إذ اتسمت المعالجات المعتمدة على المصادر سالفة الذكر بالذاتية و التحيز، فكانت منشورة بوجهات نظر اصحابها، عدا الأخبار المستندة إلى مصادر رسمية التي اتسمت الموضوعية، إذ جاءت تحمل في مجملها تفاصيل واقعة أو حادثة دون زيادة أو نقصان، ونشرت الجريدة كل تفاصيلها كما نُــشِرت في باقي الصحف و القنوات التلفزيونية. ما يجدر بنا ذكره هنا، هو أن جريدة Le Figaro و كباقي الصحف الفرنسية، أفسدت مصادرها والمتعاملين معها بالرشوة و الهدايا التي تدفعها مقابل الحصول على المعلومات. ففي قراءاتنا المدققة لهذه المواضيع إتضحت لنا جليا تناقضات عديدة في الحوارات و الشهادات التي نقلتها الجريدة في تغطيتها لمواضيع

المغاربيين عامة و أحداث باريس على وجه الخصوص. فكل شيء كان مفتعل قصد إثارة أحداث المواضيع.

• نستطيع القول أن الصحافة الفرنسية قضت على نفسها، إذ قضت على الثقافة الرفيعة الحقيقية، «المكتوبة المطبوعة»، لتحل محلها ثقافة خفيفة سطحية هي «المسموعة المرئية»، ولا تستطيع هذه الأخيرة، بسبب الضغوط الاقتصادية و جمهورها العريض، التعمق في أو التحليل في شتى المواضيع و التدقيق فيها، بل أصبحت تقدم المعلومة السريعة العابرة و المثيرة. عدا مواضيع الهجرة المغاربية إذ تفننت في معالجتها و وصفها بما يحلو لها.

• من خلال المقابلات التي أجريناها مع رجال الصحافة الفرنسية، استنتجنا أنها تتصرف بغير مسؤولية، رغم الحرية الضخمة المتاحة لمعظمها. إذ كل الصحافيين التي تمت مقابلتهم، يتحلون بالحياد اتجاه المغاربيين، بل قالوا أنهم يسعون جاهدين لإدماج هذه الأقليات، لكن إن قرأنا المقالات التي يكتبها هؤلاء الصحافيين، نفهم أن لا ضمير مهني لهم، و لا روح مسؤولية. و هنا نستنتج أن الصحافة الفرنسية أسهمت في صنع «فجوة مصداقية»، بين المجتمع الفرنسي القارئ وبين قادة مؤسساته المختلفة، من خلال توظيف القيم الصحفية المثيرة، الاستعراضية وغير الإيجابية، القائمة على قيم الشذوذ والتطرف والغرابة، مثل: «الخبر أن يعض رجل كلباً وليس كلباً يعض رجلاً»، «الأسماء تصنع الأخبار»...

• سادت السياسة الاستعمارية على الصحافة الفرنسية المكتوبة و هذا ما تأكده جريدة Le Figaro في ما حملته في طياتها ما يسمى بـــ: المُسْتَعْمِرْ وَ المُسْتَعْمَرْ و ذلك رغم تباين شتى مجالات المعالجة الإعلامية للهجرة المغاربية في فرنسا، إذ كانت نظرة الصحافة الفرنسية لجاريتنا المغاربية نظرة مواطنوا درجة ثانية.

• إنها بتدخلها غير المبرر أحياناً في بعض قضايا المغاربيين، ومطاردتها لسلوك بعضهم، قد تتدخل في سير الأحداث و توجيهها وتعطل العمل وتربك سيران العمل، حكومي كان أم خاص، ويصل الأمر في بعض الحالات إلى أن

تتحول عملية التغطية الإخبارية الاستقصائية، إلى نوع من الابتزاز الذي تمارسه الصحيفة لحساب جهة أخرى منافسة للجهة المستهدفة.

• من خلال جريدة Le Figaro، لم تحاول الصحافة الفرنسية المكتوبة استقصاء الحقائق المتعلقة بالهجرة المغاربية، و إن هي فعلت ذلك، فهي تخضع دوما لضغوطات خفية من أصحاب القرار، كما جاء على لسان احد الصحافيين الذين قابلناهم، الضغوط التي تمارسها سلطات سيادية (مثل وكالة الاستخبارات المركزية في الحكومة الفرنسية) لمنع نشر بعض الأخبار أو لتوجيه الأخبار وجهة معينة، أو لتوظيف الصحيفة أو الوسيلة الإعلامية ورجالها لجمع المعلومات، لحساب هذه الجهات دون نشرها. فبالكم الذي يتحدث عنه الفرنسيين عن حرية الصحافة، فالصحافة لا حرية لها على الإطلاق، إن مست مواضيعها نظام السلطة السياسية الحاكمة.

• لم تعد الصحافة الفرنسية، تصنع نجوم الفن والرياضة والتسلية فقط، بل أصبحت كذلك تصنع المجرمين و غير المرغوب فيهم، بل صوت الفئات التي كان يجب على المجتمع الفرنسي إقصاؤها، و كل هذا بفعل ملاكها الذين هم من صنعوا نجوم السياسة و حكام الغد، من خلال إظهارهم في نمط معين وتخطيط حملات إعلامية وإعلانية للتأثير على الرأي العام لقبولهم.

• كون جريدة Le Figaro مؤسسة اقتصادية بحتة، يمكننا اعتبار الصحافة الفرنسية أداة من أدوات النظام السياسي، تتوازى أهميتها، مع الاقتصاد الوطني الفرنسي، إذ أن كل المؤسسات الصحافية هي مؤسسات اقتصادية بحتة، لا تهمها العدالة في معالجاتها الصحافية بقدر ما تهمها الأرباح التي تأتي بكثرة المبيعات، الشيء الذي يتطلب إثارة الأحداث، و كانت الهجرة المغاربية و الهجرة السرية أهمها.

• من خلال تحليل بيانات مؤشر مراكز الاهتمام، و القيم و الاتجاهات، جريدة Le Figaro في تغطيتها الإخبارية تركز على الأخبار السلبية المتعلقة بالهجرة المغاربية، و تحث بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على إقصاء و معارضة المغاربيين في فرنسا، و جعلت من هذه الأخبار، أخبار روتينية، لا تعكس سوى

توجهات ملاك هذه المؤسسات الإعلامية و الصحافية، بينما تخفي ايجابيات هذه الفئات.

- إنها مازالت تحجب الكثير من الأخبار والوقائع اليومية التي تحدث داخل بلادها، وفي دول العالم المختلفة، متناسية أن المواطن الفرنسي و اكثر من غيره يستطيع الحصول عليها من مصادر أخرى، خاصة من شبكة الانترنت و الإذاعات العالمية و القنوات الفضائيات.

- تجاهلت الصحافة الفرنسية حقوق هذه الأقليات و الجماعات التي تعتبر جزء لا يتجزأ من تركيبة المجتمع الفرنسي.

- تتسم الصحافة الفرنسية من خلال جريدة Le Figaro بالتجهم والعبوس والخطابية والمبالغة في الترهيب و ليس الترغيب، أو الهزلية الزائدة عن الحد، وإن كان هذا لا يمنع من أن مضمون الرسائل الصحافية فيها اقل عمقاً وجدية، وأكثر اهتماماً بنقل التراث الاجتماعي، من جيل إلى جيل، من خلال رؤية معادية لمغاربيي فرنسا.

Conclusion:

La vague de «violence» qu'a connu la France durant l'automne 2005 a constitué un thème médiatique qui a bouleversé la société française. Ces évenements n'ont pas manqué d'avoir des répercussions aussi bien politiques qu'économiques. Dans le contexte de l'impact de ces évenements on trouve les jeunes issus de l'immigration maghrébine, qui ont longtemps fait la une des journaux français. Dans ce sens, la presse écrite française, comme par exemple, Le Figaro qui a fait l'objet de notre enquête, a concentré ses grandes manchettes sur les jeunes maghrébins. Sachant que les médias ont indiscutablement un effet considérable sur le public en fournissant de l'information et en influant sur l'opinion publique.

Au terme de cette étude il ressort que l'image médiatisée des groupes issus de l'immigration maghrébine établie en France, ainsi que les reportages qui les concernent, influence grandement la façon dont la population perçoit ces minorités. Nos recherches aussi bien théoriques qu'empiriques démontrent que les maghrébins de France sont régulièrement stéréotypées par la presse écrite tout comme le reste des autres médias. Il ressort également que le traitement journalistique du Figaro n'est pas conforme au codes éthiques et déontologiques de la presse, ce qui nie la présence d'un discours médiatique objectif . En matière de terminologie, la presse écrite a joué avec des mots derrière lesquels se cache une grande désinformation visant à mélanger les cartes.

Ce traitement journalistique fait que le public est loin de la vérité et reste une victime derrière les intérêts politiques et souvent mercantiles. Alors, qu'ils ne connaissait pas les valeurs de l'islam, ni d'ailleurs la réalité de la culture maghrébine ou arabo-musulmane, il les découvrait par les faussetés des médias, qui les assimilent souvent aux « terrorisme, à la violence et à l'extrémisme ».

Le regard des français sur les populations issues de l'immigration maghrébine et sur leur religion l'islam est en effet souvent empreint de préjugés et de peurs. Tant les médias que certains discours scientifiques et politiques contribuent à la construction d'une image misérabiliste de la communauté musulmane, ne correspondant pas à la complexité de sa réalité. On oblitère systématiquement les trajectoires de mobilité sociale ascendante, on ne présente que des jeunes musulmans en échec, criminalisés, chômeurs, violents, et ainsi de suite.

Ainsi, il ressort des entretiens que nous ont accordé des journalistes de la presse écrite, qu'aux yeux de nombre de responsables politiques et de professionnels des mondes éducatif, socioculturel, médiatique, juridique et policier, les musulmans apparaissent souvent comme des personnes incapables d'être des acteurs « modernes » : ils seraient sous la domination de l'obscurantisme religieux de certains, de la tradition, d'un contrôle social oppressant, ainsi que d'un patriarcat et d'un machisme archaïques. La différence culturelle des musulmans semble souffrir d'une diabolisation qui, en retour, sert de justification à leur exclusion sociale.

Dans ce contexte, le rôle de la presse serait d'apporter une information objective et de chercher toutes les vérités en prenant une distance de toutes les sources pour ne pas tomber dans le piége de la propagande ou de la désinformation dont le public est la victime. Alors que le rôle du journaliste est d'éduquer le public en donnant une image objective, il ressort que la presse écrite continue de perpétuer la haine et la désinformation au sein de la société française à l'encontre des populations issues de l'immigration maghrébine en produisant des images négatives de manière récurrente.

Summary:

The wave of "violence" that France during autumn, 2005 knew constituted a media topic which confused the French society. These events did not miss to have as well political repercussions as economic. In the context of the impact of these events they find the existent young persons of Maghrebine immigration, who have made for a long time one of the French newspapers. In this sense, the French written press, as for instance, The Barber which made the object of our inquiry, concentrated its big oversleeves on the Maghrebine young persons. Knowing that mass media has a considerable effect indisputable on the public by providing information and having an influence on public opinion.

At the end of this study it emerges that the picture mediatized by the existent groups of the Maghrebine immigration established in France, as well as the reports which concern them, influences greatly the manner the population receives these minorities. Our as well theoretical researches as empirical show that the Maghrebine of France is regularly stereotypic by written press very as rest of other mass media. It also takes out again that the journalistic treatment of The FIGARO what does not comply in ethical and deontological codes of the press, what disclaims the presence of an objective media speech. In terminology, written press played with words behind which hides a big disinformation aiming at blending cards.

This journalistic treatment makes that the public is far from the truth and remains a victim behind political and often commercial interests. While, they does not know the stocks of Islam, nor besides the reality of Maghrebine or arabo-Muslim culture, it discovered them by falseness of mass media, which often assimilate them in «terrorism, in violence and in extremism».

The look of the French on the existent populations of Maghrebine immigration and on their religion Islam is often imprinted in effect of prejudices and fright. Both mass media and certain scientific and political speeches contribute to the building of a misérabiliste picture of the Muslim community, not corresponding to the complicacy of its reality. They obliterate systematically the trajectories of rising social agility, they introduce only young Muslims in failure, criminalisés, unemployed persons, violent, and so on.

So, it emerges discussions that journalists of written press granted us, that with the eyes of number of political leaders and professionals of the instructive, sociocultural, media, juridical and police worlds, the Muslims often appear as persons unable to be "modern" actors: they would be dominated by the religious obscurantism of some, tradition, a sweltering social control, as well as of a patriarchy and a machismo archaic. The cultural difference of the Muslims seems to suffer from a diabolisation which, in return, acts as justification in their social exclusion.

In this context, the role of the press would be to bring an objective information and to search all truths by taking a distance of all sources not to fall in the piége of propaganda or disinformation the public of which is the victim. While the role of the journalist is to educate the public by giving an objective picture, it emerges that written press continues perpetuating hate and disinformation within the French society contrary to the existent populations of Maghrebine immigration by producing negative pictures in a recurrent way.